
مذكرة
تدبر القرآن الكريم



الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم

مُذَكِّرَة تَدَبُّرِ القُرآنِ الكَرِيم

دِراسَةٌ تأصِيلِيَّة لِلدِّراساتِ العُلْيا

إعْدَادُ

أ.د. مُحَمَّد بن عبد العزيز بن مُحَمَّد العواجي

رقم الإيداع: ٢٠٢٣/٢٣٨
ردمك: ٩٧٨٩٩٢٧١٦٣٠٦٧

حقوق النشر والطباعة شركة الخليج للنشر والطباعة
طبعت بمطابع
الراية Gulf Times
شركة الخليج للنشر والطباعة GULF PUBLISHING & PRINTING CO.
press@raya.com | 44058528/10/11

مُذَكِّرَةُ

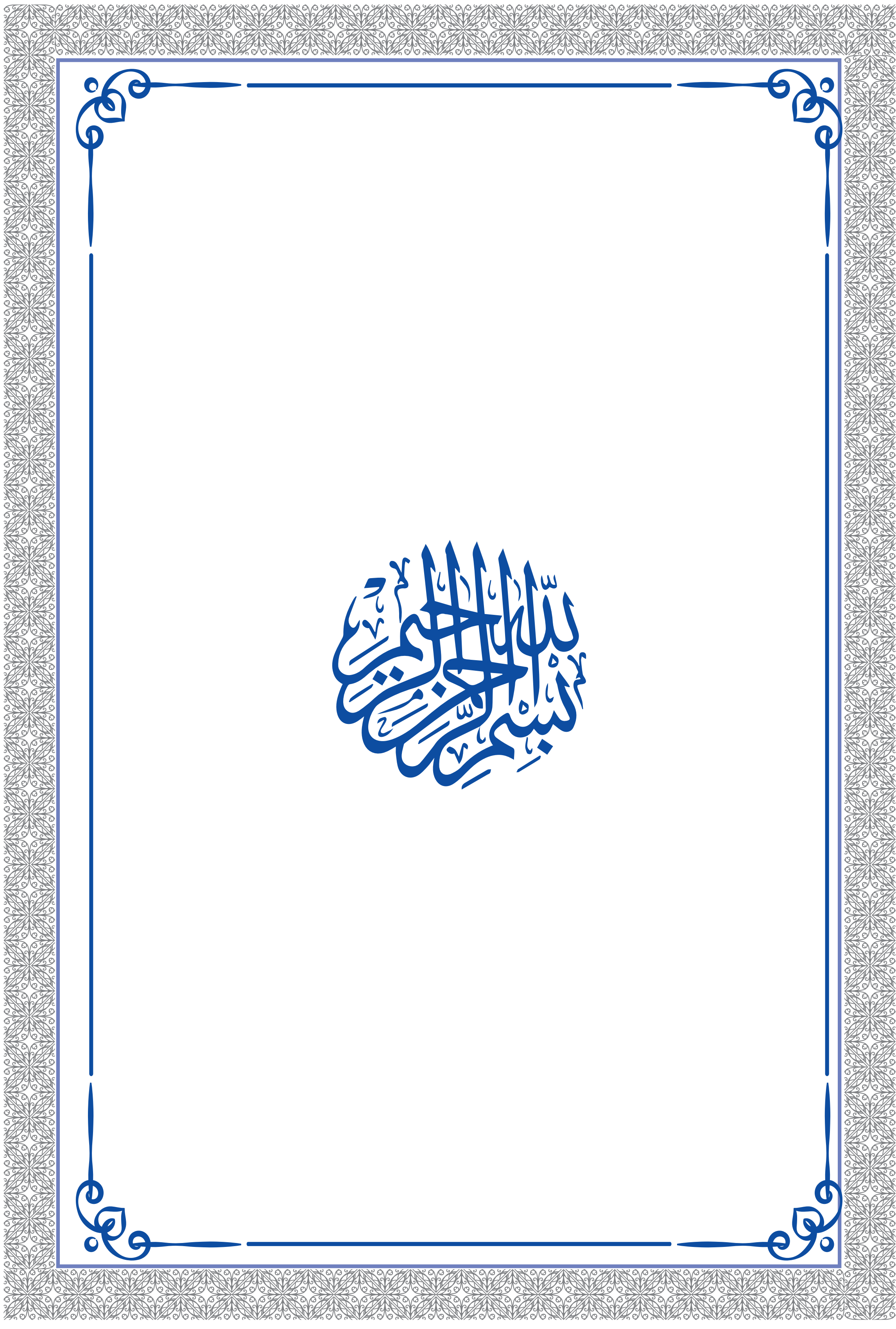
تَدَبُّرِ القُرآنِ الكَرِيمِ

دِراسَةٌ تأصيليّة

لِلدِّراساتِ العُليا

إعدادُ

أ. د. مُحَمَّد بن عبد العزيز بن مُحَمَّد العواجي


بسم الله الرحمن الرحيم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله، بلّغ الرسالة وأدّىٰ الأمانة ونصح الأمة، وكشف الله به الغمّة، تركنا علىٰ بيضاء نقية ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه.

أما بعد:

فإنّ القرآن الكريم أنزله الله تعالىٰ كتاباً لصلاح أمر الناس كافة، رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٥].

فكان المقصد الأعلىٰ صلاح الأمة وهدايتهم إلىٰ الطريق المستقيم وقد أودع ذلك في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطاباً بيناً وتعبدنا بمعرفة مراده والاطلاع عليه فقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[ص: ٢٩].

وقد اختار الله اللسان العربي لوحيه، حيث كان لسانهم أفصح الألسن، وكانت هذه اللغة أكثر اللغات تحملاً للمعاني مع إيجاز اللفظ، فتحداهم مع

فصاحتهم أن يأتوا بمثله فصار معجزة ليكون آية دالة علىٰ صدق رسوله ﷺ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء: ٨٨].

إنّ تلاوة القرآن إنما هي إقامة لحجة الله تعالىٰ علىٰ المرء، حيث بلغه كتاب الله تعالىٰ، ووقف علىٰ آياته وتوجيهاته، ولا تزال تلك الحجة قائمة عليه حتىٰ يستجيب لأمر الله تعالىٰ في آياته، ولن يصل إلىٰ دلالات تلك الآيات ويعرف مضامينها حتىٰ يشغل عقله بتدبر تلك الآيات، ويُعمل ذهنه لاستشراف هداياتها، ومن خلال ذلك التَّدَبُّر يشعر المرء بلذة التلاوة وجمال القراءة، ويقف علىٰ إبداع النظم وبلاغته، وجمال التوجيه وبراعته، وجمال المقاصد وحسنها، فما يملك إلا أن ينقاد إلىٰ أمر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه.

ويتضح مما مضىٰ أن القرآن لا تنفك تلاوته عن تدبر آياته، وتدبر الآيات يحمل النفس علىٰ الاستجابة والانقياد لأمر الله تعالىٰ، وكل منها يأخذ بذيل سابقه، فالتلاوة تقود إلىٰ التَّدَبُّر، والتَّدَبُّر يحمل علىٰ التذكر والاتعاظ، والتذكر يحمل النفس علىٰ الاستجابة والانقياد، وهنا يكمن مقصود الله تعالىٰ في ذلك: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[ص: ٢٩].

ولا يخفىٰ مقام أهمية التَّدَبُّر، وفضله، بل وضرورته لقارئ القرآن، لكننا بحاجة اليوم للخطوات العملية لإحياء ذلك التدبر في قلوب الناس، وتربيتهم عليه.

وللعلماء المتخصصين دورٌ في تذكير الناس وزيادة تفهيمهم لمعاني وأحكام القرآن، وهذا القرآن ميسرٌ للفهم، فكل مسلمٍ يستطيع بما حباه الله من قلب وعقل أن يتأثر بإرشاداته وتوجيهاته.

ولا يكاد يخفىٰ علىٰ منصف ما يقوم به بعض المختصين من الاهتمام

بتدبر القرآن؛ بعقد المؤتمرات والدورات والمحاضرات العلمية، والكتابة حول مسائل التَّدَبُّر ومحاولة تحريرها.

ولعدم وجود منهج تعليمي ينشأ عنه متخصصون في هذا الباب العظيم، فقد يسر الله جمع كتابٍ باسم: مقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات العليا، وطُبع عام ١٤٣٨هـ، وبعد تدريسه لخمس سنواتٍ ومراجعته مع الطلاب والأساتذة الكرام راجعته ولخصته بهذه المذكرة مع إضافاتٍ علمية مهمة، ولعل هذا الجهد يكون نواةً لمناهج تعليمية متخصصة، تضبط التَّدَبُّر، وتعين علىٰ إيجاد أساتذة وباحثين متخصصين، يكملون بناء المسيرة، ويحيون التَّدَبُّر في نفوس الناس بطريقة علمية منهجية منضبطة.

وقد تم تسطيره وجمعه بناء علىٰ جرد الموجود في المكتبة الإسلامية من بحوث ومقالات وبرامج ومؤتمرات وملتقيات علمية بشأن تدبر القرآن الكريم، مع اعتبار الأسس المنهجية العلمية لبناء المناهج التعليمية، ومناهج الجامعة الاسلامية وجامعة طيبة بالمدينة المنورة المعتمدين لمرحلة الدراسات العليا فيهما، ووثيقة منهج تدبر القرآن التعليمي التي أعدها فضيلة الشيخ أ. د. علي بن إبراهيم الزهراني رئيس قسم التربية الاسلامية بالجامعة الإسلامية سابقًا، في وثيقة محكَّمة لمؤتمر تدبر العالمي الأول.

وتمت مراجعته من قِبل مجموعة من الأساتذة الفضلاء المتخصصين ذوي الاهتمام بتدبر القرآن الكريم. وجرىٰ تطبيقه عمليـًا علىٰ أكثر من عشر دفعات من طلاب مرحلة العالِمية العالية (الدكتوراه) بفضل الله تعالىٰ، وتلبية طلب كثير من المتخصصين بالحاجة الماسة لنشره إستعنّا بالله علىٰ ذلك.

وختامـًا فإن الكمال عزيز وبلوغه صعب المنال وهذه محاولة بشر، أرادوا بها الخير لهم ولأمتهم ولإخوانهم في طريق الدعوة إلىٰ الله وخدمة

كتاب الله، وعمل البشر لا يخلوا من أخطاء وزلل، فما كان في هذا العمل من خير وصواب فمن توفيق الله وحده، وما كان فيه من خطأ وزلل فمن أنفسنا والشيطان، فمن وجد خللاً فليقومه، ومن وجد نقصاً فليكمله، فالله تعالىٰ لا يضيع أجر المصلحين، ونسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن يغفر لنا، وأن يتجاوز عنا. وأن يبارك في الجهد، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

إعداد

أ. د. محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية سابقاً

المدينة المنورة في ٠١-٠١-١٤٤٤هـ



مقرر تدبر القرآن الكريم

أولاً: أهداف المقرر:

- أن يتعرف علىٰ مفهوم التَّدَبُّر وعلاقتة بالمصطلحات القرآنية الأخرىٰ.
- أن يتعرف علىٰ التَّدَبُّر الصحيح في القرآن الكريم وثمراته، وعوائقه.
- أن يكون قادرا علىٰ البحث والكتابة وإنتاج مادة في التَّدَبُّر بأسلوب علميّ.
- أن يستطيع استنتاج مناهج وأساليب العلماء في التَّدَبُّر، ونقد الخاطئ.
- أن يتعرف علىٰ أساليب القرآن المعينة علىٰ التَّدَبُّر.
- أن يتقن مهارات التَّدَبُّر والمدارسة وأنواعها، ويمارس ذلك.
- تنمية ملكته وقدرته علىٰ التَّدَبُّر، وربط الحياة بمعاني الآيات المباشرة.

ثانياً: معايير مقرر تدبر القرآن الكريم:

يتضمن المقرر أربع مجالات فرعية:

مفهوم تدبر القرآن الكريم، وتأصيله ومنهجيته، وتطبيقه، وموانعه وأسباب الخطأ فيه وعلاجها.

المجال الفرعي الأول: مفهوم التَّدَبُّر، وحكمه، وثمراته، ويتضمن تسعة معايير:

- **المعيار الأول: مفهوم التَّدَبُّر في اللغة والاصطلاح:**

المؤشر الأول: معرفة مدلولات «التَّدَبُّر» ومشتقاته في اللغة.

المؤشر الثاني: مدلول «التَّدَبُّر» عند المفسرين عامة.

المؤشر الثالث: التعريف الاصطلاحي للتَّدَبُّر.

- **المعيار الثاني: مقارنة المفهوم والعلاقة بين المصطلحات والمفاهيم القريبة من معنى «التَّدَبُّر»:**

المؤشر الأول: الاستنباط؛ مفهومه، وبيان علاقته بالتَّدَبُّر.

المؤشر الثاني: التفسير؛ مفهومه، وبيان علاقته بالتَّدَبُّر.

المؤشر الثالث: التأويل؛ مفهومه، وبيان علاقته بالتَّدَبُّر.

المؤشر الرابع: التفكُّر، مفهومه، وبيان علاقته بالتَّدَبُّر.

المؤشر الخامس: التعَقُّل؛ مفهومه، وبيان علاقته بالتَّدَبُّر.

المؤشر السادس: التأمُّل؛ مفهومه، وبيان علاقته بالتَّدَبُّر.

المؤشر السابع: التفَهُّم؛ مفهومه، وبيان علاقته بالتَّدَبُّر.

- **المعيار الثالث: فضل التَّدَبُّر:**

المؤشر الأول: الأمر بالتَّدَبُّر والترغيب فيه في ضوء القرآن الكريم.

المؤشر الثاني: الأمر بالتَّدَبُّر والترغيب فيه في ضوء السنة النبويّة.

- **المعيار الرابع: حُكم تدبر القرآن الكريم.**

- **المعيار الخامس: مقاصد التَّدَبُّر:**

المؤشر الأول: العمل بالقرآن.

المؤشر الثاني: إظهار ما في القرآن من بركات والاستفادة منها.

المؤشر الثالث: بيان عالمية المنهج القرآني وواقعيته.

المؤشر الرابع: إحياء الفهم السليم للقرآن.

المؤشر الخامس: تفويت الفرصة علىٰ من يريد تحريف كلام الله أو تأويله.

المؤشر السادس: شمولية الإصلاح.

- **المعيار السادس: أغراض تدبر القرآن الكريم.**
- **المعيار السابع: أهميّة تدبر القرآن الكريم.**

المؤشر الأول: معرفة حِكَم إنزال القرآن الكريم.

المؤشر الثاني: تدبر القرآن يتضمن بيان إعجازه.

المؤشر الثالث: تدبر القرآن يُبرز حقائق وفوائد نفيسة.

- **المعيار الثامن: ثمرات تدبر القرآن الكريم:**

المؤشر الأول: زيادة الإيمان وتجديده.

المؤشر الثاني: الاستجابة لأمر الله والثبات عليه.

المؤشر الثالث: الوقوف علىٰ معرفة الله والحلال والحرام.

المؤشر الرابع: عمل المرء بكتاب الله وتطبيقه في واقع الحياة.

المؤشر الخامس: تحصيل الهداية وتوابعها.

المؤشر السادس: شحذ الهمم والنفوس نحو الخير، وإبعادها عن الشر.

المؤشر السابع: العلم، والمعرفة، ونهضة الأمة.

- **المعيار التاسع: آثار تدبر القرآن وعلاماته:**

المؤشر الأول: الآثار العامة لتَّدَبُّر القرآن.

المؤشر الثاني: الآثار العملية لتَّدَبُّر القرآن.

المؤشر الثالث: أثر تدبّر القرآن في بناء الإيمان.

المؤشر الرابع: أثر تدبر القرآن الكريم في بناء شخصية المسلم.

المؤشر الخامس: أثر تدبّر القرآن الكريم في ضبط السلوك وتنظيمه.

المؤشر السادس: أثـر تدبـر القـرآن في النهـوض الحضـاري الاجتماعـي والأخلاقي والعلمي.

المجال الفرعي الثاني: تأصيل المنهج القويم في تدبر القرآن الكريم، ويتضمن أربعة معايير:

- **المعيار الأول: المخاطبون بالتَّدَبُّر:**

المؤشر الأول: المنافقون.

المؤشر الثاني: الكفار.

المؤشر الثالث: المؤمنون.

- **المعيار الثاني: المنهج النبويّ في تدبر القرآن:**

أهمية المنهج النبويّ في التدبر.

المؤشر الأول: ترتيل القرآن.

المؤشر الثاني: الترسل في القراءة.

المؤشر الثالث: تحسين الصوت بالقرآن.

المؤشر الرابع: إطالة القراءة.

المؤشر الخامس: الجهر بالقراءة.

المؤشر السادس: البكاء والخشوع عند القراءة.

المؤشر السابع: ربط الآية بالواقع أو الحدث.

المؤشر الثامن: نماذج أخرىٰ من تدبر النبي ﷺ.

- **المعيار الثالث: منهج السلف الصالح في تدبّر القرآن وتلقّيه:**

المؤشر الأول: يقينهم بشرف القرآن، وإيمانهم بقيمته.

المؤشر الثاني: تعلّمهم الإيمان قبل القرآن.

المؤشر الثالث: مدارسة القرآن.

المؤشر الرابع: حرصهم علىٰ الفهم والعمل.

المؤشر الخامس: حرصهم علىٰ التلاوة اليومية للقرآن.

المؤشر السادس: اهتمامهم بترتيل القرآن.

المؤشر السابع: قيامهم الليل بالقرآن.

المؤشر الثامن: ترديد الآيات المؤثرة القلب.

المؤشر التاسع: عدم قصرهم معاني الآيات علىٰ أحوال خاصة.

- **المعيار الرابع: نماذج من تدبر السلف الصالح:**

المؤشر الأول: نماذج من تدبر النبي ﷺ.

المؤشر الثاني: نماذج من تدبر الصحابة.

المؤشر الثالث: نماذج من تدبر التابعين ومَن بعدهم.

المجال الفرعي الثالث: وسائل تدبر القرآن، ومجالاته، وضبطه، ويتضمن ثمانية معايير:

- **المعيار الأول: تهيئة القلب قبل البدء في التلاوة والتَّدَبُّر:**

المؤشر الأول: وجود الدافع الذاتي نحو التَّدَبُّر مع الإخلاص

المؤشر الثاني: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

المؤشر الثالث: استحضار عظمة الله تعالىٰ، وعظمة كلامه سبحانه.

المؤشر الرابع: دعاؤه عَزَّوَجَلَّ بالتوفيق إلىٰ التَّدَبُّر مع الإلحاح.

المؤشر الخامس: محبة القرآن، والانشغال به.

المؤشر السادس: الوقوف علىٰ شيء من أحوال النبي ﷺ والسلف في تعاملهم مع القرآن.

المؤشر السابع: اليقين التام أن المسلم حيّ بتدبّر القرآن، ميت بدونه.

المؤشر الثامن: معرفة أن خطاب القرآن في الأصل موجه إلىٰ القلب.

المؤشر التاسع: الابتعاد عن مجالس اللغو.

المؤشر العاشر: تخفّف المتدبّر من الماديات.

المؤشر الحادي عشر: التواضع واللين لتدبر القرآن وفهم معانيه وأخذها ودراستها.

- **المعيار الثاني: تفعيل وسائل التَّدَبُّر الإدراكية:**

المؤشر الأول: إعمال السمع في الإنصات للقرآن.

المؤشر الثاني: إعمال البصر في تدبر القرآن.

المؤشر الثالث: اقتران القلب بحاستي السمع والبصر.

المؤشر الرابع: النظر في ما يحتمله الأسلوب من معانٍ جديدةٍ تُفْهم من كلام الله.

المؤشر الخامس: السعي إلىٰ تطبيقه في واقع الناس، وإحياء ما اندرس من العمل به.

المؤشر السادس: الجهاد به في إماتة البدع وإحياء السنن.

- **المعيار الثالث: وسائل التَّدَبُّر الإجرائية:**

المؤشر الأول: فراغ القلب من الشواغل الحائلة دون التَّدَبُّر.

المؤشر الثاني: ترتيل القرآن وحضور القلب عند تلاوته.

المؤشر الثالث: ترديد الآية المؤثرة في القلب.

المؤشر الرابع: الخشوع وتحسين الصوت من غير تكلّف.

المؤشر الخامس: ربط القرآن بواقعك الذي تعيش فيه.

المؤشر السادس: تهيئة الجو المناسب للتَّدَبُّر.

المؤشر السابع: التجاوب والتركيز مع الآيات الكريمة.

المؤشر الثامن: تصوّر حالة الدعوة أثناء التلاوة.

- **المعيار الرابع: وسائل التَّدَبُّر المنهجية:**

المؤشر الأول: تدارس القرآن مع جمْع إن أمكن.

المؤشر الثاني: محاولة فهم معاني القرآن.

المؤشر الثالث: الوقوف علىٰ قواعد النظم القرآني ولو إجمالاً.

المؤشر الرابع: الوقوف علي معاني الآيات، وموضوعات السورة مجملة.

المؤشر الخامس: إثارة التساؤلات حول الآية.

المؤشر السادس: العناية بفهم معنىٰ اللفظة ودلالتها اللغوية في سياقها.

المؤشر السابع: معرفة أسباب النزول وأحواله ومتعلقات ذلك كالنسخ ونحوه.

- **المعيار الخامس: وسائل المحافظة على التدبر وتنميته:**

المؤشر الأول: شكر المؤمن ربه علىٰ ما هداه إليه من تدبر

المؤشر الثاني: فرح القلب وسعادته بالتَّدَبُّر.

المؤشر الثالث: إبراز ثمرة التَّدَبُّر في التطبيق والتنفيذ.

المؤشر الرابع: المواظبة علىٰ حزب يومي للتَّدَبُّر.

المؤشر الخامس: البدء بمفصَّل القرآن.

المؤشر السادس: التعوُّذ بالله من الشيطان خوفًا من العُجب.

- **المعيار السادس: بعض الأسباب المعينة على التَّدَبُّر:**

المؤشر الأول: القراءة في صلاة.

المؤشر الثاني: تفريغ القلب من الانشغال بغير الله والبعد عن الذنوب والمعاصي.

المؤشر الثالث: التفكر في معاني الآيات.

المؤشر الثالث: اختيار الوقت المناسب للتَّدَبُّر.

المؤشر الرابع: ترديد الآيات وتكرارها.

المؤشر الخامس: استماع القراءة من الآخرين.

المؤشر السادس: التفاعل العملي مع القرآن.

المؤشر السابع: البكاء عند سماع القرآن.

المؤشر الثامن: المجاهدة والترقِّي.

- **المعيار السابع: من مجالات تدبر القرآن:**

المؤشر الأول: إعجاز القرآن وبلاغته.

المؤشر الثاني: النظر في السورة الكاملة.

المؤشر الثالث: النظر إلىٰ الموضوع في القرآن.

المؤشر الرابع: النظر في أساليب القرآن.

المؤشر الخامس: النظر في آيات محددة بوصفٍ ما.

المؤشر السادس: النظر إلىٰ آيات متشابهة.

المؤشر السابع: الجمع بين النصوص لاستنتاج معانٍ جديدة.

المؤشر الثامن: الجمع بين معنىٰ قراءتين أو أكثر لإبراز معانٍ جديدة.

- **المعيار الثامن: ضبط تدبر القرآن:**

أولاً: ضوابط كليّة من خلال سمات مقاصد القرآن:

المؤشر الأول: انضباط التَّدَبُّر من خلال سمة الربانية.

المؤشر الثاني: انضباط التَّدَبُّر من خلال سمة الشمولية.

المؤشر الثالث: انضباط التَّدَبُّر من خلال سمة الواقعية.

المؤشر الرابع: انضباط التَّدَبُّر من خلال سمة الوسطية.

ثانياً: ضوابط إجرائية:

المؤشر الأول: ربْط المفاهيم القرآنية ببعضها.

المؤشر الثاني: التصحيح للمفهوم من الكتب والعلماء.

المؤشر الثالث: المدارسة مع الغير.

المؤشر الرابع: التكرار وإمعان النظر.

المؤشر الخامس: المواظبة علىٰ التَّدَبُّر بالمنهجية الصحيحة.

المجال الفرعي الرابع: موانع تدبر القرآن وأسباب الخطأ فيه وعلاجها، ويتضمن أربعة معايير:

- **المعيار الأول: موانع التَّدَبُّر، ويشمل المؤشرات التالية:**

أولاً: الموانع الشخصية:

المؤشر الأول: أمراض القلب والإصرار علىٰ المعاصي.

المؤشر الثاني: انشغال القلب أوالجوارح بغير المتلوّ.

المؤشر الثالث: قَصْر حضور القلب علىٰ أوقات أوآيات معينة.

المؤشر الرابع: توهُّم عدم دخول الواقع تحت القرآن وقَصْره علىٰ أحوال انتهت.

المؤشر الخامس: ترْك التَّدَبُّر تورعًا عن القول في كلام الله بغير علم.

المؤشر السادس: الوقوف عند جمال الصوت وانصراف الهمّة إلىٰ تكثير الختمات.

المؤشر السابع: قصْر الهمّة علىٰ تحقيق الحروف والمخارج.

المؤشر الثامن: تقديم مادون التَّدَبُّر من العلوم والمعارف

المؤشر التاسع: الذنوب والمعاصي، ومنها: الحسد، والحقد، والرياء، وحُب الظهور، وسوء الظن، والكِبر، والعُجب، والتكبّر.

المؤشر العاشر: الغفلة عن سماع القرآن.

ثانياً: الموانع الأُسْرية والاجتماعية:

المؤشر الأول: عدم اهتمام الأسرة بجانب التَّدَبُّر، وإذكائه بين أفرادها.

المؤشر الثاني: اهتمام المجتمع بحفظ القرآن دون فهم معانيه وتدبّره.

المؤشر الثالث: تقليص المجتمع لدور القرآن الكريم.

المؤشر الرابع: شيوع العاميّة بين أفراد المجتمع.

المؤشر الخامس: الأميّة العقليّة، وشيوع روح التقليد والتبعيّة.

المؤشر السادس: شيوع استخدام التقنية، ومواقع الانترنت، والتلهّي بها عن القرآن

ثالثاً: الموانع المنهجية:

المؤشر الأول: عدم التصور الصحيح للقرآن الكريم.

المؤشر الثاني: التعبير عن القرآن الكريم بغير أسمائه وأوصافه.

المؤشر الثالث: الفهم الخاطئ لمعاني كلام الله تعالىٰ.

المؤشر الرابع: قلة العلم بعلوم القرآن، واللغة وسائر العلوم الخادمة للتفسير، من خلال:

١/ الخلط الكبير في منهج التعامل مع النصوص في مجال علوم القرآن.

٢/ قلة العلم بما يتعلق بجمع القرآن.

٣/ القول بالزيادة والنقص في القرآن.

٤/ الجهل العظيم بطرق نقل القراءات القرآنية

المؤشر الخامس: الزهد والتزهيد في كتب التفاسير.

- **المعيار الثاني: أسباب الفهم الخاطئ في تدبر القرآن، ونتائجه.**

أولاً: أَسْبَابُ الفَهْمِ الخَاطِئِ:

ويشمل المؤشرات التالية:

المؤشر الأول: الزيغ والانحراف العقدي.

المؤشر الثاني: اتباع الهوىٰ يعمي ويصم عن فهم القرآن.

المؤشر الثالث: الكبر من موانع الفهم الصحيح.

المؤشر الرابع: التعصب والتقليد الأعمىٰ لطائفة أومذهب بعينه.

المؤشر الخامس: اتباع المتشابهات وترك المحكم من كتاب الله.

المؤشر السادس: الاعتماد علىٰ الأحاديث الواهية والضعيفة عند التَّدَبُّر والتفسير.

المؤشر السابع: الجهل بالناسخ والمنسوخ يؤدي إلىٰ الفهم الخاطئ.

المؤشر الثامن: الجهل بأسباب النزول.

المؤشر التاسع: الاعتماد علىٰ الاسرائيليات من غير تثبت أوتحقق.

المؤشر العاشر: عدم معرفة مدلولات ألفاظ اللغة العربية، ومخالفة الراسخين في العلم

المؤشر الحادي عشر: لَيُّ أعناق النصوص، وتحريف الأدلة عن مواضعها.

ثانياً: نتاج الفَهْمِ الخَاطِئِ:

ويشمل المؤشرات التالية:

المؤشر الأول: وجود تصورات خاطئة عن أقوام من البشر.

المؤشر الثاني: الفهم الخاطئ يوقع في حبائل أهل الهوىٰ.

المؤشر الثالث: الفهم الخاطئ يؤدي إلىٰ الشعور بتناقض القرآن.

المؤشر الرابع: عدم الفهم يؤدي إلىٰ الاعتقاد بمخالفة القرآن للوقائع والحوادث التاريخية.

المؤشر الخامس: الفهم الخاطئ يؤدي إلىٰ الافتراء علىٰ الأنبياء واتهامهم بما لا يتصوره مسلم.

المؤشر السادس: إخضاع الآيات القرآنية لمخترعات الكفار بسبب الفهم الخاطئ.

- **المعيار الثالث: أمثلةٌ للفهم الخاطئ في تدبر القرآن الكريم.**
- **المعيار الرابع: سُبُلُ الوقاية والعلاج من الفهم الخاطئ في التَّدَبُّر:**

ويشمل المؤشرات التالية:

المؤشر الأول: جمع الآيات القرآنية أوبعضها ذات العلاقة بالآية المراد فهمها وتدبرها.

المؤشر الثاني: جمع الأحاديث النبويّة الثابتة أوبعضها ذات العلاقة بالآية المراد تدبرها.

المؤشر الثالث: الرجوع إلىٰ أقوال العلماء عند تدبر الآيات وفي مقدمتهم السلف الصالح.

المؤشر الرابع: معرفة مدلولات ألفاظ الكلمة القرآنية بالرجوع إلىٰ دواوين الشعر واللغة.

المؤشر الخامس: مراعاة السياق الذي ذُكرت فيه اللفظة القرآنية.

المؤشر السادس: معرفة أسباب النزول والتنبه أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

المؤشر السابع: الإحاطة بعلم الناسخ والمنسوخ يعين علىٰ فهم القرآن فهمًا دقيقًا.

المؤشر الثامن: التجرد من الأهواء والتصورات والنظريات السابقة، فالقرآن متبوع لا تابع.

ملحقٌ عن البرنامج التطبيقي للدارسين: يقدم للدارسين أثناء دراسة المقرر، ويكون وفق المراحل التالية:

ويشمل دراسة تطبيقية علىٰ خمسة نماذج علىٰ الأقل متنوعة.

المؤشر الأول: أن يُقدم بحثًا يجمع فيه عدداً من التَّدَبُّرات - وفق ما درسه - دراسة إستقرائية وصفية.

المؤشر الثاني: أن يُقدم نموذجًا لآيات مختارة يجمعُ فيها بين الجمع والاجتهاد الذاتي بما لا يقل عن الثلث.

المؤشر الثالث: أن يُقدم بحثًا عن دراسة نقدية لنماذج من التَّدَبُّر التي خالفت المنهج الصحيح للتَّدَبُّر.

ثالثاً: مفردات المقرر:

توزيع الوحدات الدراسية:

قائمة الوحدات / المعايير	عدد الأسابيع	ساعات التدريس
الأولىٰ: مفهوم التَّدَبُّر (٩)	٣	٦
الثانية: المنهج القويم في تدبر القرآن الكريم (٤)	٣	٦
الثالثة: وسائل التَّدَبُّر (٨)	٤	٨
الرابعة: تقويم مناهج تدبر القرآن الكريم (٤)	٣	٦
البحوث والاختبارات	٢	٤
	١٥	٣٠

وهذا التوزيع تقريبي، وطبيعة مرحلة الدراسات العليا تقتضي الإثراء والبحث والمقارنة والموازنة في المجال المعرفي والمهاري.

رابعاً: طرق التدريس:

١- اعتماد الكتب المقررة.

٢- الاهتمام بالكتب المساعدة والمصادر والمراجع في التخصص.

٣- استخدام التقنيات الحديثة والوسائط المتاحة ونحوها.

٤- تدريب الدارسين علىٰ التطبيقات العلمية.

٥- يختار الأستاذ ما يناسب طبيعة الدرس وينوع حسب العنصر:

- الحوار والمناقشة.
- التدريس عن طريق المجموعات وورش العمل.

- عرض بعض التقارير والبحوث.
- التعلم الفردي (الذاتي).
- التعلم التعاوني.

خامساً: وسائل التقويم المقترحة:

١- إجراء الاختبارات الدورية والنشاط (٤٠) درجة.

٢- التكليف بالبحوث المتخصصة (٢٠) درجة.

٣- إجراء الاختبارات النهائية (٤٠) درجة.

سادساً: مراجع المقرر:

١- الكتب المؤلفة في تدبر القرآن الكريم.

٢- **كتب تفسير القرآن:** وأهمها؛ تفسير ابن جرير، والثعلبي، والبغوي، وابن عطية، والرازي، وابن كثير، والآلوسي، وابن سعدي، والشنقيطي، وابن عاشور، وابن عثيمين.

٣- **كتب أحكام القرآن:** وأهمها؛ أحكام القرآن للشافعي، والطحاوي، والجصاص، وابن العربي، وابن الفرس، والقرطبي، وابن عثيمين.



الوحدة الأولى

مفهوم التَّدَبُّر وحكمه وثمراته

وتتضمن تسعة معايير



المعيار الأول: مفهوم التَّدَبُّر في اللغة والاصطلاح:

أولاً: مدلولات «التَّدَبُّر» ومشتقاته في اللغة:

إن تحرير المصطلحات العلمية وضبطها، من أهم المسائل التي عُني بها العلماء لضبط العلوم، حيث إنها عنوان ما يتميز به كل علم عما سواه، والحقائق العلمية منها ما يكون متفقاً على مضمونه، كالمصطلحات الشرعية في الغالب، من صلاة وزكاة وحج وإيمان وكفر وغيرها، ومنها ما يختلف العلماء فيه، فيقع لغير العارف بمرادهم الخلط والخطأ، ومصطلح التدبر من الحقائق التي يتفق العلماء على مضمونه وإن اختلفت عبارتهم.

«ثم إن التَّدَبُّر قد أصبح حقيقة عُرفية عند المفسرين، والمراد بها تدبر القرآن؛ فإذا أطلق التَّدَبُّر عندهم، فالمراد به أخص من المدلول العام للتَّدَبُّر»[١].

فأصل كلمة التَّدَبُّر من الفعل الثلاثي (دَبَرَ)، أو الرباعي (أَدْبَرَ)، وهذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣]، كما في قراءة نافع، وحفص عن عاصم، وحمزة، ويعقوب، وخلف العاشر، بالفعل الرباعي على وزن: (أَكْرَمَ).

والقراءة الأخرى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا دَبَرَ﴾ بالفعل الثلاثي على وزن (كَرَمَ) وهي قراءة الباقين من القراء؛ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو جعفر، ورواية شعبة عن عاصم[٢].

ومادة (دَبَرَ) في معاجم اللغة تدور حول معان عديدة، أبرزها وأظهرها ما يلي:

---

(١) ينظر: تحرير معنى التَّدَبُّر عند المفسرين، للدكتور مساعد الطيار، بحث ضمن كتاب مفهوم التَّدَبُّر-تحرير وتأصيل-ص١٥٥، مطبوعات مركز تدبر.

(٢) الغاية في القراءات العشر للنيسابوري ص٢٨٢.

١ - مؤخرة الشيء ونهايته:

وفي ذلك يقول ابن سِيده (٣٩٨): «ودُبُر كل شيء: عَقِبُه ومؤخّرُه، ودُبُر الشهر: آخره، يقال: جئتك دُبُر الشهر، وفي دُبُره، وعلى دُبُره، والجمع من كل ذلك أدْبار...ودُبُر البيت: مؤخره وزاويته»[١].

ومن ذلك: الدُّبُر الذي يُكنى به عن مؤخرة الإنسان، ونحوه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وذلك «حين يتوفى الملائكةُ أرواحَ الكفار، فتنزعها من أجسادهم، تضرب الوجوه منهم والأستاه»[٢]، ومثله قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾ [يوسف: ٢٦، ٢٧]، فيُذكر هذا المدلول مقابل «القُبُل» كثيراً، ويُكنى بهما عن العضوَيْن المعروفيْن، ويُطلق «الدُّبُر» على الظَّهْر أيضاً كما هو معلوم.

قال ابن فارس(٣٩٥): «وهو آخِرُ الشَّيء، وخلفُه خلافُ قُبله...ودبَّرْتُ الحديثَ عن فُلانٍ، إذا حدَّثتَ به عنه، وهو من الباب؛ لأنَّ الآخِر المحدِّثَ يَدْبُر الأوّلَ يجيءُ خَلْفَه...وفي الحديث: «**ولا تَدَابَرُوا**»[٣]، وهو من الباب، وذلك أنْ يترُكَ كلُّ واحدٍ منهما الإقبالَ على صاحبه بوجْهه...»[٤].

٢ - التولّي والذّهَاب:

ومن ذلك أنه «يُقال للقوم في الحرب إذا فرّوا: وَلَّوْهم الدُّبُر والأَدْبار،

(١) المحكم والمحيط الأعظم ٩/ ٣١٠ «دبر» بتصرف.

(٢) جامع البيان للطبري ١٣/ ١٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر ح(٢٥٥٩).

(٤) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٣٢٤ مختصراً.

وأما الإِدْبار فالتوليةُ نفسُها، ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ عند الصبح في آخر الليل إذا أدبـرَت مولية نحو المغرب»[(١)].

ويؤيد هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦].

وكما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩]، أي: عند ذهابها في آخر الليل مع قرب قدوم الصبح.

وكما ورد في قول الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠): «ويقال للقوم في الحرب: وَلَّوْهُم الدُّبُر والإِدْبَار، والإِدْبَار: التولية نفسها»[(٢)]، ومنه قولهم: «دَبَرَ بالشيء ذهب به، ودَبَرَ الرجلُ: ولَّىٰ وشَيَّخَ»[(٣)]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣] أي: ولَّىٰ وذهب.

٣- النّظر في عواقب الأمور:

يقول الخليل (١٧٠): «والتَّدْبير نظر في عواقب الأمور، وفلان يتَدَبَّرُ أَعْجَازَ أُمُوْرٍ قد وَلَّت صدورُها»[(٤)]، أي: يتأمل فيها وينظر في عواقبها.

ويقال: «استَدْبَرَ فلان من أمره ما لم يكن استقبل، أي: نظر فيه مستدبراً فعرف مِنْ عاقبته ما لم يعرف مِنْ صدره، ويقال: تَدَبَّرَ: نظر في أدباره؛ أي: في عواقبه»[(٥)].

---

(١) العين للخليل ٨/ ٣٢ «دبر» بتصرف.

(٢) العين للخليل ٨/ ٣٣.

(٣) لسان العرب لابن منظور ٤/ ٢٦٨ «دبر».

(٤) العين للخليل (١٧٥هـ) «دبر»٨/ ٣٣

(٥) العين للخليل ٨/ ٣٣ «دبر» بتصرف.

وقال ابن منظور: «دَبَّرَ الأَمْرَ وتَدَبَّره أي: نظر في عاقبته، واسْتَدْبَرَه: رأىٰ في عاقبته ما لم ير في صدره، وعَرَفَ الأَمْرَ تَدبُّراً، أَي: بأَخَرَةٍ، قال جرير:

ولا تَتَّقُونَ الشَّرَّ حتىٰ يُصِيبَكُمْ ... ولا تَعْرِفُونَ الأَمرَ إِلا تَدَبُّرَا[١]

والتدبير في الأمر: أَن تنظر إِلىٰ ما تَؤُول إليه عاقبته، والتَّدَبُّر: التفكر فيه، وفلان ما يَدْرِي قِبَالَ الأَمْرِ من دِباره، أَي: أَوَّله من آخره، ويقال: إن فلاناً لو استقبل من أَمره ما استدبره لَهُدِيَ لِوِجْهَةِ أَمْرِه، أَي: لوعلم في بَدْءِ أَمره ما علمه في آخره لاسْتَرْشَدَ لأَمره[٢].

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت**»[٣]، فأضاف التَّدَبُّر إلىٰ شأنه وأمره ﷺ.

٤- التَّفكُّر والتَّفَهُّم:

قال ابن منظور (٧١١): «والتَّدَبُّر: التفكر فيه»[٤]، وذكر غيره أن: التَّدَبُّر هو التفكُّر والتفهُّم فىٰ دُبُر الأمور، ومما ورد في ذلك من الكتاب العزيز قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، أي: ألم يتفهموا ما خُوطبوا به في القرآن، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، أي: أفلا يتفكرون فيعتبروا[٥].

---

(١) ديوان جرير ص٤٧٩، والأغاني ٨/ ٣٠.

(٢) لسان العرب ٤/ ٢٦٨، وينظر: تهذيب اللغة ١٤/ ٨٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التمني، باب قول النبي ﷺ: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت**» ح(٧٢٢٩).

(٤) لسان العرب لابن منظور ٤/ ٢٦٨ «دبر».

(٥) ينظر: تاج العروس للزَّبيدي ١١/ ٢٦٦، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي ٢/ ٥٨٨.

قال الهروي (٥٣٥): «أبنية التذكر ثلاثة أشـياء: الانتفاع بالعِظة، والاسـتبصار بالعبرة، والظفر بثمرة الفكرة»[١].

٥- الهجر والمقاطعة:

قـال الخليـل (١٧٠): «والتدابر: الـمُصَارمة والِهجْران، مأخـوذ مـن أن يولّي الرجـل صاحبـه دبره وقفـاه، ويعـرض عنه بوجهـه ويهجـره»[٢].

وفي الحديـث: «**لا تَبَاغضوا ولا تَحَاسَدوا ولا تَدَابَروا...**»[٣]، فالتدابـر: المعـاداة، وقيـل: المقاطعـة؛ لأن كل واحـد يولّـي صاحبـه دبـره[٤]، وقيـل: لا يذكـر أحدكـم صاحبـه مِـنْ خَلْفـه[٥].

إلىٰ غير ذلك من المعاني والمدلولات المفصّلة في معاجم العربية وكتبها.

والخلاصة:

أنـه مـن خـلال النظـر في هـذه المدلـولات السـابقة -وهـي أبـرز مدلـولات مـادة «دَبَرَ»- نجـد أن أقربهـا لمـا نحـن بصـدد الحديـث عنه هـو: التفكـر، والفهـم، والنظـر في عواقـب الأمـور، وأن أصـل المـادة يـدور حـول معنـىٰ واحـدٍ؛ وهـو: **أواخر الأشياء، وعواقبها، والتفكّر فيها.**

وعليه فالتَّدَبُّر لغة يعني: **النظر في أواخر الأشياء والتأمّل في عواقبها.**

وفي ذلـك يقـول ابـن فـارس: «الـدال والبـاء والـراء، أصـل هـذا البـاب أنَّ جُلَّـه في قيـاسٍ واحـدٍ، وهـو آخِـر الشَّـيء، وخَلْفُـه خـلافُ قُبُـلِه، وتشـذُّ عنه كلمـاتٌ يسيرة...»[٦].

(١) منازل السائرين ص٣٠، ونقله ابن القيم في مدارج السالكين ١/ ٤٤٢.
(٢) العين للخليل ٨/ ٣٤ «دبر»، وتاج العروس ١١/ ٢٦٥ بتصرف.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ١٦/ ١١٦.
(٥) بصائر ذوي التمييز ٢/ ٥٨٧ «دبر».
(٦) مقاييس اللغة ٢/ ٣٢٤ «دبر».

❁ ثانياً: مدلول «التَّدَبُّر» عند المفسرين عامة:

جاءت عبارات المفسرين عند قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] علىٰ النحو الآتي:

قال ابن جرير: «أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله علىٰ نبيه عليه الصلاة والسلام، ويتفكرون في حججه التي بينها لهم في تنزيله»(١).

وقال البغوي: «أفلا يتفكرون في القرآن»(٢).

وقال ابن الجوزي: «ليتفكروا فيها»(٣).

وفسرها القرطبي: «أي: يتفهمونه»(٤).

وقال الخازن: «يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره»(٥).

ويقول أبو حيان: «أي: فلا يتأملون ما نزل عليك من الوحي ولا يعرفون عنه؛ فإنه في تدبره يظهر برهانه ويسطع نوره، ولا يظهر ذلك لمن أعرض عنه ولم يتأمله»(٦).

وقال البُقاعي: «أي: يتأملون»(٧).

ويقول الشوكاني: «أفلا يتفهمونه»(٨).

---

(١) جامع البيان ٢٢/ ١٧٩.
(٢) معالم التنزيل ٢/ ٢٥٤.
(٣) زاد المسير ٥/ ٢٣٨.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٤٦.
(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل ٥/ ٤٢٧.
(٦) البحر المحيط ٤/ ٢٠٧.
(٧) نظم الدرر ٢/ ٢٣٨.
(٨) فتح القدير ٥/ ٤٦.

وقال ابن عاشور: «يتأملون دلالته...»(١).

ثالثاً: التعريف الاصطلاحي للتَّدَبُّر:

يجدر بالباحث قبل أن يتعرض للتعريف الاصطلاحي أن ينبّه علىٰ أنَّ مصطلح «التَّدَبُّر» له مدلولان: مدلولٌ عامٌّ؛ يفيد: التفكر في عواقب الأمور كلّها، ومدلولٌ خاصٌّ؛ يُفَسّر بما يُضاف إليه، كتدبّر القرآن...ونحوه، ومرادنا النوع الثاني، لا الأول.

وتَعَدَّدَ فهْمُ المفسرين للتَّدَبُّر، ولكن مع تعدُّده يقترب بعضه من بعض؛ إذ تؤكد تعاريفهم كلها علىٰ: تأمل المعاني، وتبصّر الآيات والأحكام، مع التأثر بنتيجة ذلك.

قال الطبري (٣١٠) في قوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]» أي: ليتدبّروا حجج الله التي فيه، وما شرع الله فيه من الشرائع، فيتعظوا ويعملوا به»(٢).

وقال أبو بكر بن طاهر (٣٣٠): «تدبّر في لطائف خطابه، وطالِب نفسك بالقيام بأحكامه، وقلبك بفهم معانيه، وسِرَّك بالإقبال عليه»(٣).

وقال البغوي (٥١٦): «والتَّدَبُّر هو: النظر في آخر الأمر، ودبر كلّ شيء آخره»(٤).

وقال الزمخشري (٥٣٨): «تدبُّر الأمر: تأمُّله والنظر في إدباره، وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استُعمل في كل تأمل، فمعنىٰ تدبر القرآن: تأمل

(١) التحرير والتنوير ٣/ ٤٨٣.
(٢) جامع البيان ٢١/ ١٩٠.
(٣) حكاه عنه الثعلبي في: الكشف والبيان ٢٧/ ٤٤٧.
(٤) معالم التنزيل ١/ ٦٦٧.

معانيه، وتبصر ما فيه»[١].

وقال ابن عطية (٥٤٢): «التَّدَبُّر: النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء»[٢].

وقال القرطبي (٦٧١): «التفكر فيه وفي معانيه»[٣].

وقال الخازن (٧٤١): «تأمل معانيه، وتفكر في حكمه، وتبصر ما فيه من الآيات»[٤].

وعند أبي حيان (٧٤٥): «التفكر في الآيات، والتأمل الذي يفضي بصاحبه إلىٰ النظر في عواقب الأشياء»[٥].

وعند ابن القيم (٧٥١): «تحديق ناظر القلب إلىٰ معانيه، وجمع الفكر علىٰ تدبّره وتعقّله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرّد تلاوته بلا فهم ولا تدبّر»[٦].

وقال السيوطي (٩١١): «وصفة ذلك: أن يشغل قلبه بالتفكير في معنىٰ ما يلفظ به، فيعرف معنىٰ كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضىٰ اعتذر واستغفر، وإذا مرَّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذ، أو تنزيه نزه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب»[٧].

وقال الزبيدي (١٢٠٥): «التَّدَبُّر: التَّفَكُّر، أَي تَحْصِيل المَعْرِفَتَيْنِ لتَحْصِيل مَعْرِفةٍ ثالثة، ويقال: عَرَف الأَمرَ تَدَبُّراً، أَي بأَخَرَةٍ»[٨].

---

(١) الكشاف ١/ ٥٤٠.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ١٦١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٩٠.

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ٥٦٣.

(٥) البحر المحيط ٧/ ٣٧٩.

(٦) مدارج السالكين ١/ ٣٦٣.

(٧) الإتقان في علوم القرآن ١/ ٣٠٠.

(٨) تاج العروس ١١/ ٢٦٥.

وقال الألوسي (١٢٧٠): «وأصل التَّدَبُّر: التأمل في أدبار الأمور وعواقبها، ثم استعمل في كل تأمل، سواء كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزائه أوسوابقه وأسبابه أو لواحقه وأعقابه»[١].

وقال الشيخ السعدي (١٣٧٦): «التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه»[٢].

وقال الشنقيطي (١٣٩٣): «تدبر آيات هذا القرآن العظيم، أي: تصفحها، وتفهمها، وإدراك معانيها، والعمل بها»[٣].

قال ابن عاشور (١٣٩٣): «والتَّدَبُّر: إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له، وأصله أنه من النظر في دُبُر الأمر، أي: فيما لا يظهر منه للمتأمل بادئ ذي بدء»[٤].

وقال أيضا: «والتَّدَبُّر: التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أُودعت فيه، بحيث كلما ازداد المتدبر تدبراً؛ انكشفت له معانٍ لم تكن بادية له بادئ النظر»[٥].

وعرّفه الميداني (١٤٢٥) بقوله: «التَّدَبُّر هو: التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة»[٦].

وقال السنيدي: «هو: تفهّم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقة، وما دخل في ضمنها وما لا تتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرِّج

(١) روح المعاني ٥/ ٩٢.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص١٨٩.
(٣) أضواء البيان ٧/ ٢٥٧.
(٤) التحرير والتنوير ١٨/ ٨٧.
(٥) التحرير والتنوير ٢٣/ ٢٥٢.
(٦) قواعد التَّدَبُّر الأمثل لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ ص١٠.

اللفظ على ذِكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه»(١).

«**وقيل: التَّدَبُّر:** تقليب النظر البصري والعيش الروحي؛ لتأمُّل جملة قرآنية بما فيها من معانٍ ودلالاتٍ قد لا تتبدَّىٰ للناظر فيها من البداية، وتحقيق ذلك التأمُّل والتَّدَبُّر بالعمل.

وقيل: التَّدَبُّر: هو التفكّر العميق والتأمل الشامل في الألفاظ والتراكيب اللغويّة، للوقوف علىٰ نهايات ما تحتمله من المعاني بقصد الفهم والتطبيق.

وقيل: التَّدَبُّر: هو التفكر باستخدام وسائل التفكير والتساؤل المنطقي للوصول إلىٰ معان جديدة يحتملها النصّ القرآني، وفق قواعد اللغة العربية، وربط الجمل القرآنية ببعضها، وربط الصورة القرآنية ببعضها أيضًا، وإضفاء تساؤلات مختلفة حول هذا الربط أو ذاك.

وقيل: التَّدَبُّر: هو تفهّم معاني آيات القرآن، وإعمال النظر في دقائق وأسرار تعبيراتها المختلفة، وما فيها من الحِكَم والمعارف؛ ليخشع القلب بذلك ويتأثر، وتنساق الجوارح للعمل والتطبيق»(٢).

ويلاحظ في بعض التعريفات أنَّ التَّدَبُّر: لم يقتصر علىٰ عواقب الأمور فحسب، بل امتد ليشمل حقائقها، وأسبابها، ولواحقها، وغير ذلك علىٰ وجه الإطلاق.

وعلى هذا فإن «التَّدَبُّر» لا يخرج عن المعاني الآتية:

١- التأمل الذهني في معاني القرآن الكريم، بالنظر لآياته، وأوامره، ونواهيه، ومبادئه، وعواقبه.

٢- نظر القلب، وجمع الفكر في تلك المآلات والدلالات.

---

(١) تدبر القرآن ص١١.

(٢) استفدت هذه التعريفات من بحث: مفهوم التَّدَبُّر تحرير وتأصيل ص٧٧،٩٣، وتدبّر القرآن سليمان السنيدي ص١١.





٣- خشوع القلب وتأثره بذلك، وانسياق الجوارح للعمل والتطبيق، وهذا أثر التَّدَبُّر.

وكلُّ هذه المعاني حاضرة في أقوال أهل العلم، فالمعنىٰ لا يبتعد عن: النظر، والتأمل القلبي والعقلي، وجمع الفكر فيهما، وبعضهم خصَّص النظر العقلي بالجانب الذهني المحض، والنظر القلبي بالجانب الذهني والروحي معًا.

وعلىٰ هذا يكون مصطلح «التَّدَبُّر» قد استُعمل في حقيقته اللغوية، وأنَّ معناه مركبًا (تدبر القرآن): **النظر والتوصل إلىٰ مغزىٰ الآيات القرآنية ومقاصدها وأهدافها وما ترمي إليه، عن طريق إعمال الفكر والتأمل وبذل الجهد الذهني في فهم الآيات.**

ولا تخرج بقية التعاريف عن هذا الإطار -وإن اختلفت العبارات فيما بينها-.

وفائدة مجيء مصطلح التَّدَبُّر على صيغة التفعل؛ عدّة فوائد أهمها:

- **أولها:** التكلُّف وبذل الجهد.
- **ثانيها:** التدُّرج والتمهُّل.
- **ثالثها:** التكثير والمبالغة، وحصول الفعل مرة بعد أخرىٰ مع الصبر والتحمّل[1].

وهذه أمور تقتضيها عملية التَّدَبُّر أيضًا، فحتىٰ يؤتي أكله وثماره الطيبة؛ ينبغي للمتدبر أن يبذل الجهد في التأمُّل والتفكُّر، ويتمهّل ولا يعجل، ويكرّر النظر مرة بعد مرة، ويتجلَّد بالصبر ولا يملّ.

فيُستفاد من كلام العلماء في معنى التّدَبُّر، أن التَّدَبُّر في القرآن يشمل الأمور الآتية:

- معرفة معاني الألفاظ وما يُراد بها.

---

(١) يراجع: شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذي ١/ ١٠٢، والخصائص لابن جني ٣/ ٢٦٤، ومفهوم التَّدَبُّر عند اللغويين د. عويض العطوي ص٣٠.

- تأمُّل ما تدل عليه الآية أو الآيات مما يُفهم من السياق أو تركيب الجُمل.
- اعتبار العقل بحُججه، وتحرك القلب ببشائره وزواجره.
- الخضوع لأوامره، واليقين بأخباره.

ومن خلال التأمل في مفهوم التَّدَبُّر يتبين أنه يتضمن عدَّة أمور:

الأول: الاستماع، أو القراءة؛ نظراً أو حفظًا.

والثاني: معرفة المعاني، والتفسير جملة.

والثالث: حضور تأثر القلب، وخشوعه.

والرابع: التطبيق؛ بانسياق الجوارح للعمل.

والخامس: معرفة مراد الله تعالىٰ، ومقاصد الآيات (وهذا هو التفسير).

والسادس: الوصول للمعاني واللطائف الدقيقة المركبة (وهذا هو الاستنباط).

واجتماع هذه الأمور الستة يمثل أعلىٰ درجات التَّدَبُّر، وقد يتخلّف شيء منها فيكون القارئ حينئذ متدبراً، ولكن علىٰ درجة ما، ولعله يرقىٰ إلىٰ الكمال بالدُّرْبة والمران -بإذن الله تعالىٰ- إذا صلحت نيته، وصفا قلبه، وأخذ بما يعينه علىٰ الترقي في ذلك، رائده في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنفال: ٧٠].

تنبيه:

إنَّ التَّأَثُّر البدني من سماع القرآن، كالقشعريرة التي تصيب الإنسان، والخشوع الذي يلحقُه، قد يكون بسبب التَّدَبُّر، وقد لا يكونُ، فالتَّدَبُّر عمليَّةٌ عقليَّةٌ تحدثُ في الذِّهنِ، والتَّأَثُّرُ انفعالٌ في الجوارحِ والقلبِ، فهذا التأثر بسبب التَّدَبُّر.

وقد يكونُ تأثر الإنسانِ بسببِ روعةِ القرآنِ ونظمه(١).

(١) ينظر: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتَّدَبُّر: د. مساعد بن سليمان الطيَّار، ص٢٠٤.

المعيار الثاني: المصطلحات والمفاهيم القريبة من معنى «التَّدَبُّر»:

قد يبدو للوهلة الأولىٰ أنَّ بعضًا من المصطلحات والمفاهيم القريبة من معنىٰ «التَّدَبُّر» تتداخل معه وتلتبس به، كالاستنباط والتفكُّر والتعقُّل...والأمر بخلاف ذلك، فالقرآن استعمل كلاً علىٰ حِدة؛ لذا كان لزامًا أن نقف علىٰ أهم المعالم لكل مصطلح منها كما يلي: -

أولاً: الاستنباط:

١-مفهوم الاستنباط: هو الاستخراج، مأخوذ من «نَبَط»، ومعناه: استخراج الخفيّ، يقال: نَبَطَ الشيء نَبطًا ونُبُوطًا؛ ظهر بعد خفائه، واسْتنبط الفقيه: إذا استخرج الفِقه الباطن باجتهاده وفَهْمه، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: ٨٣]، أي: يستخرجونه، وأصله من النَّبَط، وهو الماء الذي يخرج من البئر أوّلَ ما تُحفر[(١)].

فالاستنباط يعني: استخراج المعاني الخفية التي تدِقّ علىٰ الأفهام من النصوص، بعد جهد وتأمُّل واستعمال وجهٍ من وجوه الدلالة عليه، وهذه مرحلة لا تستقيم إلا بعد التفسير.

٢- العلاقة بينهما: الاستنباط أخصُّ من التَّدَبُّر، وأدقُّ منه، والتَّدَبُّر أصلٌ للاستنباط.

فأما كونه أخصّ؛ فلأنه خاص بالعلماء والمتخصّصين، بخلاف التَّدَبُّر فهو

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٨٣، وتهذيب اللغة للأزهري ١٣/ ٢٥٠، ومقاييس اللغة ٥/ ٣٨١، والمعجم الوسيط ٢/ ٨٩٧ مادة «دبر».

عام؛ بدليل مخاطبة الكفار والمنافقين وعموم المؤمنين به في آي القرآن[١].

وأما كونه أدقّ؛ فلأنه يحتاج إلىٰ جهد أكثر، وتكلّفٍ ومعاناةٍ فكريةٍ أعظم، وذلك بناء علىٰ اشتقاقه واشتماله علىٰ الألف والسين والتاء الدالات علىٰ ذلك[٢]، بخلاف التَّدَبُّر.

وأما كون التَّدَبُّر أصلاً؛ فلأنه متقدِّم عليه وسابق له، فلا يمكن الاستنباط من النص قبل تدبّره، والوقوف علىٰ معانيه ومراميه، فأفهام الناس متباينة ومتفاوتة.

وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم: "والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص، وأنَّ منهم من يفهم من الآية حُكماً أو حُكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكامٍ أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم علىٰ مجرد اللفظ دون سياقه، ودون إيمائه وإشارته.. وأخصُّ من هذا وألطف ضمّه إلىٰ نص آخر متعلّق به، فيُفْهِم من اقترانه به قدراً زائداً علىٰ ذلك اللفظ بمفرده، وهذا بابٌ عجيبٌ مِن فَهْم القرآن لا يَتَنبّه له إلا النادر من أهل العلم..."[٣]، نسأل الله تعالىٰ أن نكون منهم أجمعين.

❁ ثانياً: التفسير:

١- مفهوم التفسير: مأخوذ من (الفَسْر) ويعني: البيان وكشْفُ ما غُطِّي، يقال: فَسَر الشيءَ يفسِرُه بالكسر، ويَفْسُرُه بالضم فَسْراً، وفَسَّرَهُ: أَبانه،

---

(١) فخاطب المنافقين في [النساء:٨١]، و[محمد: ٢٤]، وخاطب المشركين في [المؤمنون: ٦٦-٧٠]، وخطاب عموم المؤمنين في [ص:٢٩]، وسيأتي تفصيلها بإذن الله.

(٢) يراجع: التَّدَبُّر حقيقته وعلاقته بمصطلحات التأويل والاستنباط والفهم والتفسير، أ.د. عبدالله سرحان ص٢٠٥.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ٣٥٤، وتحرير مفهوم التَّدَبُّر د. فهد الوهبي ص١٠٢ بتصرف.

والتَّشْديد أَعَمُّ، وبه جاء قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، أي: بيانًا وتفصيلًا[١].

وعلىٰ هذا فالمادة تدور في اللغة حول معنىٰ «**التوضيح والبيان**»، هذا، ويُعرَّف التفسير في أبسط تعاريفه بأنه: «علمٌ يُعرف به فهْم كتاب الله المنزّل علىٰ نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه»[٢].

٢- الفرق بين التَّدبُّر والتفسير: لا بد أن ندرك أن التَّدبُّر غير التفسير، وإن كان بعض العلماء -والمعاصرين منهم بالذات- قد استعملها علىٰ سبيل الترادف، وهذا غير صحيح؛ إذ التفسير شيء والتَّدبُّر شيء آخر، وهذا يتضح من خلال النقاط الآتية:

- **إنّ صناعة التفسير والاستنباط تخصّ فئة محصورة**، وهم: أهل الاجتهاد من العلماء ممن يفتون ويقضون في النوازل، وفي ذلك نزل قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[النساء: ٨٣]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢].

أما التَّدبُّر فلعامة المخاطبين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

ومن هنا نخرج بخلاصة مفادها: أنَّ المفسر عالمٌ وفقيهٌ مطلعٌ علىٰ الحقائق القرآنية والأحكام الشرعية، ووظيفته: تبيينها للناس، بينما المتدبر لا

---

(١) يراجع: جامع البيان ١٩/ ٢٦٧، وتهذيب اللغة ١٢/ ٢٨٣، ولسان العرب ٥/ ٥٥، وتاج العروس ١٣/ ٣٢٤ «فسر».

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ١٣.

يعدو كونه متعظًا وواعظًا، وقد يجمع الله له بين الخيرين، علىٰ أنَّ العالم الحق لا يصح له إلا أن يكون: عالمًا ومفسراً ومتدبراً للقرآن، ومن هنا يمكن لنا أن نقول: كل مفسرٍ أو عالمٍ متدبرٌ، وليس كل متدبرٍ مفسرٌ أو عالمٌ.

- **دائرة التَّدَبُّر أوسع من دائرة التفسير:** حيث إنَّ العلماء اشترطوا للمفسِّر شروطًا وعلومًا لا بد أن يحصِّلها حتىٰ لا يُتقوّل علىٰ الله تعالىٰ بغير علم[(١)]، أما التَّدَبُّر فخوطب به الجميع، كلٌ حسب طاقته، لكن ينبغي أن ينضبط ليكون في أعلىٰ درجات الصحة والقبول، وبناءً علىٰ هذا يكون التَّدَبُّر أعم من التفسير.

- **لم يرد لفظ "التفسير" في القرآن إلا في موطنٍ واحدٍ بصيغة التمييز المسبوق بأفعل التفضيل:** ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾، وذلك بخلاف «التَّدَبُّر» فإنه ورد أربع مرات وبصيغة الفعل المسبوق بالاستفهام الإنكاري لترْك التَّدَبُّر في ثلاث آيات، وبالأمر الصريح في الآية الرابعة، وهذا للدلالة علىٰ أن التَّدَبُّر فرضٌ واجبٌ علىٰ المخاطبين، وهذا ما حدا ببعض العلماء أن يصرِّح بوجوب «التَّدَبُّر» فقال معلقًا علىٰ آية التَّدَبُّر في سورة النساء: «ودلت هذه الآية وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، علىٰ وجوب التَّدَبُّر في القرآن ليُعرف معناه...»[(٢)].

- **أنَّ المقصود الأصلي للتفسير هو بيان مراد كلام الله تعالىٰ**، ومقصود التَّدَبُّر هو الاتعاظ والاعتبار[(٣)].

---

(١) للوقوف علىٰ هذه العلوم يراجع: البرهان الزركشي ٢/ ١٦٨، والإتقان للسيوطي ٤/ ٢١٣ وتجدر الإشارة هنا إلىٰ أن السيوطي ذكر ستة وأربعين عِلمًا ينبغي للمفسر أن يحصّلها ويتقنها.

(٢) يراجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/ ٢٩٠، والتَّدَبُّر حقيقته د. سرحان ص ٢١٣ بتصرف.

(٣) ينظر: التَّدَبُّر عند المفسرين د. فهد الوهبي ص١١١.

- **أنَّ فهم الخطاب عموماً ملازمٌ للتَّدَبُّر**، فلا يحصل التَّدَبُّر من غير معرفة المعنىٰ العام، فهماً كلياً عاماً ولو إجمالاً؛ إذ لا يشترط فيه الوقوف علىٰ أقوال المفسرين، والتحقق منها، والغوص في دقائق التفسير وأدواته، أي: فيمكن لأيِّ فردٍ أن يتدبر القرآن بعد معرفة المعنىٰ الإجمالي للآية.

أمّا التفسير فيحتاج لأدواتٍ أخرىٰ لمعرفة مراد الله من كلامه؛ كأسباب النزول، وأقوال السلف، وغيرها.

- **التفسير بيان مراد كلام الله تعالىٰ، والتَّدَبُّر بيان النفس** عما مسَّها من كلام الله تعالىٰ وما أثار من كوامنها، وما تختاره بعد ذلك من التأثر والانقياد، والله أعلم[١].

إنَّ التفسير مأخوذ من الفَسْر وهو الكشف والبيان، ولذا سميت الكتب التي بينت كتاب الله تفسيراً؛ لأنها تكشف عن المعاني اللغوية والسياقية والشرعية عن طريق الأخذ بقواعد التفسير المعروفة عند أهله[٢]، وهذا ما يُعرف بعلم التفسير.

أما التَّدَبُّر من التَّفَعُّل، فهو: النظر إلىٰ دبر الشيء[٣]، أي: التأمل في عواقب الأمور المتوقعة ودوابرها، أي: النظر إلىٰ عاقبتها، وما يمكن أن تصير إليه، كما يدخل فيه النظر في دوابر الأمور الواقعة من قبل، وذلك لمعرفة أسبابها ونتائجها ومقدماتها؛ لأن التَّدَبُّر هو عملٌ قلبيٌّ شخصيٌّ، ونظرٌ يجول في النفس، فلا ينوب فيه أحدٌ عن أحدٍ، فلا يستطيع أن ينوب عن غيره في التقوىٰ والخشوع والخوف والرجاء، وهذا مُنْتَفٍ عقلاً وطبعاً وشرعاً.

---

(١) ينظر: تحليل مناهج معاصرة للتَّدَبُّر وتقويمها د. نايف الزهراني ص٦.

(٢) ينظر: التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي، ص ٢٦٠.

(٣) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ص ١٦٤، والتوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ١٦٤.

- **العلماء يقولون: الفهم نوعان؛** الأول: فهمٌ ذهني معرفي، والثاني: فهمٌ قلبي إيماني:

فالنوع الأول: يدخل فيه تفسير الغريب، واستنباط الأحكام، وأنواع الدلالات، وهو الذي يختص بأهل العلم علىٰ تفاوت مراتبهم، وهم يغترفون من علومه علىٰ قدر ما آتاهم الله تعالىٰ من العلم والفهم؛ **فهذا التفسير**.

والنوع الثاني: هو الفهم الإيماني القلبي الذي ينتج عن تأملِ القارئ لما يمرُّ به من آيات كريمة، يعرف معانيها، ويفهم دلالاتها، فيتوقف عندها متأملاً؛ ليحرك بها قلبه، ويعرض نفسه وعمله عليها، فإن كان من أهلها حمد الله، وإن لم يكن من أهلها حاسب نفسه واستعتب؛ **فهذا التَّدَبُّر**.

قال الحسن البصريُّ: «والله ما تَدَبُّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتىٰ إنَّ أحدَهم ليقول: قرأتُ القرآن كلَّه ما يُرىٰ له القرآنُ في خُلقٍ ولا عملٍ»[(١)].

ويقول: «العلم علمان: فعلمٌ في القلب فذاك العلم النافع، وعلمٌ علىٰ اللسان فذلك حجة الله علىٰ ابن آدم»[(٢)].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣/ ٣٦٣ ح(٥٩٨٤)، وابن المبارك في الزهد ص٢٧٤ ح(٧٩٣)، والفريابي في فضائل القرآن ص٢٤٦ ح(١٧٧)، والآجري في أخلاق حملة القرآن ص٤١، والمروزي في قيام الليل ص٧٦، وابن أبي حاتم كما في تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٦٤.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه عن الحسن موقوفاً ومرسلًا في كتاب العلم باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله ص١٩٦ رقم (٣٩٤-٣٩٥)، والحسين المروزي في زياداته علىٰ الزهد والرقائق لابن المبارك مرسلاً ١/ ٤٠٧ ح(١١٦١)، وابن أبي شيبة في مصنفه مرسلاً ٧/ ٨٢، ح(٣٤٣٦١)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله مرسلاً ١/ ٦٦١ ح(١١٥٠)، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ٢/ ٣٠٣، والمنذري في الترغيب والترهيب ١/ ١٠٣ وقال: «رواه الخطيب في تاريخه بإسناد حسن، وابن عبدالبر النمري في كتاب العلم عن الحسن مرسلاً بإسناد صحيح، وانظره فيه ١/ ١٩٠-١٩١»، وحسنه السيوطيٰ في الجامع الصغير رقم(٥٧١٧)، وقال المناوي: «قال العراقي: جيد، وقال السمهودي: إسناده حسن، ورواه أبو نعيم والديلمي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعـًا»، فيض القدير ٤/ ٣٩، وينظر: الدر المنثور ٧/ ٢١.

ونقل ابن القيّم عنه قولَه: «نزل القرآن ليتدبر ويعمل به، فاتخَذوا تلاوته عملاً»(١).

ثمّ يُعقّب ابن القيّم علىٰ كلام الحسن فيقول: «فليس شيءٌ أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلىٰ نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجمع الفكر علىٰ معاني آياته، فإنّها تطلع العبد علىٰ معالم الخير والشر بحذافيرهما»(٢).

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إنَّا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإنَّ مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به»(٣).

- **من تأمل القرآن**، وجد أنَّ القضايا الكلية الكبرىٰ واضحةٌ جداً، بحيث يفهمها عامة من يتكلمون اللغة العربية، كقضايا التوحيد، واليوم الآخر بوعده ووعيده وأهواله، وأصول الأخلاق الكريمة والرديئة، وكثير من أحكام الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والمعاملات والأنكحة والجنايات، وغير ذلك(٤).

۞ ثالثا: التأويل:

١- **مفهوم التأويل:** مأخوذ من الأَوْل وهو الرجوع، يقال: آل الشيءُ، يَؤُول أَوْلاً ومآلاً: رَجَع، وأَوَّل إليه الشيءَ رَجَعَه، وأُلْتُ عن الشيء: ارتددت عنه، ويقال أيضًا: وتَأَوَّله: فَسَّره، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ

---

(١) مدارج السالكين، ابن القيّم ١/ ٤٥١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) لم أقف عليه إلا عند القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٠، قال: «وذكر أبو بكر الأنباري: حدثني محمد بن شهريار، حدثنا حسين بن الأسود، حدثنا عبيد الله بن موسىٰ، عن زياد بن أبي مسلم أبي عمرو، عن زياد بن مخراق قال: قال عبدالله بن مسعود...» فذكره.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٨٣.

﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ٣٩]، أَي: لم يكن معهم علم تأْويله، أي: تفسيره[١].

ومن خلال ماسبق يتبين أنَّ التأويل يأتي في اللغة علىٰ معنيين:

أولهما: الرجوع إلىٰ المآل والمصير.

وثانيهما: التفسير.

والتأويل بمعناه الأول يلتقي مع التَّدَبُّر، حيث إنهما يجتمعان في دلالة المآل والعاقبة والمصير.

٢- يفترق التأويل عن التَّدَبُّر من عدّة أوجه كما يلي:

الأول: أن التَّدَبُّر أعمُّ من التأويل؛ وذلك لأنَّ التَّدَبُّر يتعلَّق بجميع القرآن الكريم محكمه ومتشابهه، وأمَّا التأويل فيتعلق في القرآن بأمرين:

١- حقائق المغيبات، مثل: حقيقة الروح، ومتىٰ الساعة، وحقيقة البعث، والجنة، والنار...وغيرها، وهذه هي التي لايعلمها إلا الله تعالىٰ.

٢- المتشابهات التي تحتمل أكثر من دلالة؛ لخفاء في اللفظ أوالمعنىٰ، أو هما معـاً، وهذا هو محل النظر دون الأول.

كما أنَّ المخاطبين بالتَّدَبُّر جميعُ المكلفين، بخلاف التأويل فالمعنيّون به طائفة مخصوصة من العلماء الراسخين ومن كان في حكمهم، علىٰ نحو ما ورد في آية آل عمران[٢].

---

(١) لسان العرب ١١/ ٣٢ «أول».

(٢) وهي قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧].

الثاني: الذي يعلم المُؤوَّل على الحقيقة هو الله تعالى وحده، فهو مختص بتأويل الأمور الغيبية كالروح، والقيامة، والجنة، والنار...ونحوها.

أما نطاق التَّدَبُّر فأوسع؛ لمخاطبة الجميع به، وعليه فالمتدبِّرون أكثر من المتأوِّلين.

الثالث: التأويل قسمان: مذمومٌ ومحمودٌ، فالمذموم هو الذي يتتبع صاحبه الآيات المتشابهة، ويفسّرها على هواه، وهذا لا يقع إلا من الذين في قلوبهم زيغ.

والمحمود الذي يُعنى أصحابه -وهم الراسخون- بالمتشابهات التي تحتمل أكثر من معنى لخفاء في اللفظ أو المعنى أو هما معًا، فيتتبعونه بغرض فهمه وتفسيره، وبيان الحكمة من وروده...بخلاف الزائغين.

وهذا التأويل المحمود يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتَّدَبُّر، فمن لا يتدبر الآية بقلبه فلن يفهم المراد منها، ولن يستطيع ردّ المتشابه إلى المحكم[1]، والله أعلم.

۞ رابعاً: التفكُّر:

١-مفهوم التفكر: يقال: فَكَرَ في الأمر فِكْراً، أي: أعمل العقل فيه، ورتَّب بعض ما يُعلم ليصل به إلى مجهول، والاسم: الفِكْرُ والفِكْرةُ، والمصدر: الفَكْرُ بالفتح، وبابه نَصَر، ورجل فِكّيرٌ بوزن سكِّيت كثير التفكُّر، وفَكَّر في الأمر مبالغةٌ، وهو أشيع في الاستعمال من فكَر، وفكّر في المشكلة: أعمل عقله فيها ليتوصل إلى حلها[2].

وردت مادة (فكر) في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعًا[3]، ولم ترد

---

(١) التَّدَبُّر د. عبدالله سرحان ص٢٠٠ بتصرف.

(٢) ينظر: مختار الصحاح ص٥١٧، ولسان العرب ٥/ ٦٥، والمعجم الوسيط ٢/ ٦٩٨ «فكر».

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٥٢٥ مادة «ف ك ر».

بصيغة الاسم أو المصدر، وإنّما جاءت في صيَغ فعليّة، مثل: «فكَّر»، «يتفكرون»، «تتفكرون».

ويرىٰ الرازي أنَّ الفكر والنظر مسميان لمعنىٰ واحد، فـ«النظر والفكر عبارة عن ترتيب مقدمات علمية أو ظنية، ليتوصل بها إلىٰ تحصيل علمٍ أو ظنٍ»[١].

وقال الراغب: «النَّظَرُ: تَقْلِيبُ البَصَرِ والبصيرةِ لإدرَاكِ الشيءِ ورؤيَتِهِ، وقد يُرادُ به التَّأَمُّلُ والفَحْصُ، وقد يراد به المعرفةُ الحاصلةُ بعد الفَحْصِ، وهوالرَّوِيَّةُ، يقال: نَظَرْتَ فلم تَنْظُرْ، أي: لم تَتَأَمَّلْ ولم تَتَرَوَّ، وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١] أي: تَأَمَّلُوا»[٢].

ويأتي التفكير في القرآن بمعنىٰ النظر العقلي والتأمّل، والانتقال من المقدمات العلمية أو الظنية إلىٰ ما يترتب عليها من نتيجة علمية أوظنية، قال صاحب المنار: «واستعمال القرآن للتَّفكُّر والتَّفكير يدلُّ علىٰ أنَّهما في العقليَّات المحضة أو في العَقلِيَّات الَّتي مبادئُها حسِّيَّاتٌ...وأكثر ما استعملهُ التَّنزيلُ في آياتِ اللهِ ودلائل وجودهِ ووحدانيَّتهِ وحكمتهِ ورحمتهِ»[٣].

ومما سبق يتبين أنَّ:

١/ **التفكّر** يعني: إعمال العقل وتأمّله في أمرٍ ما ليُتوصل به إلىٰ نتيجة ما، أو حلٍّ لمشكلةٍ معينةٍ.

أو هو: «جَوَلان القوّة الـمُطرِقة للعلم إلىٰ المعلوم بحسب نظر العقل، وقيل: فَرْك معاني الأمور وبحثها طلباً للوصول إلىٰ حقيقتها»[٤].

---

(١) معالم أصول الدين للرازي، ص٢٠.

(٢) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص٤٩٩.

(٣) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، ٩/ ٣٨٥.

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٦٤٣ بتصرف «فكر».

٢/ يغلب على آيات التفكر أسلوب الحثِّ، حيث تكرّرت جملة: ﴿لِقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في سبعة مواطن من آيات التفكر، فضلاً عن أربعةٍ أخرىٰ بصيغة الخطاب من مجموع ثمانية عشر موضعًا في القرآن، وهذا يدل علىٰ أنَّ التفكر يخاطب به الجميع، وهذا مماثلٌ للتَّدَبُّر، فخوطب به الجميع.

٣/ والتَّدَبُّر: هو النظر في عواقب الأمور، فهو تصرف القلب بالنظر في الدليل والعواقب.

ومِن ثَمَّ يكون للتَّدَبُّر معانٍ فكرية وروحية، تتصل بمقامات التعبد، والتقرب إلىٰ الله، واتصال أشواق الروح به سبحانه، بخلاف «التفكر» الذي يقترب في مهامه من مقاصد المعرفة واستكشاف الدلائل والأحكام؛ المستلزمة للتعبد والخضوع والاستسلام لله.

ويمكننا أن نضيف هنا جانبين لمفهوم التَّدَبُّر:

جانب مباشر: وهو التحديد، فحينما يذكر «التَّدَبُّر» في آية، أو مقام شرح، أو توضيح له في القرآن، فإنه لا يبتعد كثيراً عن السابق.

وجانب غير مباشر: وهو عبارةٌ عن ممارساتٍ عمليةٍ تشمل أي مسلك تعبدي روحي، كالصلاة، أو الصوم، أو الزكاة...وتشمل أيضًا القربات الأخرىٰ التي يتقرب بها العبد إلىٰ ربه، بتنفيذ الأوامر واجتناب النواهي، ومِن ثَمَّ الأخذ بكل ما هو نافع ومفيد؛ كثمرة للتَّدَبُّر بالاستجابة.

٢- الفرق بين التَّدَبُّر والتفكّر:

الأول: أنَّ التفكّر يختلف عن التَّدَبُّر؛ وذلك لأنَّ متعلَّقه مختلفٌ عن متعلَّق التَّدَبُّر، فالتفكر في الآيات المتلوة والمشاهدة في الكون والنفس، مثل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩١-١٩٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

أما التَّدَبُّر فمتعلَّقه **الآيات المتلوة دون غيرها**، فيختص التَّدَبُّر بتحصيل الذكرىٰ عن طريق النظر في الآيات القرآنية، بينما يختص التفكر بتحصيل الذكرىٰ بالآيات الكونية، هذا هو الغالب.

ولكن مع هذا يؤول أحدهما إلىٰ الآخر، أي: أنه توجد علاقة جدلية بينهما، فالتَّدَبُّر للقرآن يقودك إلىٰ التفكر في الوجود، والتفكر في الوجود يعود بك إلىٰ تدبر القرآن، وهما في جميع الأحوال يثمران تذكراً للقلب وذكرىٰ، ولعل في قول الرسول ﷺ: **«ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها»**(١)، دليلٌ علىٰ ذلك، فقوله ﷺ: **«ولم يتفكر فيها»** هو بمعنىٰ **لم يتدبرها**؛ لأنَّ تدبرها مُفْضٍ بالضرورة إلىٰ التفكر في خلق السموات والأرض، ولذلك عبر عنها بالتفكر،

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب التوبة، باب ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلىٰ لزوم البكاء علىٰ ما ارتكب من الحوبات... ح(٦٢٠)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

وأما وعيده ﷺ للممتنع عن التفكر بالويل فهو دليلٌ قويٌ علىٰ **وجوب التفكر والتَّدَبُّر** إجمالاً علىٰ جميع الناس؛ العالم منهم والعامي، ولكن كل حسب ما يسر الله له.

الثاني: مما يُفرّق به بينهما أنَّ التفكُّر «تصَرُّف القلب بالنظر في الدليل، والتَّدَبُّر تصَرُّفه بالنظر في العواقب»(١).

الثالث: التَّدَبُّر يتجاوز الحاضر إلىٰ المستقبل؛ لأنَّه يعني النظر العقليَّ إلىٰ عواقب الأمور، والتفكُّر جولان الفكر في الأمر الذي تكون له صورة عقليَّة عن طريق الدليل(٢)، والله أعلم.

۞ خامسا: التعَقُّل:

١- مفهوم التعقل: العَقْلُ: هو الحِجْر والنُّهىٰ، ضدُّ الحُمْق، وأصل العَقْل: الإمساك والاستمساك، ومنه عَقَلَ لسانه، أي: كفَّه، والرَجُل العاقل: هو الجامع لأَمره ورَأْيه، مأْخوذ من عَقَلْت البَعير، إِذا جَمَعْت قوائمه، وقيل: العاقلُ الذي يَحْبِس نفسه ويَرُدُّها عن هَواها.

والتعقُّل: التَّثَبُّت في الأُمور، وسُمِّي العَقل عَقلاً لأَنه يَعْقِل صاحبه عن التَّوَرُّط في المهالِك فيحبسه.

أو هو: القوّة المتهيّئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة عَقْلٌ(٣).

---

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي ص ١٦٧ بتصرف، والتعريفات للجرجاني ص٧٦.

(٢) الفرق بين التأمل والتَّدَبُّر والتفكر أ/ خالد الديهان بتصرف، بحث منشور علىٰ شبكة المعلومات الدولية، ورابطه:

http://www.bestlifeco.net/index.php?option=com_content&view=article&id=.

(٣) ينظر: لسان العرب ١١/ ٤٥٨، ومفردات الراغب ص٥٧٧ «عقل».

١- العلاقة بين التَّدَبُّر والتعقُّل في أمرين:

أولهما: أنَّ التعقل قائم في أصله اللغوي علىٰ المنع، ففيه معنىٰ يقضي بإدراك المعاني التي تَعْقل الإنسان وتمنعه من المخالفة، وهذا بخلاف التَّدَبُّر، فهو كما مر تعقُّب للوصول إلىٰ أدبار المعنىٰ.

ثانيهما: التَّدَبُّر طريق التعقّل، وترددت جملة ﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾: ثمان مرات، ونلمح هذا المعنىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، والله أعلم.

٢- الفرق بين التعقّل والتفكّر:

في ضوء استقراء وتدبّر الآيات القرآنيّة التي وردت فيها مشتقات «التعقّل، والتفكّر» نستطيع أن نستنتج بعض الملاحظات التي تساعدنا علىٰ فهم العلاقة بين **التعقّل والتفكّر** في استعمال القرآن، ونجمل هذه الملاحظات بالآتي:

- الفرق الجوهري من حيث المعنىٰ اللغوي بين التفكّر والتعقّل، هو أنّ التعقّل: ربط ومنع. والتفكّر: تقليب وترديد، فالقدرة التفكيرية تختلف عن القدرة العقلية.

- عمليّة التعقُّل خاصّة، يتّصف بها أهلُ العلمِ المنتج للإيمان الذين يتفكرون في الغاية من الخلق ويدركونها فقط، ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، أمّا الكفّار الذين لا يُدركون الغاية من الخلق؛ فصفة التعقّل منفيّةٌ عنهم: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، فعمليّة التفكّر عامّة يشترك فيها جميع الناس الذين يملكون عوامل التفكير.

- عمليّة التفكّر قد تنتج حكماً عقلياً صائباً، وقد تنتج فكراً منحرفاً

خاطئـًا: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٨-٢٠]، أمّا التعقّل فلا ينتج إلا صوابًا وحكمة.

- أنّ التعقُّل ليس هو التفكّر والتَّدَبُّر، وإنّما نتيجةٌ له، فقد يحصل تفكّرٌ أو تدبرٌ ولا يحصل منه تعقُّل، ولا تعقُّل بدون تفكرٍ أو تدبرٍ، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[النحل: ١١، ١٢]، وفي التَّدَبُّر ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

فعمليّة عَقْل الشيء تأتي مع تفكيرٍ وتدبرٍ له ولما يتعلّق به، وكلٌّ منها لازمٌ للوصول إلى الحكم العقلي الصحيح الذي يُعدُّ نتيجةً للنظر والاعتبار في النص أو الخلق.

سادسا: التأمُّل[1]:

١- مفهوم التأمل: التَّأَمُّل: هو التَّثَبُّت، يقال: تأَمَّلت الشيءَ، أَي: نظرت إِليه مُستثْبِتًا له، ويقال: تَأَمَّل الرجل، أي: تَثَبَّت في الأمر وتحقَّق منه[2]، وعليه فالتأمّل يعني: تدقيق النَّظر في الأمور بغرض التثبّت والتحقق، أو الاتعاظ والتذكّر.

٢- الفرق بين التَّدَبُّر والتأمّل في أمور ثلاثة:

الأول: التأمّل أعمُّ من التَّدَبُّر، حيث عرّفه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبّره وتعقُّله»[3]، فجعله

---

(١) لم ترد صيغة «التأمل» في القرآن الكريم ولا مشتقاته إلا لفظ «الأمل» ووردت في موضع واحد في سورة الحجر/ ٣، ولفظة «أملا» وردت أيضًا في موضع واحد من سورة الكهف/ ٤.

(٢) لسان العرب ١١/ ٢٧ «أمل» بتصرف.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٤٥١ بتصرف.

جامعـاً للوقوف علىٰ المعـاني، ثـم تحديـق النظـر فيهـا، ثـم جَمْع الفكـر علىٰ تدبرهـا وتعقلهـا، بخـلاف التَّدَبُّر فهـو الفكـر الواصـل إلىٰ أواخـر دلالات الكلام وأدبارهـا.

الثاني: أن التَّدَبُّـر مـن عمـل القلـب وحـده، ولا يُشـترط فيـه الديمومـة والاستمرار، بخـلاف التأمّل فهـو يحتـاج إلىٰ طـول وقـتٍ وتـأنٍ وتثبّـتٍ في الأمور، ورُوعـي فيـه إدامـة النَّظـر، ومِـن ثَـمَّ فـلا تكـون النَّظـرة الواحـدة تأمُّـلاً.

الثالث: أنَّ التأمُّـل قـد يحـدث بالبصـر وحـده، أو بالبصـر يعقبـه التفكّـر، أمـا التَّدَبُّـر فيكـون في دلالـة ومـآلات المعـاني التـي تؤثـر بالبصيـرة(١)، والله أعلـم.

سابعاً: التفَهُّم:

١- مفهوم التفهم: التفهُّـم أوالفَهْـمُ هـو: هيئـة للإنسـان بهـا يتحقّـق معـاني مـا يحسـن، أو هـو معرفـة المعْنَىٰ مـن اللفـظ بالقلـب، يقـال: فَهِمْتُ الشـيء فَهْمـاً، أي: علمتـه، وفـلانٌ فَهِـمٌ، وقـد اسْتَفْهَمَني الشـيء فأفْهَمْتُـهُ، وفَهَّمْتُهُ تَفْهيمـاً، وتَفَهَّمَ الكـلامَ، إذا فَهِمَـهُ شـيئاً بعـد شـيء، وقولـه: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، إمّـا بـأن جَعَـل اللّـه لـه مـن فضـل قـوّة الفهـم مـا أدرك بـه ذلـك، وإمَّـا بـأن ألقىٰ ذلـك في رُوعـه، أو بـأن أوحـىٰ إليـه وخصّـه بـه(٢).

وعليـه **فالمراد بالفَهْم**: هيئـة حاصلـة للإنسـان يـدرك بهـا معـاني الألفـاظ وحقائـق الأمـور.

٢-العلاقة بين الفهْم والتَّدَبُّر في الأوجه الآتية:

الأول: الفَهْـم أصـلٌ للتَّدَبُّـر ومقـدَّمٌ عليـه، فـلا يُتصـوَّر تدبـر كلام مـن دون فهمـه والوقـوف علىٰ معانيـه العامَّـة.

---

(١) ينظر: الفرق بين التأمل والتَّدَبُّر والتفكر أ/ خالد الديهان بتصرف.

(٢) الصحاح للجوهري ٥/ ٢٠٠٥، ومفردات الراغب ٦٤٦، وتاج العروس٣٣/ ٢٢٤.

الثاني: التَّدَبُّر أعمُّ وأعمقُ من الفهم، فأما **كونه أعم؛** فلأنَّ التَّدَبُّر يشمل الفهم والتَّدَبُّر معـًا، فلا يُعقل تدبر من غير تفهُّم، وأما **كونه أعمق؛** فلأنَّه غوْص في الحِكَم والأسرار وما وراء النصوص، ونحو ذلك، بخلاف الفهم؛ فيُكتفىٰ فيه بالوقوف علىٰ المعاني الظاهرة دون تطلُّبٍ لما سواها.

الثالث: يُفرّق بينهما أنَّ الفهْم لم يرد في القرآن إلا بصيغة فريدة: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾، بخلاف التَّدَبُّر فإنه ورد أكثر من مرة، مما يدل علىٰ أهميته والتأكيد علىٰ طلبه والحضِّ عليه[١].

الرابع: صيغة المضعَّف التي ورد بها مصطلح الفهم في القرآن للدلالة علىٰ التكثير، أما صيغة **التَّدَبُّر** فهي للدلالة علىٰ التتبُّع والتدرُّج والتعقّب للوصول إلىٰ أدبار المعاني[٢]، والله أعلم.

وبعد: فإنَّ هذه المصطلحات السابقة تُعدُّ بمثابة درجات في فهم القرآن والتعامل معه، ولا بد أن نفهم أنَّ الناس درجات ومستويات في التَّدَبُّر والاستنباط والتفسير والتأويل والتفكّر والتأمّل والتعقُّل والتذكُّر والتفهم، ولن يُحرم أحدنا إحدىٰ هذه الدرجات بإذن الله مع كلام الله تعالىٰ؛ بل لا عُذر له ألبتة في تركها أو أيٍّ منها، كما أنَّه من الواضح البيِّن عدم ترادف هذه الألفاظ، وأنَّ لكل منها معنىٰ خاصـًا به يميزه عن غيره، ولا أدل علىٰ ذلك من استعمال القرآن الكريم لكل ما نقل منها علىٰ حِدة في سياقٍ مستقلٍ، ولم يُعَبِّر عن الجميع بلفظ واحد، والله أعلم.

---

(١) التَّدَبُّر د. عبدالله سرحان ص٢١٠ بتصرف.

(٢) المصدر نفسه ص٢١٠ بتصرف.

المعيار الثالث: فضل التَّدَبُّر:

لا شك أن النصوص الشرعية جاءت دالّة علىٰ الاعتناء بالقرآن الكريم اعتناء خاصّا، بغرض الانقياد لحُكمه، والإقبال علىٰ أحكامه، والمشي خلفه، من خلال اتباع منهج خاص في التعامل مع القرآن الكريم؛ تلاوة **وتدبّراً**.

١ - الأمر بالتَّدَبُّر والترغيب فيه في ضوء القرآن الكريم:

لا شكّ أن القرآن الكريم قد أشاد بكلّ الألفاظ والصيغ التي جاءت في إطار **التَّدَبُّر والتأمّل** بما يفيد الأمر والترغيب فيه **بلفظ صريح في أربعة مواضع:**

قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

وبألفاظ غير صريحة تحمل في مضامينها مفهوم التَّدَبُّر، كالتفقّه، والتعقّل، والتبصّر، والتفكّر، والتذكّر، وغير ذلك من المفردات.

والصيغ التي مفادها التَّدَبُّر والتأمُّل في آيات القرآن الكريم:

قوله تعالىٰ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧].

وقد تضمّنت هذه الآيات وجوب التَّدَبُّر، وقد أشار إلىٰ ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالىٰ، حيث قال: «يقول تعالىٰ آمراً عباده بتدبّر القرآن، وناهياً لهم عن الإعراض عنه، وعن تفهّم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة، ومخبراً لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب، ولا تضادّ ولا تعارض؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، فهو حقٌّ من حقٍّ»(١).

كما تضمَّنت هذه الآيات **التوبيخ والإنكار** علىٰ من أعرض عن **تدبُّر كتاب الله**، وقد ذمَّ جلَّ وعلا المعرِض عن هذا القرآن العظيم في آيات كثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ [الكهف: ٥٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ﴾ [السجدة: ٢٢].

ومعلوم أن كل من لم يشتغل **بتدبُّر آيات القرآن العظيم**، أي: تصفُّحها وتفهُّمها، وإدراك معانيها، والعمل بها، **فإنه مُعرِضٌ عنها، غير متدبِّر لها**، فيستحقُّ الإنكار والتوبيخ المذكورَين في الآيات، إن كان الله أعطاه فهماً يقدر به علىٰ التَّدَبُّر.

ويوم القيامة يشكو النبيُّ ﷺ إلىٰ ربّه **هجران قومه القرآن**، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠].

قال ابن كثير: «وترْك تدبره وتفهمه من هجرانه»(٢)، وقال ابن القيم: «هجر القرآن أنواع... الرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه»(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٣٦٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ١٠٨
(٣) بدائع التفسير لابن القيم ٢/ ٢٩٢.

وذكر المفسرون: أن **ترك تدبّره وتفهّمه**، هو من **هجرانه**، وترك الإيمان به وتصديقه، والعمل به، وامتثال أوامره، واجتناب زواجره، هو من **هجرانه**، والعدول عنه إلىٰ غيره من شعرٍ، أو قولٍ، أو غناءٍ، أو لهوٍ، أو كلامٍ، أو طريقةٍ، أو منهجٍ مأخوذٍ من غيره، هو أيضًا من **هجرانه**[(١)].

٢- الأمر بالتَّدَبُّر والترغيب فيه في ضوء السنة النبويَّة:

كانت **للنبيّ ﷺ** مع **تدبّر القرآن الكريم** أحوال عالية وراقية، سجَّلتها سيرته العطرة، وسنَّته الطاهرة ﷺ، كيف لا! وهو القدوة والأسوة الحسنة للبشرية قاطبة وإلىٰ يوم الدين؛ في جميع حركاته وسكناته، وبالخصوص في تعامله مع القرآن، تلاوةً واستماعًا وتدبّراً.

ولم ترد أحاديث صريحة مرفوعة للنبي ﷺ تأمر بتدبر القرآن الكريم، ولكن هناك بعض الأحاديث التي تدل علىٰ اهتمامه ﷺ بسماع القرآن الكريم وتأثره به وترديده للكثير من الآيات القرآنية؛ منها:

ما رواه عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي النَّبيُّ ﷺ: «**اقرأ عليَّ القُرآن**»، قلتُ: آقرأُ عليكَ وعَليكَ أُنزِل؟! قال: «**إنِّي أُحبُّ أن أسمعهُ من غَيري**»[(٢)]، قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يحتمل أن يكون كي **يتدبّره ويفهمه**، وذلك أن المستمع **أقوىٰ علىٰ التَّدَبُّر**، ونفسه أخلىٰ وأنشط من نفس القارئ؛ لأنه في شُغْلٍ بالقراءة وأحكامها»[(٣)].

---

(١) ينظر: جامع البيان ١٩/ ٢٦٤، ومعالم التنزيل ٦/ ٨٢، والجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٧، وتفسير القرآن لابن كثير ٦/ ١٠٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير باب: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ﴾ ح(٤٥٨٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتَّدَبُّر ح(٨٠٠).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/ ٢٧٧-٢٧٨.

وقد بيّن **النبي** ﷺ أن المشتغلين بذلك هم **خير الناس**، كما ثبت عنه ﷺ من حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلّمه**»[(١)]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وما رواه أبو ذرّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قام النَّبيُّ ﷺ، حتَّىٰ أصبح بآيَةٍ، والآية ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨][(٢)]، فرسول الله ﷺ يقرأ آية واحدة في ليلة كاملة يتدبرها.

وعن جندب، بلغه عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أو سمعه عن النبيّ ﷺ: «ذكر ناسًا يقرءون القرآن، ينثرونه نثر الدقل[(٣)]، يتأولونه علىٰ غير تأويله»[(٤)]، قال المباركفوري: «أي: يرمون بكلماته من غير روية وتأمّل، كما يرمىٰ الدَّقَل -بفتحتين- وهو رديء التمر، فإنه لرداءته لا يحفظ، ويلقىٰ منثوراً... وقال النووي: معناه أن قومًا يقرؤون وليس حظهم من القرآن إلا مروره علىٰ اللسان، فلا يجاوز تراقيهم ليصل قلوبهم، وليس ذلك هو المطلوب، **بل**

---

(١) (أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه ح(٥٠٢٧).

(٢) (أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في القراءة في صلاة الليل ١/ ٤٢٩ ح(١٣٥٠)، والنسائي في المجتبىٰ، كتاب: الافتتاح، باب: ترديد الآية ٢/ ١٧٧ ح(١٠١٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢/ ٢٢٤ ح(٨٣٦٨) وأحمد في مسنده (ح:٢٠٣٦٥) ٣٣١/٤٣، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٠١، ح(٨٤٥)، وقال: «صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي»، وصحّحه الألباني في مشكاة المصابيح (١٢٠٥).

(٣) والدَّقَل: الرديء اليابس من التمر، والمراد: أن القارئ يرمي بكلمات القرآن من غير رؤية وتأمل، كما يتساقط الدقل من العذق إذا هُزّ، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/ ٢٩٩، واللسان لابن منظور ١١/ ٢٤٦.

(٤) الأحاديث المرفوعة من تاريخ البخاري الكبير ٢/ ٢٥٦ ح (٧٥٤).

المطلوب تعقّله وتدبّره، بوقوعه في القلب»[١].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه ذُكر لها أن ناسًا يقرؤون القرآن في الليل مرة أو مرتين، فقالت: «أولئك قرؤوا ولم يقرؤوا، كنت أقوم مع **النبي** ﷺ ليلة التمام، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمرّ بآية فيها تخوّف إلا دعا الله واستعاذ، ولا يمرّ بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه»[٢]، قال الصنعاني: «الحديث دليل علىٰ أنه ينبغي للقارئ في الصلاة **تدبّر ما يقرؤه**، وسؤال رحمته والاستعاذة من عذابه»[٣].

وعن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**...وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده...**»[٤].

والمعنىٰ أنهم يقرؤون كتاب الله، سواءٌ أكانت هذه القراءة بأن يقوم شخص ويقرأ ويفسِّر، أو غيره يفسِّر، أم أنهم يجتمعون بحيث يقرأ واحد منهم مقداراً من القرآن ويستمع الباقون، ويكون هناك شخص يصوب قراءته ويبين ما عليه من ملاحظات، كل ذلك يدخل تحت التدارس، وكذلك **تأملُ ما فيه، ومعرفةُ ما فيه، وتدبرُ ما فيه**[٥].

وعن أبي وَائِلٍ، قال: جاء رجل إلىٰ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: قرأت

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري (٣/ ١٧٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٥٠/ ١٢٤، ح(٢٣٤٦٨)، وقال شعيب الأرناؤوط: «صحيح لغيره، وسيأتي من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم».

(٣) سبل السلام للصنعاني، ١/ ٣٦٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والاستغفار، باب: فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلىٰ الذكر، ح(٢٦٩٩).

(٥) تحفة الأحوذي للمباركفوري ٨/ ٢١٥-٢١٦.

المُفَصَّل اللَّيلةَ في ركعةٍ، فقال: هَذًّا[١] كهَذِّ الشِّعرِ، لقد عَرَفتُ النَّظائر التي **كان النبي** ﷺ يَقرنُ بينهنَّ، فذكر عشرين سورةً من المُفَصَّل، سُورتين في كُلِّ ركعةٍ»[٢].

قال النووي: «إن هذا كان قدر قراءته ﷺ غالبًا، وأن تطويله الوارد، إنما كان في التَّدَبُّر والترتيل»[٣]، وقال العيني: «ويستفاد منه النهي عن الهذِّ، وفيه الحثُّ على الترسّل والتَّدَبُّر، وبه قال جمهور العلماء»[٤].

وقال ابن حجر: «وفي هذا الحديث من الفوائد: كراهةُ الإفراط في سُرعةِ التِّلاوةِ؛ لأنهُ يُنافي المطلُوب من التَّدَبُّر والتَّفكُّر في معاني القرآن، وفيه: أن التّرتيل أفضل من الهذّ؛ إذ لا يصحّ التَّدَبُّر مع الهذِّ»[٥].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سُئل عن قراءة النَّبي ﷺ، فقال: «كان يمدّ مدًّا، ثم قرأ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، يمدُّ ببسم اللهِ، ويمدُّ بالرَّحمن، ويمدُّ بالرَّحيم»[٦]، قال ابن بطّال: «فكان يقرؤه على مهلٍ؛ ليبيّن لأمته كيف يقرؤون، وكيف يمكنهم تدبّر القرآن وفهمه»[٧].

وعن أبي عبدالرَّحمن السلمي، قال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ، أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في

---

(١) وقوله: هذًّا: بفتح الهاء وتشديد الذال المعجمة، أي: سرْداً وإفراطًا في السرعةِ. ينظر فتح الباري لابن حجر ٣/ ١٥١، وشرح صحيح البخاري لابن رجب ٤/ ٤٧٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، باب: الجمع بين السورتين في الركعة ح(٧٧٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: ترتيل القراءة، واجتناب الهذِّ... وإباحة سورتين فأكثر في ركعة ح(٨٢٢).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي، ٦/ ١٠٥.

(٤) عمدة القاري شرح البخاري للعيني ٩/ ٢١٦.

(٥) فتح الباري لابن حجر (٣/ ١٥١).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: مد القراءة ح(٥٠٤٦).

(٧) شرح البخاري لابن بطال، (١٩/ ٣٦١).

العشر الأخرىٰ حتىٰ يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: «فعلمنا العلم والعمل»[١]، أي: أنهم كانوا يتعلّمون العلم والعمل جميعـًا، فيكونون بذلك قد جمعوا بين العلم والفقه، وبين معرفة أحكامه وما اشتمل عليه، فيجمعون العلم والعمل، ولا شكّ أن ذلك لا يكون إلا بالتَّدَبُّر والتأمّل والفهم[٢].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]: «**كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي، وكان ممّا يحرِّك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه**»[٣]، **وفيه دليل** علىٰ وجوب ترتيل القراءة والترسل فيها من غير هَذْرَمة ولا سرعة مفرطة؛ **بل بتأمل وتفكر وتدبّر**، قال الله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩][٤].

وروىٰ حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أنه صلىٰ مع النبي ﷺ ذات ليلة فكان يقرأ مترسلاً؛ إذا مر بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوَّذ**»[٥]، فهذا تطبيق نبوي عملي للتَّدَبُّر؛ ظهر أثره بالتسبيح والسؤال والتعوذ.

ولما راجع عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا النبيَّ ﷺ في قراءة القرآن لم يأذن له في أقل من ثلاث ليالٍ، وقال: «**لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**»[٦]،

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣٨/ ٤٦٦ ح(٢٣٤٨٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده حسن».

(٢) شرح سنن أبي داود لعبدالمحسن العباد، (١٧/ ١٠٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ ح(٤٩٢٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: الاستماع للقراءة ح(٤٤٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم- ابن كثير (١/ ٧٧).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ح(٧٧٢).

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: في كم يستحب يختم القرآن ح(١٣٤٧)، والترمذي في الجامع، أبواب: القراءات، باب: في كم يختم القرآن ح(٢٩٤٧)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

فدل علىٰ أن فقه القرآن وفهمه هو المقصود بتلاوته، لا مجرد التلاوة.

والله جلّ وعلا رتّب علىٰ تلاوة كلامه الأجر الكثير، والثواب الغزير؛ الحرف بعشر حسنات، فعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ الم حرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»**(١).

وفي الصّحيحين عَنْ أَبِىٰ مُوسَىٰ الأَشْعَرِىِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِىٰ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِىٰ لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِىٰ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِىٰ لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»**(٢).

وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِىٰ الصُّفَّةِ فَقَالَ: **«أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ بُطْحَانَ(٣) أَو إِلَىٰ الْعَقِيقِ فَيَأْتِىَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ(٤) فِىٰ غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ»**، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: **«أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَو يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلاَثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ»**(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي في الجامع، أبواب: فضائل القرآن، باب: ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ماله من الأجر ح(٢٩١٠)، وقال: «حديث حسن صحيح غريب».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأطعمة، باب: ذكر الطعام ح(٥٤٢٧).

(٣) بُطحان: هو وَادٍ من أودية المدينة مَسِيلٌ للماء. النهاية لابن الأثير ٣/ ٥٣٣.

(٤) كوماوين: تثنية كوماء، وهي من الإبل العظيمة السنام، كشف المشكل من حديث الصحيحين ١/ ١١١٢.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه ح(٨٠٣).

وجملة القول: أنَّ الآيات القرآنية، والنصوص الحديثية، وما ثبت من ذلك في وقائع سير السّلف الصالح، يدلّ على أن تدبّر القرآن، وتفهمّه، وتعلّمه، والعمل به، أمرٌ استُقرّ عليه في القرون الثلاثة الأولىٰ المشهود لها بالخيرية، وهو لا بدّ منه للمسلمين في كلّ زمان ومكان، وأن ثواب قراءة الترتيل والتَّدَبُّر أجلُّ وأرفعُ قدراً[1].

فإعراض كثير من الناس عن التَّدَبُّر في كتاب الله تعالىٰ، والنّظر فيه، وتفهّمه، والعمل به، وبالسنّة الثابتة المبيّنة له، في جميع المجالات الحيوية، اجتماعيًا، واقتصاديًا، وتربويًا، وثقافيًا، وسياسيًا، وما إلىٰ ذلك من الأمور التي تحتاج إليها الأمّة، أفراداً وجماعات، هو من أعظمِ المناكر وأشنعِها، وإن ظنّ فاعلوه أنهم علىٰ هدىٰ، باتباعهم مناهج غربية علمانية مستوردة، والله المستعان[2].

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ١/ ٣٢٨.

(٢) ينظر: أضواء البيان ٧/ ٣٥٨.

المعيار الرابع: حكم تدبر القرآن الكريم:

تدبر القرآن الكريم فضيلةٌ دعا الشارع إليها، ورغب فيها الرسول ﷺ، وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وجعل الله الهداية والنجاة في ثمرة التَّدَبُّر وهي التذكر والاتباع.

وعند تأمل كلام العلماء في حكمه التكليفي؛ نخلص إلى أنه لا يخرج عن ثلاث مراتب:

١- الواجب علىٰ كل مكلف.

٢- الواجب علىٰ الكفاية.

٣- الندب والاستحباب.

وتفصيلها كالتالي:

١- الواجب على كل مكلف.

فالواجب الذي يلزم كل مكلفٍ من التَّدَبُّر هو ما يقوم به معرفة الله ومعرفة رسوله ودينه الذي لا يقبل غيره، وهو الغاية من سماع القرآن وبلاغه للمكلفين، كما قال تعالىٰ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]، «قد عُلِمَ أن المراد: أنه يسمعه سمعًا يتمكن معه من فهم معناه؛ إذ المقصود لا يقوم بمجرد سمع لفظٍ لا يتمكن معه من فهم المعنىٰ، فلو كان غير عربي وجب أن يُترجم له ما يقوم به عليه الحجة، ولو كان عربيًا وفي القرآن ألفاظٌ غريبةٌ -ليست لغته- وجب أن يُبيَّن له معناها، ولو سمع اللفظ -كما يسمعه كثير من الناس- ولم يفقه المعنىٰ، وطلب منَّا أن نُفَسِّره له ونُبيِّن له معناه؛ فعلينا ذلك»[1].

وجعل الله التَّدَبُّر واجبًا علىٰ المخاطبين فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ١٣٦-١٣٧.

﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[ص: ٢٩] وفي القراءة المتواترة الأخرىٰ بالخطاب: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لتَّدبَّروا ءَايَٰتِهِۦ﴾ قال الحسن رحمه الله تعالىٰ: «تدبر آيات الله؛ اتباعها»(١).

قال الإمام القرطبي عند تفسيره آية: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] «ودلت هذه الآية علىٰ **وجوب التَّدَبُّر في القرآن** ليعرف معناه»(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمّيّة: «لا ريب أنه يجب علىٰ كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانًا عامًا مجملاً، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول علىٰ التفصيل فرض علىٰ الكفاية، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله وداخل في **تدبر القرآن** وعقله وفهمه، وعلم الكتاب والحكمة، وحفظ الذكر، والدعاء إلىٰ الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء إلىٰ سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله علىٰ المؤمنين؛ فهو واجب علىٰ الكفاية منهم.

وأما ما يجب علىٰ أعيانهم فهذا يتنوع بتنوع قدرهم ومعرفتهم وحاجتهم، وما أمر به أعيانهم فلا يجب علىٰ العاجز عن سماع بعض العلم، أو عن فهم دقيقه ما يجب علىٰ القادر علىٰ ذلك، ويجب علىٰ من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب علىٰ من لم يسمعها، ويجب علىٰ المفتي والمحدث والمجادل ما لا يجب علىٰ من ليس كذلك»أ. هـ(٣).

التَّدَبُّر يقصد به النظر في عموم الأمر ودبره، ويعتبر وسيلة لغاية أعظم، وهي غاية نزول القرآن.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/ ١٩٢.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/ ٢٩٠.
(٣) الفتاوىٰ الكبرىٰ ١/ ١٤١، ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ٥١.

ففي الآية الأولىٰ من آيات التَّدَبُّر: أمروا بالتَّدَبُّر لإزالة شكهم في مصدر القرآن، واعتقادهم أنه ﷺ متخرص -حاشاه عن ذلك-.

وفي الآية الثانية: أنه تعالىٰ ذكر التَّدَبُّر -بعد ذكر صفاتهم وكفرهم بالله تعالىٰ- ليبين أن عدم تدبر القرآن هو سبب كفرهم بالله، وليرشدهم من جهة أخرىٰ إلىٰ أنهم مدعوون للتَّدَبُّر للتخلص من تلك الصفات المشينة، وذلك الكفر.

وفي الآية الرابعة جاء استنكار عدم تدبر المنافقين للقرآن -بعد ذكر صفاتهم المشينة- داعيًا لهم إلىٰ ما ينقلهم من نفاقهم إلىٰ الإيمان وعدم الشك وهو تدبر القرآن.

ولما كانت الآية الثالثة فيها ما قد يفهم أن التَّدَبُّر يعني التفكر والنظر في الأمر وعواقبه في قوله: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ غاية قصوىٰ؛ أتبعها بقوله: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]؛ ليعلم أن التَّدَبُّر وإن كان غاية لنزول الكتاب، إلا أنه وسيلة لغاية أعظم وهي الإيمان.

كل ذلك يدل علىٰ أن التَّدَبُّر وسيلة، وأن الهدف منه ما جاء ظاهراً في أكثر آيات التَّدَبُّر السابقة وهو **الإيمان والاتباع وتصديق الرسول ﷺ، واليقين بأن القرآن من عند الله عَزَّوَجَلَّ**.

ومن هنا فإن **الواجب من التَّدَبُّر ما يحصل به الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، والتصديق بكتابه، واتباع رسوله ﷺ**، وإذا لم يتحقق ذلك إلا بأنواع أخرىٰ من النظر كالتفكر في الآيات الأفقيّة والنفسية وغيرها؛ تعيّن منها ما يحصل به اليقين.

فإذا تحقق ذلك الهدف بالنظر في تدبر القرآن تعيّن ذلك، لتحقيق اليقين، وما سواه يكون بحسبه، إمّا واجبًا علىٰ الكفاية، أو الاستحباب.

فأوجب الله تعالىٰ التَّدَبُّر والتفكر وإمعان النظر، لفهم معاني آيات الكتاب العزيز، وعاب علىٰ المنافقين والمشركين إعراضهم عن تدبر القرآن والتفكر فيه وفي معانيه.

ولذا حذّر العلماء من ترك التَّدَبُّر، وأنه يُوقع فيما نهىٰ الله عنه، قال شيخ الاسلام ابن تيميّة: «**وَلَا يَتْرُكُ تَدَبُّرَ** الْقُرْآنِ فَيَكُونُ مِنْ بَابِ الَّذِينَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨]»[1].

وقال شيخ الاسلام ابن تيّميّة: «**والإيمان بالقرآن لفظه ومعناه واجبٌ، وإنكار ما خالفه ولو بالقلب واجبٌ**، لكن يعذر المؤمن بعجزه، فالقلب كالبدن، فمن عجز عن معرفته فهو كالعاجز عن حفظ حروفه، ويسقط عنه خطاب الإيمان بذلك، ويخاطب به القادرون، لكن لا يكاد يعجز مثل هذا أن يعلم أي القولين أو القائلين أولىٰ بالإيمان بالله ورسوله، فعليه أن يكون مع أهل الإيمان بحسب إيمانهم، وإن ابتلي بمخالفة الفاجر خالفه.

وهذا الذي ذكرته بيِّنٌ لمن تدبره -ولا حول ولا قوة إلا بالله- **فإن الله تعالىٰ إنما أنزل كتابه ليُعقل ويتدبر**، وتَتَبُّع المعاني أشرف من الألفاظ، والكمال المقصود بالألفاظ، وهي معها كالأرواح مع الأجساد، فاللفظ بلا معنىٰ جسم بلا روح، ومن لم يعلم من الكلام إلا لفظه فهو مثل من لم يعلم من الرسول إلا جسمه، ومن لم يعلم من الصلاة إلا حركة البدن بالقيام، والقعود، والركوع، والسجود، قال تعالىٰ ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧]

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، قالوا: شاهد القلب غير غائبه.

ولهذا ذم العلماء الراسخون والمؤمنون الصادقون من اقتصر في إعجاز القرآن علىٰ ما فيه من الإعجاز من جهة لفظه أو تأليفه أو أسلوبه! وقالوا: هذا وإن كان معجزاً فنسبته إلىٰ ما في معانيه من الإعجاز نسبة الجسد إلىٰ الروح، ومحاسن الخَلْق إلىٰ محسن الخُلُق، وهو يشبه من عظم النبي ﷺ بمحاسن

(١) الإكليل في المتشابه والتأويل ص١٦.

خَلْقه وبدنه، ولم يعلم ما شرف الله به قلبه الذي هو أشرف القلوب ونفسه التي هي أزكىٰ النفوس، من الأمور التي تعجز القلوب والألسنة عن كمال معرفتها وصفتها...وهذا القدر الذي ذكرناه -من أن المقصود بالقرآن معانيه، ومن ذم المعرض عن معناه- هو أجل في نفسه وأظهر معرفة من أن يحتاج إلىٰ بسط، فإذا كان كذلك فمن أعرض عن معناه بالكلية فهو معرض عن البِرِّ المقصود منه، ومن أعرض عن معاني كثير منها فهو معرض عن كثير منه، فإذا كان يأمر بذلك الإعراض ويرغب فيه، فهو أمر بالإعراض عن القرآن والأمر بنسيانه وتركه -ومعلوم أن هذا كفر صريح- وإذا كان يقول: إنه ليس بمعرض عن معناه، ويتأوله علىٰ غير تأويله، ويقول: هذه معانيه! ويأتي بمعانٍ تضاد معانيه، فهو منافق كاذب، بمنزلة من يقول: أنا أؤمن بحروفه، وأتىٰ بكلام ليس هو القرآن! وقال: هذا هو القرآن، فهو منافق كاذب، ولهذا كان أضر وأخبث، فإن الأول بمنزلة الكافر المعرض عن المسلمين، والثاني بمنزلة المنافق الذي أظهر الإيمان وفعل في المسلمين ما ينافي الإيمان» أ. هـ[1].

قال الشيخ صالح آل الشيخ: «**تدبر القرآن واجب**، لأن الله جل جلاله حثَّ عليه وأمر به فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] **دلت الآية علىٰ أن من لم يتدبر القرآن فإن علىٰ قلبه قُفلاً**، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقال سبحانه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال جل وعلا ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، ونحو ذلك من الآيات.

فالقرآن عربي يُفهم عن طريق هذا اللسان، وأنزل للتَّدَبُّر، وحث الله جل وعلا علىٰ تدبره، بل وأمر بذلك، فمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَىٰ مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ

---

(١) جواب الاعتراضات المصرية علىٰ الفتوىٰ الحموية ٢٦-٢٩ مختصراً.

طَرِيقُ الْحَقِّ[(١)].

وهذا واجب أن يتدبر القرآن لأجل أن يأخذ الهدىٰ منه؛ لأن القرآن جعله الله جل وعلا هاديًا للتي هي أقوم، قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وهذا عام يشمل العقيدة، يعني: يشمل الأخبار والأحكام.

ففي باب الأخبار القرآن يهدي للتي هي أقوم، وفي باب الأحكام القرآن يهدي للتي هي أقوم.

فمن أراد الهدىٰ فهو في القرآن، ومن أراد إصلاح النفس فهو في القرآن، ومن أراد بيان الإيمان فهو في القرآن، ومن أراد الأحكام فهي في القرآن، والسنة مبينة للقرآن وشارحة له ودالة عليه ومفسرة له، كما قال جل وعلا ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]»[(٢)].

٢- الواجب على الكفاية.

ذُكِرَ آنفًا بيان شيخ الإسلام ابن تيمية لحكم التدبر، وأنَّ منه ما يكون واجبًا علىٰ الكفاية[(٣)].

وقال أيضًا: «قال تعالىٰ ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١، ٢] فأخبر أنّه أنزله ليعقلوه، وأنّه طلب تذكرهم، وقال أيضًا ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١] فحضَّ علىٰ تَدَبُّرِهِ وفقهه وعقله والتَّذكُّرِ به، والتَّفكُّر فيه، ولم يَستَثنِ من ذلك شيئًا؛ بل نصوصٌ مُتعدّدةٌ تُصرِّحُ بالعُمُومِ فيه، مثل قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ

---

(١) هذه عبارة شيخ الإسلام في الرسالة الواسطية ص٨.

(٢) شرح الواسطية صالح آل الشيخ ١/ ٣٨٣ مفرغ في الشاملة، باختصار يسير.

(٣) سبق ذِكرُ كلامه عند الكلام علىٰ التدبر الواجب علىٰ كل مكلف، فليراجع.

قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤] وقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] **ومعلومٌ أنَّ نفيَ الاختلاف عنه لا يكون إلَّا بتدبُّره كلّه، وإلَّا فتدبُّر بعضه لا يوجبُ الحكمَ بنفي مُخَالِفِه ما لم يتدبَّر لِمَا تَدَبَّرَ**»[1].

«فإذا حصل اضطراب أو اختلاف فليتهم الإنسان نفسه ورأيه، وإلا فكلام الله لا اضطراب فيه ولا اختلاف، ولذلك قال الله جل وعلا: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] **فالله عَزَّوَجَلَّ دعا الخلق إلىٰ تدبر هذا الكتاب**.

ثم أخبر بأن الكتاب لا اختلاف فيه؛ لأنه منه، وهذا يشير إلىٰ أن الاختلاف الذي قد ينقدح في ذهن أحد أو يظنه ظان، إنما أتي وأصيب به من قِبل عدم تدبره ونظره! لكن لما كان من عند الله فلا اختلاف فيه، والسبيل إلىٰ الوقوف علىٰ أنه لا اختلاف فيه أن يتدبر الإنسان كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يحسب الحاسب أن شيئًا منه يناقض بعضه ألبتة»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة: «قال تعالىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩] وقال تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[محمد: ٢٤]، وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[المؤمنون: ٦٨]، وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن، وكذلك قال تعالىٰ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢]، وعقل الكلام متضمن لفهمه، ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه فالقرآن أولىٰ بذلك.

وأيضا فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابًا في فن من العلم؛ كالطب والحساب

---

(١) الإكليل في المتشابه والتأويل ص١٧.

(٢) شرح الحموية للشيخ د. خالد المصلح، مفرغ، درس٢٦ ص٣، وينظر الحموية ص٥١٩.

ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم!»[(١)].

٣- الندب والاستحباب.

إن تدبر القرآن الكريم من أجل الطاعات، وأفضل القربات، وأسمى العبادات؛ لأن الإنسان يحقق مراد الله عَزَّوَجَلَّ من إنزال القرآن؛ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، «ففي تدبر القرآن وتفهمه من مزيد العلم والإيمان مالا يحيط به بيان»[(٢)].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يُعلم فيما أنزلت، وما أراد بها»[(٣)].

وقال الإمام الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تكره قراءة القرآن بلا تدبر، وعليه حُمِل حديث عبدالله بن عمرو: «لا يفقه مَنْ قرأ القرآن في أقل من ثلاث»[(٤)].

وقول ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ لمن أخبره أنه يقوم بالقرآن في ليلة: (أهذاً كهذِّ الشعر)[(٥)].

وكذلك قوله ﷺ في صفة الخوارج: «يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولا حناجرهم»[(٦)]، ذمهم بإحكام لفظه، وترك التفهم لمعانيه»[(٧)].

---

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية. ص ٣٥ – ٣٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ٨١.

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن، ص٧١ ح(٦٣)، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز ١/ ٢٦، وابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٤، وابن حجر في العجاب ١/ ١٠٥.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: إثم من راءى بقراءة القرآن ح(٥٠٥٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم ح(١٠٦٣).

(٧) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٥٣٨.

وقال الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالقرآن كله لم يُنزله تعالىٰ إلا لِيُفهِّمَه ويُعلم ويُفهم، ولذلك خاطب به: أولي الألباب، الذين يعقلون، والذين يفهمون، والذين يتفكرون»(١).

وذكر شيخ الإسلام ابن تيّميّة «**أَنَّ فِي تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَتَفَهُّمِهِ مِنْ مَزِيدِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ مَا لَا يُحِيطُ بِهِ بَيَانٌ**»(٢)، فإذا كان قد حضّ الكفار والمنافقين علىٰ تدبره، عُلم أن معانيه مما يمكن الكفار والمنافقين فهمها ومعرفتها، فكيف لا يكون ذلك ممكنًا للمؤمنين!! وهذا يُبيِّن أن معانيه كانت معروفة بيّنةً لهم، وبيّن سبحانه أنه أنزله عربيًا لأن يعقلوا، والعقل لا يكون إلا مع العلم بمعانيه(٣).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكمة من إنزاله؛ ليتدبر الناس آياته فيستخرجوا علمها، ويتأملوا أسرارها وحكمها...وهذا يدل علىٰ الحث علىٰ تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة علىٰ التَّدَبُّر أفضل من سرعة القراءة التي لا تحصل هذا المقصود»(٤).

«جماع الأمر في ذلك: أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدىٰ والنور بشرط تدبر كتاب الله وسنة نبيه، **فالتَّدَبُّر من أفضل ما يعين الإنسان علىٰ معرفة وفهم مقاصد الشريعة، والأصول الكلية في هذا الدين العظيم**...فإذا اجتمع في الطريق: **تدبر وحسن قصد**، وإعراض عن سبيل المخالفين للكتاب والسنة؛ وفق إلىٰ خير كبير»(٥).

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ١٤٥.
(٢) مجموع الفتاوىٰ ١٠/ ٨١.
(٣) ينظر: القاعدة المراكشية (مجموع الفتاوىٰ) ٥/ ١٥٧ باختصار.
(٤) تيسير الكريم الرحمن ص٧١٢.
(٥) شرح الحموية للشيخ د. خالد المصلح، مفرغٌ، درس٢٦ ص٣ باختصار وتصرف، وينظر: الحموية ص٥١٩.

تنبيه: خطورة القول في القرآن بلا علم:

كان السلف رحمهم الله تعالىٰ يأخذون هذا القرآن بقوة، ويعرفون معناه، ويطلبون المعنىٰ الذي أراده الله عَزَّوَجَلَّ، وكانوا كذلك في غاية الدقة والحرص، وفي غاية التحرج وهم يفسرون الآيات، وقرر العلماء أن من قال برأيه في القرآن فأصاب فقد أخطأ، فكان أحدهم عندما يفسّر القرآن يتقي أن يخوض في آيةٍ ليس عنده علمٌ بها، ويخشىٰ أن يأثم، حتىٰ وإن كان قال برأيه المجرد صوابًا.

وعلَّق ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ قوله ﷺ: «**من قال في كتاب الله برأيه، فأصاب، فقد أخطأ**»[(١)]، فقال: «أي: أخطأ؛ لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنىٰ في نفس الأمر؛ لكنه قد أخطأ: لأنه لم يأت الأمر من بابه»[(٢)].

ولذلك كان أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: «أيُّ سماء تظلني، وأيُّ أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟!»[(٣)]، وكان ابن أبي مُليكة يقول: «سئل ابن عباس عن آية، لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبىٰ أن يقول فيها»[(٤)].

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ ٧/ ٢٨٦ ح(٨٠٣٢)، والترمذي في الجامع، أبواب: التفسير، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، ح(٢٩٥٣)، وأبو داود في سننه كتاب: العلم، باب: الكلام في كتاب الله بغير علم، ح(٣٦٥٢)، وأخرجه الطبري في جامع البيان رقم (٨٠)، قال ابن الأثير في جامع الأصول: «وفي سنده سهيل بن أبي حزم لا يحتج به، ضعفه البخاري وأحمد وأبو حاتم». ينظر: جامع الاصول: ٢/ ٣ (٤٦٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم- ابن كثير ١/ ١١.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ١٣٦ ح(٣٠١٠٧)، وسعيد بن منصور ١/ ١٦٨، ح(٣٩)، والطبري في جامع البيان ١/ ٧٨، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٢٤، ح(٢٢٧٨).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ١/ ٨٦.

المعيار الخامس: مقاصد التَّدَبُّر:

ويمكن تلخيصها في ستة مقاصد:

العمل بالقرآن، وإظهار بركات القرآن والاستفادة منها، وبيان عالمية ما تضمنه القرآن وواقعيته، وإحياء الفهم السليم للقرآن، وحفظ كلام الله من التحريف أو التأويل الفاسد، وشمولية الإصلاح بالقرآن الكريم، **وإليك بيانها:**

المقصد الأول: العمل بالقرآن:

لقد بيّن المولى عَزَّوَجَلَّ أن الغاية والقصد من نزول القرآن هو العمل به، والالتزام بتعاليمه، وتحصيل هذه الأمور بتدبر القرآن والتفكر في معانيه؛ ولذلك فإن قراءة سورة بتدبر خير من قراءة عدد من السور بدون ذلك.

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

قال الطبري: «أي: ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به»(١).

فالمقصود أن يكون هذا القرآن منهاجاً للعمل وهادياً للسلوك؛ لأن من تدبَّر كلام الله كان ذلك دافعاً له للعمل، ومَن أحسنَ العملَ نال المنازل العالية في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يحبه الله ويحبه الناس، وترتفع منزلته عندهم، قال ﷺ: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين**»(٢).

وفي الآخرة له الدرجات العلى، قال ﷺ: «**يؤتى بالقرآن يوم القيامة**

---

(١) جامع البيان ٢١/ ١٩٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه، أو غيره فعمل بها وعلمها ح(٨١٧).

وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة، وآل عمران كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق[١]، أو كأنهما حزقان[٢]من طير صواف تحاجان عن صاحبهما»[٣]، وبدون العمل يصبح العلم وبالًا علىٰ صاحبه، وما وقر في القلب، واستوعبه الذهن؛ يزداد رسوخًا إذا صدّقته الأفعال.

قال الزرقاني: «وما من شك أن العمل بالعلم يقرّره في النفس أبلغ تقرير، وينقشه في صحيفة الفكر أثبت نقْش، علىٰ نحو ما هو معروف في فن التربية وعلم النفس، من أن التطبيق يؤيد المعارف، والأمثلة تقيد القواعد، ولا تطبيق أبلغ من العمل، ولا مثال أمثل من الاتباع، خصوصًا المعارف الدينية فإنها تزكو بتنفيذها، وتزيد باتباعها، قال تعالىٰ: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩]، أي: هداية ونوراً تُفرِّقون به بين الحق والباطل وبين الرشد والغي»[٤]، لذلك ينبغي أن يكون التَّدَبُّر دافعًا للعمل المثمر الذي يُكسب صاحبه السعادة في الدارين.

ولقد أشار النبي ﷺ إلىٰ تعلم القرآن الكريم، وبيَّن ثماره، إذ التعلم آلةً ووسيلةً لتَّدَبُّر القرآن فقال ﷺ: **«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[٥]**.

---

(١) شرق: الضَّوءُ وهو الشمس، النهاية في غريب الحديث ٢/ ١١٤٣.

(٢) حِزقان: الحِزْق والحَزِيقَة: الجماعة من كل شيء، النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٩٤٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة ح(٨٠٥).

(٤) مناهل العرفان ١/ ٣١١.

(٥) سبق تخريجه.

وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: «**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلىٰ بطحان أو إلىٰ العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم؟**» فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، قال: «**أفلا يغدو أحدكم إلىٰ المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل**»(١).

والحاصل أنه ﷺ أراد ترغيبهم في الباقيات، وتزهيدهم عن الفانيات، فذِكرُه هذا علىٰ سبيل التمثيل والتقريب إلىٰ فهم العليل، وإلا فجميع الدنيا أحقر من أن يُقابَل بمعرفة آية من كتاب الله تعالىٰ، أو بثوابها من الدرجات العلىٰ(٢).

وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من شدة اعتنائهم بالفهم والتَّدَبُّر إذا تعلَّم الواحد منهم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنَّ حتىٰ يعرف معانيهُنَّ، والعملَ بهنَّ، كما روي ذلك عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣).

ولأهمية التَّدَبُّر وعِظم شأنه فقد نهىٰ رسول الله ﷺ عن ختم القرآن في أقل من ثلاث ليالٍ، كما في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يفقه من قرأ القرآن في أقلَّ من ثلاث**»(٤).

فيُخشىٰ علىٰ من قرأ القرآن ولم يتدبره ويتأثر به ويعمل به أن يلحقه شيء من ذلك، ومَنْ تدبر القرآن الكريم حق التَّدَبُّر؛ حصَّل من المنافع والمصالح الدنيوية والأخروية ما لا يعلمه إلا الله.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ٤/ ٢٣١.

(٣) ينظر: جامع البيان ١/ ٨٠.

(٤) سبق تخريجه.

وبدون تدبُّر القرآن والعمل به يكون حال المسلمين كحال اليهود الذي آتاهم الله التوراة فلم يعملوا بها، ونبذوها وراء ظهورهم، فضرب لهم الرحمن مثلاً بالحمار الذي يحمل فوق ظهره كتباً عظيمةً لا يستفيد منها، كما في قوله سبحانه: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ٥].

أو مثل ذلك الرجل الذي أعرض عن آيات الله وآثر الهوىٰ علىٰ الهدىٰ، فضرب الله عَزَّوَجَلَّ له مثلاً في أبشع صورة وأقبحها، وهي صورة الكلب، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

ولذلك يجب علىٰ المسلمين إدراك أهمية تدبّر القرآن الكريم، والبْحث عن الأسباب والوسائل المعينة علىٰ فهمه وتدبره؛ لكي يحقِّقوا الهدف من نزول القرآن وهو: الهداية، والذكرىٰ، والاتعاظ بالقرآن الكريم.

❁ المقصد الثاني: إظهار بركات القرآن والاستفادة منها:

قال تعالىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]، قال الشوكاني: «والمعنىٰ: كتاب أنزلناه إليك يا محمد كثير الخير والبركة»(١).

ولا شك أن القرآن تكمن بركته في أمور كثيرة، منها: كثرة أوامره ونواهيه، وتنوّع مواعظه وزواجره، والاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، وتعقُّل أمثاله المضروبة، وما اشتمل عليه من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب،

(١) فتح القدير ٤/ ٤٣٠.

من أجل أن يرعوي العبد فيستدرك ما وقع له من تقصير، ويزداد من الإقبال والتشمير في طاعة الله تعالىٰ، لتحصل له السعادة في الدارين.

قال السيوطي: «وتُسنُّ القراءة بالتَّدَبُّر والتفهم، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب»[(١)].

فالقرآن بحرٌ زاخر من الخيرات، وهِبَةٌ من الرحمن للعالمين، فهو يعطيك معان غير محدودة في كلمات محدودة، وهذا البحر الزاخر المملوء بالمعاني غير المحدودة لا ولن نستطيع أن نخرج دُرَّه إلا بالتَّدَبُّر، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

۞ المقصد الثالث: بيان عالمية المنهج القرآني وواقعيته:

بيّن الله تعالىٰ عالمية كتابه بقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] قال ابن كثير[(٢)]: «إنما خصه به -أي: بالقرآن- ليخصه بالرسالة إلىٰ من يستظل بالخضراء، ويستقل علىٰ الغبراء، كما قال صلوات الله وسلامه عليه: «**بعثت إلىٰ كل أحمر وأسود**»[(٣)]، فرسالة القرآن عالمية، ومنذ نزل القرآن علىٰ النبي ﷺ في أول آية منه نزل عالميـاً، وأصبح بلوغ القرآن لمجموع الخلق أو آحادهم حجةً عليهم، وداعيـاً لهم، ومبشراً ونذيراً.

وسئل الليث بن سعد: هل بقي أحد لم تبلغه الدعوة؟ قال: كان مجاهد يقول: «حيثما يأتي القرآن فهو داع وهو نذير، ثم قرأ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]»[(٤)].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٤٠

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٩٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة فيها، باب: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ح(٥٢١).

(٤) جامع البيان (٩/ ١٨٣).

وهـذه العالمية لا يكـون لهـا هـذا التأثيـر الممتـد امتـداد الزمان إلا لمـا يتضمن مـن المعـاني الواقعيـة، التـي تصـوّر الحيـاة في أعـدل أحوالهـا، وتعالـج النفـس البشـرية علىٰ اختلاف طبائعها وأصنافها، بعيداً عـن نظريات يتشـدق النـاس بها ولا يحققونها، ويتصورونها ولا يتعاملـون بها، فلا يشعر معها المتلقي بمثاليات أو تصـورات ذهنيـة لا حقيقـة لهـا علـىٰ الواقـع، ولا إدراك لهـا في الحقيقـة، ولا تـزال تتكشـف لـه مـن المعـاني مـا تطمئـن إليـه النفـس، ولا يكـون ذلـك إلا عـن طريـق التَّدَبُّـر.

المقصد الرابع: إحياء الفهم السليم للقرآن:

فإحياء منهج السـلف ومن تبعهـم بإحسـان في تلقي الإسـلام وفهمه وتطبيقه والعناية بتوثيـق المنقـول عنهـم في هـذا البـاب؛ مـن أهـم مجـالات تطبيـق العلـوم الإسـلامية[١].

ولابـد في التَّدَبُّـر أن نقـرأ مـا كتبـه سـلفُنا قـراءة واعيـة لنصـل الحاضـر بالماضـي، وننتقـل إلـىٰ مجـالات رحبـة وواسـعة ونحـن نقـف علـىٰ أسـاسٍ راسخٍ وقاعـدةٍ صلبـةٍ.

وهـذه مسـألة مهمـة كثـر التشـغيب عليهـا في الآونـة الأخيـرة، ووصـف هـذا الـتراث العظيـم في تدبـر النصـوص بأنـه عتـاد قديـم، فـأي تدبـر ننتظـره بعـد ذلـك مـن جيـل يـزدري معارفـه ورجالـه؟

إن الشـرط الأساسـي في أن يـؤتي هـذا التَّدَبُّـر ثمرتـه في مسـتقبل الأمـة تقدمـاً وحضـارةً وازدهـاراً؛ هـو التمثـل الناضـج المسـتنير للتجـارب الفكريـة الرائعـة،

---

(١) التجديـد في العلـوم الإسـلامية ودوره في حـل مشـكلات الواقـع المعاصـر، بـن صغيـر محفـوظ (ص٣١٨).

وكفاح العقول الفذة في تاريخ الأمة، واستلهام نفحات الإبداع في تراث القمم، ثم يمضي الأفذاذ الموهوبون من أبناء الأجيال السابقة، يستلون من تحت الغيم خيوطًا كسَنَا الفجر، يضيئون بها دروب المجهول التي تتعشق عقولهم القدح على أبوابه[1].

هذه نقطة مهمة، بل هي قاعدة عظيمة يجب استصحابها دائمًا في التَّدَبُّر في معاني القرآن حتى تفضي بنا إلى أفكار جديدة نبسط بها ميادين المعرفة بسطًا في فهم كلام الله تعالى.

وإن ترك التَّدَبُّر يميل بالإنسان إلى نزعةٍ أو مذهبٍ فاسدٍ، فإن ذلك يقطع على الإنسان طريق الفهم، ويجعله يُصدر أحكامًا مسبقة بناء على تصورات خاضعة لمذهبه أو نزعته الكامنة في عقله، ولا يتيح له الفرصة ليتعرف على مراد الله تعالى من كلامه، بناء على ما لديه من ميلٍ عاطفي تبعه ميلٌ فكريٌّ إلى قناعةٍ معينةٍ ورؤيةٍ مسبقةٍ، فيبادر إلى مصادرة الفهم السليم والإدراك الصحيح، ولو قدم إلى القرآن الكريم خاليَ الذهن إلا من وسائل الفهم الصحيح، وألقى عقله لهذا الكلام الإلهي الخالد يوجهه كيف شاء؛ لانتفع أيما نفعٍ، وفهمه أيما فهمٍ.

إن صحة الفهم مطلب عظيم، وهدف كبير لابد لكل من أراد السلامة في دنياه وآخرته أن يسعى إليه، ويحرص عليه؛ لأنه القائد الذي يستطيع به المرء أن يصل إلى حقائق الأشياء، وسلوك السبيل الهادية إلى خير الدنيا والآخرة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبدٌ عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب

(١) ينظر: دلالات التراكيب. د. محمد محمد أبو موسى ص٤.

عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أُمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة، وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد يميز به بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والهدىٰ والضلال، والغي والرشاد، ويمده حسن القصد، وتحري الحق، وتقوىٰ الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوىٰ، وإيثار الدنيا وطلب محمدة الخلق، وترك التقوىٰ»[1].

قال تعالىٰ: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في معنىٰ ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾: «هو الرجل يسمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن، وينكَّف عن القبيح، فلا يتحدث به»[2].

ويُبنىٰ الفهم الصحيح علىٰ التثبت والنظر والتأني الذي لا يأخذ بالإشاعة والكلمات الطائرة التي لا زمام لها ولا خطام، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

ويُبنىٰ الفهم الصحيح أيضًا علىٰ تمسك الإنسان بالعدل والإنصاف، الذي يجعل صاحبه يضع الأمور في مواضعها، والأوصاف علىٰ موصوفيها، والأسماء علىٰ مسمياتها حقًا، لا كما سمع أو قرأ، ولا انتصاراً لنفسه أو لحزبه أو جماعته أو مَن ينتمي إليه.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ٩٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/ ٢٤٤، أضواء البيان ٦/ ٣٥٨.

قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

ويُبنىٰ الفهم الصحيح كذلك علىٰ استعداد صادق لصحة الفهم، واستقامة التصور، ولو كان في ذلك مخالفة لأهوائه وشهواته، أما من لم يكن عنده استعداد وتهيؤ لذلك فإنه قد يقبل ما يصل إليه، ويوافق ما هو عليه من غير أن يبحث ويتحرىٰ الحقيقة؛ ليعرف الحق من الباطل والصدق من الكذب.

❁ المقصد الخامس: حفظ كلام الله من التحريف أو التأويل الفاسد:

فإن تدبر كلام الله والعيش معه والنظر في المعاني المتجددة التي تجود بها الآيات القرآنية فيما يصلح حياة الناس ضمن القواعد والضوابط الشرعية التي يفهم بها كلام الله عَزَّوَجَلَّ؛ يقطع الطريق أمام كل من يريد أن يحمّل النصوص ما لا تحتمل بحجة التجديد، وهم بذلك يستخدمون مصطلحاً شرعياً لترويج منهج فاسد، ولذلك ظهرت باسم «تجديد الخطاب الديني» مناهج محدثة، وأفكار حداثية تدعو إلىٰ إعادة قراءة النص، أو القراءة المعاصرة للنصوص دون مرجعية علمية، بل ولا نزعة إيمانية دينية.

وقد كان الواحد من السلف تعرض له الآية فيأبىٰ أن يقول فيها معنىٰ ربما ظهر له منها، لكن لم يبلغ حدَّ القطع به، أو الاطمئنان إليه، ودافعهم في ذلك ما نصَّت عليه الآيات البينات التي تنهىٰ وتزجر عن القول علىٰ الله بغير علم، قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]

فجعل الله تعالىٰ القول عليه بغير علم فوق الشرك به شناعةً وجُرماً ووزراً،

وقال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [يونس: ٦٩] فبين سبحانه -وهو أصدق القائلين- أن الفلاح محجوب عمَّن يفتري عليه، ومن أعظم صور الافتراء علىٰ الله: القول في كلامه علىٰ غير هدىٰ ولا بصيرة.

وقد عاب الله علىٰ أهل الكتاب يوم بدَّلوا كلامه وحرَّفوا معانيه، فقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٨]، وقال الله تعالىٰ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩]، ولقد جاء القرآن مبينـًا أن من أسباب قساوة قلوب أهل الكتاب تحريفهم معاني كلام الله الذي أنزله إليهم علىٰ ألسنة رسلهم ليخرجوهم من الظلمات إلىٰ النور، فقال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٥٥]، وإن هذه العقوبة التي عاقب الله بها أهل الكتاب لما تجاسروا علىٰ كلامه تحريفـًا وتبديلاً وتزويراً ليست قاصرة علىٰ أولئك السابقين، بل تشمل من اتصف بصفتهم وعمل عملهم.

ولقد أقبلت هذه الأمة علىٰ كتاب ربها متقفيةً في فهم معانيه ما قال نبيُّها ﷺ وأصحابه الكرام، فسعدت زمانـًا وأقامت ما أُمرت، ثم تقلبت وتنكّبت الصراط المستقيم، والطريق القويم لما جاء خَلَفٌ يقولون في القرآن بأهوائهم، ويخوضون فيه بآرائهم، فضلُّوا عن الهدىٰ المستقيم، والطريق القويم، وأضلُّوا غيرهم عن المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك.

فإحياء التَّدَبُّر بين الناس بنقائه وصفائه علىٰ منهج أصيل؛ يقف بإذن الله أمام من يريد تمييع ثوابت الدين تحت هذا المسمىٰ، وتفويت الفرصة علىٰ من يريد تحريف كلام الله أو تأويله.

المقصد السادس: شمولية الإصلاح بالقرآن:

من منطلقات حقائق تدبّر القرآن استقرأ المفسّرون المقاصد الأصيلة والأبعاد، المتعلّقة بمجالات **الإصلاح** التي تحدَّث عنها القرآن الكريم، وقد لخَّصها العلاّمة **ابن عاشور** في مقدمة تفسيره[١]، في ثمانية أمور:

١- **إصلاح الاعتقاد،** وتعليم العقد الصحيح، وهو أعظم سبب لإصلاح الخلق؛ لأنَّ إصلاح الاعتقاد هو أصل الإصلاح، ومفتاح باب الصلاح في العاجل، والفلاح في الآجل:

- لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل.

- ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الشرك والشركيات، وقد أشار إلىٰ هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾ [هود: ١٠١] فأسند لآلهتهم زيادة تتبيبهم، وليس هو من فعل الآلهة، ولكنه من آثار الاعتقاد بالآلهة، فسبب هلاكهم ودَمَارهم، إنما كان باتِّباعهم تلك الآلهة وعبادتهم إيّاها.

٢- **إصلاح الأخلاق وتهذيبها،** ولا يكون ذلك إلا بالتعليم الصحيح والآداب الإسلامية، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ٤]، وفسَّرت **عائشة** رضي الله تعالىٰ عنها لما سئلت عن خُلقه ﷺ فقالت: **«كان خُلقه القرآن»**[٢]،

(١) التحرير والتنوير ١/ ٤١، بتصرّف.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٥٠/ ١١٦ ح: ٢٣٤٦٠، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

وفي الحديث الذي رواه مالك في الموطأ بلاغًا أن رسول الله ﷺ قال: «**بُعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[(١)].

٣- **إصلاح التشريع:** والأعراف والقوانين المسيّرة للمؤسسات القضائية، والاقتصادية، والتعليمية، والصحّية...بما يتماشىٰ والشريعة الإسلامية.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾[المائدة: ٤٨].

ولقد جمع القرآن جميع الأحكام جمعًا كليًا في الغالب، وجزئيًا في المهم، فقوله تعالىٰ: ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل: ٨٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣]، المراد بهما إكمال الكليات التي منها الأمر بالاستنباط والقياس[(٢)].

٤- **إصلاح سياسة الأمّة، وتدبير شؤونها،** العامّة والخاصّة، في جميع المجالات الحيوية، وعلىٰ جميع المستويات، وهو في حقيقة الأمر **باب عظيم** في القرآن الكريم، والقصد منه **صلاح الأمّة، أفراداً وجماعاتٍ، وحفظ نظامها، بإصلاح** عقائدهم وأخلاقهم، وبإصلاح أمزجتهم بالمحافظة عليهم من المهلكات والأخطار والأمراض، وبمداواتهم، ودفع الأضرار عنهم، وبكفاية مؤنهم من الطعام واللباس والمسكن بالمعروف، دون تقتير ولا سرف، وكذا

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، باب: ماجاء في حسن الخلق ٥/ ٣٨٦ ح(١٧٤٢)، وأحمد في المسند ١٤/ ٥١٣ ح(٨٩٥٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد قوي. والحديث روي بألفاظ أخرىٰ.

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٤١) بتصرّف.

بإصلاح أموالهم، بتنميتها وتعهدها وحفظها، وتربيتهم على المحافظة على وحدة الأمة وتماسكها، وعلى الوسطية والاعتدال في كل أمر، والبعد عن الشقاق والغلو والتطرّف.

وذلك **بتدبّر الآيات** الخاصّة بهذا الشأن، كقوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦][١].

٥- الإصلاح بالقصص، وأخبار الأمم السالفة:

- للتأسّي بصالح أحوالهم؛ وذلك **بتدبّر الآيات** الخاصّة بهذا الشأن، كما جاء في قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

- وللتحذير من مساوئهم، قال تعالى: ﴿وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥].

٦- الإصلاح بالتربية والتعليم، مناهجها وطرقها وبرامجها، بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهّلهم إلى تلقّي الشريعة ونشرها، وذلك علم الشرائع

---

(١) المصدر السابق.

وعلم الأخبار، وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب من أهل الكتاب.

وقد زاد القرآن علىٰ ذلك تعليم **حكمة ميزان العقول وصحة الاستدلال** في أفانين مجادلاته للضالين، وفي دعوته إلىٰ النظر، ثم نوّه بشأن الحكمة، فقال تعالىٰ: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[البقرة: ٢٦٩]، وهذا أوسع باب انبجست منه عيون المعارف، وانفتحت به عيون الأميين إلىٰ العلم.

وقد لحق به التنبيه المتكرّر علىٰ فائدة العلم، وذلك شيء لم يطرق أسماع العرب من قبل، إنما قصارىٰ علومهم أمور تجريبية، وكان حكماؤهم أفراداً اختصوا بفرط ذكاء تُضم إليه تجربة، وهم العرفاء، فجاء القرآن بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾ [القلم: ١]، فنبّه إلىٰ مزية القراءة والكتابة[(١)].

٧- الإصلاح بتدبّر آيات الوعد والوعيد، المتضمِّنة المواعظ والإنذار والتبشير، وكذلك المحاجّة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب.

٨- الإصلاح بتدبّر الآيات الخاصّة ببيان وجوه **الإعجاز في القرآن**؛ ليكون آية دالّة علىٰ صِدْق الرسول ﷺ؛ إذ التصديق يتوقف علىٰ دلالة المعجزة بعد التحدّي، والقرآن جمع كونه معجزة بلفظه، ومتحدّىٰ لأجله بمعناه، والتحدّي وقع فيه، قال تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨][(٢)].

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٤١)، بتصرّف.

(٢) المصدر السابق، بتصرف.

المعيار السادس: أغراض تدبر القرآن الكريم:

تتعدد الأغراض والأهداف من العمل أيـًا كان، ولكل متدبر هدفه، ولكن بالتتبع والاستقراء لما يقصده الناس من التَّدَبُّر والتفكر في آي القرآن نجد أن الغالبَ يدور مع الأغراض التالية[١]:

الغرض الأول: تدبره لاستخراج الأحكام منه: يساعد تدبر القرآن الكريم علىٰ استخراج الأحكام منه، سواء كان ذلك مما يتصل بالعقائد، أو الأعمال المتعلقة بالجوارح، أو السلوك؛ إذ الأحكام تشمل ذلك كله بمفهومها الأوسع.

الغرض الثاني: تدبره للوقوف على ما حواه من العلوم والأخبار والقصص: ينبغي تدبر القرآن الكريم للوقوف علىٰ ما حواه من العلوم والأخبار والقصص، وما ورد فيه من أوصاف هذه الدار، وما بعدها من الجنة أو النار، وما وصف الله تعالىٰ فيه من أهوال القيامة ونهاية الحياة الدنيا، وأوصاف المؤمنين والكافرين بطوائفهم، وصفات أهل النفاق، فضلاً عن الأوصاف المحبوبة لله تعالىٰ، والأوصاف التي يكرهها...إلىٰ غير ذلك مما يلتحق بهذا المعنىٰ.

الغرض الثالث: تدبره للوقوف على وجوه فصاحته: يساعد تدبر القرآن الكريم علىٰ الوقوف علىٰ وجوه فصاحته وبلاغته وإعجازه، وصروف خطابه، واستخراج اللطائف اللغوية التي تستنبط من مضامين النص القرآني.

الغرض الرابع: تدبره لمعرفة صدق من جاء به: أن من يقرأ القران الكريم يجد التصديق الجازم واليقين الثابت والطمأنينة بكلام المولىٰ عَزَّوَجَلَّ ووحيه، فقال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ

---

(١) أشار الباقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه إعجاز القرآن إلىٰ مثل ذلك فليراجع ص٦.

بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، قال الحسن يعني: المؤمنين، قال ابن كثير: لأنه محفوظ في الصدور ميسر على الألسنة مهيمن على القلوب معجز لفظًا ومعنىً(١).

وقوله: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الحج: ٥٤]، وقوله: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [سبأ: ٦]، ولهذا حث الله عَزَّوَجَلَّ عباده على تدبر القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء: ٨٢].

فعند قيام المسلم بتدبر القرآن الكريم يتضح له أمور عديدة، من أهمها:

- اتساق معانيه(٢).
- ائتلاف أحكامه(٣).
- «تأييد بعضه بعضًا بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض»(٤).
- قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ فيتفكرون فيه، فيرون تصديق بعضه لبعض، وما فيه من المواعظ والذكر والأمر والنهي،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤١٨.
(٢) جامع البيان ٨/ ٥٦٧.
(٣) المرجع السابق.
(٤) ينظر: الطبري في جامع البيان ٨/ ٥٦٧، وينظر أيضًا: البغوي ٢/ ٢٥٤، ابن عطية ٢/ ١٦١، الرازي ١٠/ ١٩٦، الخازن ٢/ ١٣٧.

وأن أحـداً مـن الخلائـق لا يقـدر عليـه»[(١)].

◈ مـا اشـتمل عليـه مـن أنـواع الهدايـات التـي تشـهد لصحتهـا العقـول؛ فيمـا للعقـل مجـال لإدراكـه، وتوافـق الفطـر السـليمة، فهـو يدعـو إلـىٰ كل معـروف وخيـر، وينهـىٰ عـن كل منكـر وشـر، فـلا تجـد فيـه مـا يجـافي الحقيقـة والفضيلـة، أو يأمـر بارتـكاب الشـر والفسـاد، أو يصـرف عـن الأخـلاق الفاضلـة[(٢)].

◈ صـدق مـا تضمنـه مـن الإخبـار عـن الغيـوب الماضيـة والمسـتقبلة، ومـن ذلـك: كشـف خبايـا وخفايـا المنافقيـن وإظهـار ذلـك، وهـم يعلمـون صـدق مـا أخـبر بـه عنهـم[(٣)].

◈ مـا حـواه مـن ألـوان الأدلـة والبراهيـن التـي يخضـع لهـا كل منصـف مريـد للحـق متجـرد مـن الهـوىٰ[(٤)].

◈ فصاحتــه وإعجــازه للإنــس والجــن عربهــم وعجمهــم، وهــذه ســمة لا تفارقـه مـن أولـه إلـىٰ آخـره، فهـو علـىٰ كثـرة سـوره وآياتـه، وطـول المـدة التـي نـزل فيهـا لا تجـد فيـه تفاوتـاً ولا خلـلاً في موضـع واحـد، وهـذا لا يتأتـىٰ للبشـر مهمـا بلغـت فصاحتهـم[(٥)].

الغرض الخامس: تدبره للوقوف على عظاته: يسـاعد تدبـر القـرآن الكريـم علـىٰ الوقـوف علـىٰ عظاتـه والاعتبـار بمـا فيـه مـن القصـص والأخبـار،

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج ٢/ ٨٢، زاد المسير ٢/ ٧٢، الخازن ٢/ ١٣٧.
(٢) التحرير والتنوير-ابن عاشور ١/ ٦٧.
(٣) ينظر: البغوي ٢/ ٢٥٤، الرازي ١٠/ ١٩٦، الخازن ٢/ ١٣٧، النيسابوري٣/ ٣٦، البقاعي٢/ ٢٣٨، الألوسي ٤/ ١٥٠.
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ١٦١.
(٥) ينظر تفاسير العلماء: الرازي ١٠/ ١٩٦، الخازن ٢/ ١٣٧، النيسابوري ٣/ ٣٦، البقاعي ٢/ ٢٣٨، الألوسي ٤/ ١٥٠.

وتعقل أمثاله المضروبة، وما اشتمل عليه من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب؛ من أجل أن يرعوي العبد فيستدرك ما وقع له من تقصير، ويزداد من الإقبال والتشمير في طاعة الله تعالىٰ[١].

الغرض السادس: تدبره للتعرف على ضروب المحاجَّة والجدال للمخالفين: يساعد تدبر القرآن الكريم علىٰ التعرف علىٰ ضروب المحاجة والجدال للمخالفين وأساليب الدعوة للناس علىٰ اختلاف أحوالهم، وطرق التأثير علىٰ المخاطبين، وسُبل الإقناع التي تضمنها القرآن الكريم.

الغرض السابع: تدبره من أجل الاستغناء به عن غيره سوى السنة فإنها شارحة له: قال ابن تيمية في باب فهم القرآن: قارئ القرآن دائم التفكر والتَّدَبُّر لألفاظه، واستغنائه بمعاني القرآن وحِكَمِه عن غيره من كلام الناس، وإذا سمع شيئًا من كلام الناس وعلومهم عرضه علىٰ القرآن؛ فإن شهد له بالتزكية قبله وإلاّ رده»[٢].

الغرض الثامن: تدبره من أجل تليين القلب به وترقيقه، وتحصيل الخشوع: يساعد تدبر القرآن الكريم من أجل تليين القلب به وترقيقه، وتحصيل الخشوع، فقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ٢٢/ ١٧٩، الواحدي ١/ ٩١٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ٢٤٦، الألوسي ١٩/ ١٥٤، ابن عاشور ٣/ ٤٨٣.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ١٦/ ٥٠.

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

الغرض التاسع: تدبره من أجل الامتثال والعمل بما فيه من الأوامر، واجتناب النواهي: يساعد تدبر القرآن الكريم علىٰ أجل الامتثال والعمل بما فيه من الأوامر، وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيان المراد بقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١] قال: «والذين نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله»(١).

وعن عكرمة: يتبعونه حق اتباعه؛ باتباع الأمر والنهي، فيحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويعملون بما تضمنه(٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم- ابن كثير ١/ ٤٠٣.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٩٢.

المعيار السابع: أهمية التَّدَبُّر:

لا شكّ أن الواجب لبلوغ حقيقة التَّدَبُّر -علىٰ مَن خصّه الله بسماع كتابه أو تلاوته- تفهم معانيه، وملاحظة أثرها، ويعينه علىٰ ذلك الأمور الآتية:

الأول: معرفة حِكَم إنزال القرآن الكريم:

المتتبِّع للآيات الخاصّة -**آيات البيان وآيات التَّدَبُّر**- تتجلّىٰ لديه **حقيقة التَّدَبُّر الأساسية**، التي تكشف لنا عن حِكَم إنزال القرآن علىٰ النبيّ ﷺ، كما بيّن أهل العلم سلفًا وخلفًا:

١- أن الله عَزَّوَجَلَّ أنزل القرآن علىٰ نبيّه ﷺ، ليبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم في هذا الكتاب، من الأحكام الشرعية، والوعد والوعيد، ونحوذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤][1].

٢- وأمرهم بالتَّدَبُّر والتفكّر في آيات الله والاتعاظ بها، والتأمّل في أحكامها ومقاصدها، والعمل بما جاء فيها تقرّبًا إلىٰ رضىٰ الله تعالىٰ.

ومن الآيات في هذا الشأن، قوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] إلىٰ غير ذلك من الآيات[2].

وعليه: فإن قوله تعالىٰ: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟﴾ متعلق بقوله تعالىٰ: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، والمراد: **أنزلناه ليدّبّروا آياته.**

---

(١) أضواء البيان ٣/ ١٠، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ١٠٩، وفتح القدير ٤/ ٢٢٣.

(٢) أضواء البيان ٣/ ١٠، والتحرير والتنوير ٨/ ٥٢.

ومضمون هذه المعاني يشير إلىٰ **الغاية والمقصود من إنزال القرآن**، فلم ينزِّله الله تعالىٰ ليتباهىٰ الناس به، ويتمارىٰ به القرّاء، دون اعتناء بمضمونه، بل أنزله **لتَّدَبُّر آياته**، والتفكّر والنظر فيها.

٣- ومن ثمّ العمل به جملةً وتفصيلاً، بحيث يتخذ دستوراً ومنهجًا، يسيرون عليه ويرجعون إليه، ويحتكمون إلىٰ تعاليمه وآياته؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

ولما كان حصول المقصود من إنزال القرآن لا يتم إلا **بالتَّدَبُّر**؛ أمر الله بذلك فقال: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾، ومعناه: ليتفكّروا فيها، فيقفوا علىٰ ما فيه ويعملوا به، وهذه **أسمىٰ حقائق تدبّر القرآن**.

وفي هذا السياق يقول **السّعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبيّنًا حقيقة التَّدَبُّر**، وما ترمي إليه هذه العبارة من **الخير والفوائد**: «يأمر تعالىٰ **بتدبّر** كتابه، وهو **التأمّل** في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازمه، ذلك لأن **تدبّر** كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يُستنتج كل خير وتُستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته، فإنه يعرِّف بالربّ المعبود، وما له من صفات الكمال؛ وما ينزّه عنه من سمات النقص، ويعرِّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرِّف العدو الذي هو العدو علىٰ الحقيقة، والطريق الموصلة إلىٰ العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب»[(١)].

٤- ومن حقائق تدبّر القرآن، أنه كلما ازداد العبد **تأمّلاً** فيه؛ **ازداد علمًا وعملاً وبصيرةً وإيمانًا**؛ لذلك أمر الله بذلك، وحثّ عليه، وأخبر أنه هو

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص١٨٩.

المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

٥- ظهور دلالات معرفة الله تعالىٰ، وعبادته حقّ العبادة: فالدّلالات القرآنية كثيرةٌ جداً علىٰ سعة رحمته، وجزيل فضله، ووجوب شكره، وكمال قدرته، وعظيم سلطانه، وسعة ملكه، وعموم خلقه لجميع الأشياء.

فجميع **التدبير** في العالم العلوي والسفلي، في ماضي الأوقات وحاضرها ومستقبلها **بيد الله تعالىٰ**، ليس لأحد من الأمر شيء، ولا من القدرة شيء، فينتج من ذلك أنه تعالىٰ هو **المألوه المعبود وحده**، الذي لا يستحق أحد معه من العبودية شيئًا، كما لم يستحق من الربوبية شيئًا، وينتج من ذلك امتلاء القلوب **بمعرفة الله تعالىٰ** ومحبته وخوفه ورجائه.

وهذان الأمران -أي: **معرفته وعبادته**- من **أعظم الحقائق** التي يُتوصّل إليهما عن طريق **التَّدَبُّر**، وهما اللذان خلق الله الخلق لأجلهما، وهما الغاية المقصودة منه تعالىٰ لعباده، وهما الموصلان إلىٰ كل خير وفلاح وصلاح، وسعادة دنيوية وأخروية، وهما اللّذان أشرف عطايا الكريم لعباده، وهما أشرف اللذّات علىٰ الإطلاق، وهما اللّذان إن فاتا، فات كل خير، وحضر كل شر، فنسأله تعالىٰ أن يملأ قلوبنا بمعرفته ومحبته، وأن يجعل حركاتنا الباطنة والظاهرة خالصة لوجهه، تابعة لأمره، إنه لا يتعاظمه سؤال، ولا يحفيه نوال[(١)].

«قال تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾[محمد: ١٩]، فالعلم مقدم علىٰ العمل، فتدبر هذا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٧٤١.

القرآن العظيم والتأمل في آياته هو الباب الأعظم إلىٰ العلم بالتوحيد؛ فذاك الذي يملأ القلوب بالإيمان، وبه يتبين للعباد الطريق الموصلة إلىٰ الله، وإلىٰ جنته، والطريق الموصلة إلىٰ العذاب، وبأي شيء تُحذر، ويعرَّفهم بربهم وأسمائه وصفاته وإحسانه، ويشوَّقهم إلىٰ الثواب الجزيل، ويرهِّبهم من العقاب الوبيل»(١).

الثاني: أنَّ تدبّر القرآن يتضمّن بيان إعجازه:

١- أن العبد يصل بالتَّدَبُّر إلىٰ حقيقة اليقين والعلم بأن القرآن كلام الله؛ لأنه يراه يصدّق بعضه بعضًا، ويوافق بعضه بعضًا، فترىٰ الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضًا، فبذلك يعلم كمال القرآن، وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور؛ فلذلك قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلًا(٢).

٢- ذلك أن مَن تَدبَّر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونًا ظاهرةً وخفيةً، من حيث اللفظ ومن جهة المعنىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، فأُحكمت ألفاظه، وفُصِّلت معانيه، فكلّ من لفظه ومعناه فصيح لا يجارىٰ ولا يدانىٰ(٣)، فقد: أخبر عن **مغيّبات ماضية وآتية**، كانت ووقعت، طبق ما أخبر سواء بسواء.

(١) مفهوم التَّدَبُّر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم، محمد عبدالله الربيعة، الملتقىٰ العلمي الأول لتَدَبُّر القرآن الكريم، ١٤٢٩هـ.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٩٩.

٣- وأمر بكل خير، ونهىٰ عن كل شر، كما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]، أي: صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام.

٤- القرآن جميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة، عند من يعرف ذلك تفصيلاً وإجمالاً، كما جاء في الحديث: «هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلق علىٰ كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه»[١].

٥- وجاء بأسلوبٍ تقشعرّ له الجبال وتتصدّع؛ قال تعالىٰ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، فما ظنك بالقلوب اللينة؟!

◈ **فإنْ وعَدَ،** أتىٰ بما يفتح القلوب والآذان، ويشوّق إلىٰ دار السلام، ومجاورة عرش الرحمن، كما قال في الترغيب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، وقال: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

◈ **وقال في الترهيب:** ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٨]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ

---

(١) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه ح(٢٩٤٢١)، والترمذي في جامعه ح(٢٩٠٦) وقال: «هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال»، والمروذي في قيام الليل (٢١٣)، والدارمي في سننه ح(٣٣٣١)، وغيرهم، وضعّفه الشيخ الألباني، ضعيف الترمذي (٢٩٠٦)، وليس لهذا الحديث إسناد صحيح، ولكن معناه صحيحٌ، ولمعناه شواهدٌ، ولذلك احتج به ابن تيميّة، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٢٣١، والبغوي في المصابيح ٢/ ١١٨، وابن كثير في التفسير ١/ ٢٠-٢٢.

بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

◈ **وقال في الزَّجر:** ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

◈ **وقال في الوعظ:** ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧]، إلىٰ غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة.

٦- **جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي،** فاشتملت علىٰ الأمر بكل معروف حَسن ونافع وطيّب محبوب، والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء؛ كما قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره من السلف: «إذا سمعت الله تعالىٰ يقول في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فأرعِها سمعك، فإنه خير يأمر به أو شر ينهىٰ عنه»[1]؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٧- **وجاءت الآيات في وصف المعاد،** وما فيه من الأهوال، وفي **وصف الجنة والنار،** وما أعدّ الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم والملاذ والعذاب الأليم، بشّرت به وحذّرت وأنذرت؛ ودعت إلىٰ فعل الخيرات واجتناب المنكرات، وزهّدت في الدنيا، ورغّبت في الأخرىٰ، وثبّتت علىٰ الطريقة المثلىٰ، وهدت إلىٰ صراط الله المستقيم وشرعه القويم، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ١/ ١٩٦ ح (١٠٣٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم- ابن كثير (١/ ٢٠٠-٢٠١).

❁ **الثالث: تتجلّى حقائق وفوائد نفيسة في عملية التَّدَبُّر، منها:**

١- أن حقيقة تدبّر القرآن تكشف لنا عن المعنىٰ الحقيقي للدِّين الإسلامي، وعلاقته **بترقية الأمّة** نحو **الأحسن والأجود والأتقن،** في جميع المجالات الحيوية المتعلّقة بحياة الناس، فعملية **التَّدَبُّر** للقرآن الكريم في كلياته وجزئياته، وفي أصوله وفروعه.

٢- يفيدنا أن الدّين هو ما كلّف الله به الأمّة من مجموع العقائد، والأعمال، والشرائع، والنظم.

٣- وأن إكمال الدين الممتن به في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]، هو إكمال البيان الذي اقتضت الحكمة تنجيمه، فكان متضمناً: أحكام الاعتقاد التي لا يسع المسلمين جهلها، وتفاصيل أحكام الإسلام وقواعده؛ بالقول والفعل، وبيان شرائع المعاملات، وأصول النظام الإسلامي، وبذلك كلّه تمّ مراد الله تعالىٰ في قوله: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فصار مجموع التشريع الحاصل بالقرآن والسنّة كافياً في هدي الأمّة؛ في عبادتها، ومعاملتها، وسياستها، في سائر عصورها، وكل ما تدعو إليه حاجاتها، فكان الدين وافياً في كلّ وقت، بما يحتاجه المسلمون[1].

٤- أنَّ فهم القرآن يعتبر معيارٌ لصحة سلوك الإنسان المسلم مع ربه ابتداء، ثم مع باقي المخلوقات، إلا أن فهم القرآن يتطلب النظر والتَّدَبُّر فيه، ولذلك عدّ الإمام ابن القيم أنَّ عدم تدبر القرآن والتفكر في آياته وتأمله أحد الأنواع

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٤/ ١٣٣ بتصرف.

الخمسة لهجر القرآن الكريم[١].

وآيات تدبر القرآن وردت ثلاث منها بصيغة الاستفهام الاستنكاري، والرابعة تحدد هدف إنزاله وهو التَّدَبُّر، فالذي لا يتدبر القرآن يشارك المنافقين والكافرين في هذا الفعل، ولا يوافق مراد الله من تنزيله للقرآن، وهذا سببٌ جعل الكثير من المسلمين بعيدين في سلوكياتهم عن القرآن، وعاجزين عن إيجاد حلول لكثير من المسائل الطارئة والحديثة بخلاف سلفهم الصالح.

إنَّ تدبر القرآن يزيل الغشاوة، ويفتح العقول، ويُكسب النور، ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلص الضمير، وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير، قال تعالىٰ: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ [لقمان: ٣] ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

---

(١) ينظر: الفوائد لابن القيم ص٨٢-٨٣.

المعيار الثامن: ثمرات التَّدَبُّر:

تكمن أهمية التَّدَبُّر في الفوائد والثمار التي يقطفها العبد نتيجة تأمله وتدبره لآيات الله، وتتنوع تلك الثمرات: من عقديَّةٍ، وعمليَّةٍ، وعقليَّةٍ مهاريَّةٍ، وسلوكيَّةٍ تربويَّةٍ، ونشير لبعضها:

أولاً: زيادة الإيمان وتجديده:

وصف الله تعالىٰ قومًا من شأنهم أنهم إذا تُليت عليهم آيات القرآن زادتهم إيمانًا، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال: ٢]، ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع، ويحضرون قلوبهم لتَّدَبُّره، فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لأن التَّدَبُّر من أعمال القلوب، ولأنه لا بدّ أن يبين لهم معنىٰ كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقًا إلىٰ كرامة ربهم، أو وجلاً من العقوبات، وازدجاراً عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان.

وقوة الدين وكمال الإيمان واليقين لا يحصلان إلا بكثرة قراءة القرآن واستماعه، مع التَّدَبُّر رجاء الاهتداء به، والعمل بأمره ونهيه، فالإيمان الصحيح يزداد ويقوىٰ وتترتب عليه آثاره من الأعمال الصالحة، وترك المعاصي والفساد بقدر تدبر القرآن، وينقص ويضعف علىٰ هذه النسبة من تَرْك تدبره، وما آمن أكثر العرب إلا بسماعه وفهمه، ولا فتحوا الأقطار، ومصَّروا الأمصار، واتسع عمرانهم، وعظم سلطانهم، إلا بتأثير هدايته[1].

إن التَّدَبُّر لآيات القرآن يفيد في **إيقاظ الغافلين واللاهين عن الطريق السوي**،

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ١/ ٣١٥، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٩/ ٤٦٣.

ويردّهم إلىٰ جادة الصواب، واتباع منهج الحق، ومن ذلك ما رُوي من توبة الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال ابن قدامة المقدسي: «فسمع قارئًا يقرأ: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، قال: بلىٰ والله قد آن، فكان هذا مبتدأ توبته»[١].

فمن تدبر القرآن أوجب له تدبره علمًا ضروريًا ويقينًا جازمًا أنه حق وصدق، بل أحقّ كلّ حق، وأصدق كل صدق، وأن الذي جاء به أصدق خلق الله وأبرهم وأكملهم علمًا وعملاً ومعرفة.

والعبد بذلك **يصل إلىٰ درجة اليقين** والعلم بأنه كلام الله؛ لأنه يراه يُصدِّق بعضه بعضًا، ويوافق بعضه بعضًا، فترىٰ الحِكَم والقصة والأخبار تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضًا، فبذلك يُعلم كمال القرآن، وأنه مِنْ عند مَنْ أحاط علمه بجميع الأمور، فلذلك قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢] أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلاً[٢].

❁ ثانياً: الاستجابة لأمر الله والثبات عليه:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾[القمر: ١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾[محمد: ٢٤].

ويُخشىٰ أن تكون حال من يقرأ ويحفظ دون تدبر، كحال من سبقنا من الأمم التي عاب الله عليها مثل ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨]، قال ابن عاشور: «قيل: الأماني: القراءة، أي: لا يعلمون الكتاب إلا كلمات يحفظونها ويدرسونها لا يفقهون منها معنىٰ، كما

(١) كتاب التوابين ص(٢٠٧-٢٠٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص١٨٩ بتصرف.

هو عادة الأمم الضالة، إذ تقتصر من الكتب علىٰ السرد دون فهم»[(١)].

وقد سمع المشركون القرآن من النبي ﷺ مراراً كثيرة لكنهم لم يؤمنوا بالقرآن، ولم يهتدوا بهديه، ولم يستنيروا بنوره؛ وذلك لإعراضهم عنه وعدم تدبّره والاتعاظ بمواعظه، كما قال سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٦ - ٦٨].

بل لقد كان المؤمنون والمنافقون يجلسون حول النبي ﷺ جنْباً إلىٰ جنبٍ، يستمعون إلىٰ القرآن ويشهدون نزوله علىٰ النبي ﷺ، فيتفاوت تأثُّر كلٍّ منهم بالقرآن، وتتباين مواقفهم تبايناً كبيراً تجاه القرآن، فيزيد المؤمنين إيماناً إلىٰ إيمانهم، في الوقت الذي يزيد فيه المنافقين رجساً إلىٰ رجسهم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

وتدبر القرآن يثبت علىٰ الحق واليقين؛ حيث يدرك من يعيش مع كتاب الله عُمق الخطر في دعاوىٰ الذين يتّبعون أهواءهم، باتباع مناهج وثقافات علمانية وغربية، تتعارض مع أصول ثقافتنا العربية والإسلامية، تلك الدعاوىٰ التي تريد أن تقطع صلة الأمّة بكتاب ربّها عَزَّوَجَلَّ، فتنسلخ عن مصدر الهداية لتُغرق في التِّيه والضياع[(٢)]، قال الله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

❁ ثالثاً: الوقوف على معرفة الله والحلال والحرام:

وهذا من أعظم بركات التَّدبُّر، أن يقف المسلم من خلال تدبره علىٰ

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١/ ٣٥٨.

(٢) مقدمة تحقيق تفسير البغوي ١/ ٥.

عظمة ربه عَزَّوَجَلَّ، وهيمنته وقدرته، حيث إن المتدبر لن يُرزق نعمة التَّدَبُّر إلا بتحريك القلب واستشعاره هذه المعاني قبل كل عملية تدبر، وقد سبق التحدث عنه في الوسائل القبلية.

ووقوف المتدبر علىٰ الحلال والحرام أمر لا شك فيه؛ وذلك لأن القرآن كتاب الله تعالىٰ، وهدايته لخلقه؛ أوضح لهم فيه محابّه ومساخطه، والله تعالىٰ ما أحب شيئًا إلا وأحلَّه، وما أبغض شيئًا إلا كرهه وحرّمه، ويؤكّد هذه المعاني قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "قد بيّن لنا في هذا القرآن كل علم، وكل شيء"[١]، وقال مجاهد رَحِمَهُٱللَّهُ: «كل حلال وحرام»[٢]، يقول ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ: «وكلام ابن مسعود أعم وأشمل؛ فإن القرآن اشتمل علىٰ كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم»[٣]، وعند التمعن والنظر في الأمثلة التي ضربها الله في القرآن علىٰ ذلك؛ نجدُ دقّة التّمييز بين الطّيّب والخبيث، والفاسد والصّحيح.

❁ رابعاً: عمل المرء بكتاب الله، وتطبيقه في واقع الحياة:

كلُّ من يقرأ القرآن ويتدبُّر ما فيه؛ يلحظ أنَّ القرآن يدعوه للعمل والنشاط والحركة والتطبيق وممارسة السلوك الصائب، والحذر من السلوك الخاطئ.

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١٧/ ٢٧٩، وذكره ابن كثير في التفسير ٤/ ٥٩٤ بتصرف.

(٢) تفسير القرآن العظيم- ابن كثير ٤/ ٥٩٤.

(٣) المصدر السابق، بتصرف.

وجاءت الإشارة لذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٨]، ففيها حثٌّ واضحٌ علىٰ ضرورة العمل بما يوعظون به، وأنَّ له نتائج يحبُّها كل من يؤمن بالله تعالىٰ، فالعمل بالقرآن خير للناس، ومُعينٌ لهم علىٰ الثبات، وعليه أجر عظيم، ويهديهم الله بسببه الصراط المستقيم.

وتحدَّث أهل العلم عن حقيقة التَّدَبُّر، قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتىٰ إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفًا، وقد والله أسقطه كله، ما يرىٰ للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل، والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوَزَعَة، لا كثَّر الله في الناس مثل هؤلاء»[(١)].

وهذا نصٌ صريحٌ عظيمٌ؛ يتبيَّن منه أنَّ سلفنا الصالح ما فهموا أنَّ التَّدَبُّر للقرآن مجرد إقامة حروفه، وتضييع حدوده، لأنَّ حقَّ التلاوة العمل بالقرآن: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١]، يقول عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «والذي نفسي بيده! إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله»[(٢)].

وهذا أمرٌ عامٌّ في أفاضل الصحابة كما يحكيه عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «كان الفاضل من أصحاب النبي ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يرزقون القرآن منهم الصبي والأعمىٰ، ولا يرزقون العمل به»[(٣)].

---

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك ت أحمد فريد ج٦/ ٦١٠ رقم (٧٤٢).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢/ ٥٦٧، وأورده ابن كثير في التفسير ١/ ٤٠٣، وينظر الدر المنثور ١/ ٢٧٣.

(٣) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٠، ونسبه مسنداً إلىٰ ابن الأنباري: حدثنا

قال تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الحجر: ١-٣]، ولعلَّ مما يُمكن استنباطه من هذه الآية: العلم بأنَّ العمل بالقرآن ليس مُجرَّد أمنيات وتمنِّيات، بل هذا القرآن منهج حياةٍ ونظامٌ مُتكاملٌ، تدرك ذلك الأعين المبصرة والقلوب البصيرة؛ وصدق الله -ومن أصدق من الله حديثًا- إذ يقول: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، يقول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم»(١).

ولقد أدرك ذلك كثير مِمَّن لم يدخلوا الإسلام، فإذا تصفَّحنا كتاب (قالوا عن الإسلام)(٢)، ونقولاته عن عدد من الـمُفكرين والخبراء والعلماء من غير المسلمين في وصفهم كتاب الله، وشهادتهم أنَّه كتاب حياة وعلم، مع أنَّهم ما أدركوا معنى وطعم آيات هذا الكتاب، وقالوا كلامًا تظنُّ أنَّه قد خرج من مسلم لانبهارهم بالقرآن الكريم!

فواجب على المسلمين العمل بكتاب الله وتطبيق أوامره، واجتناب نواهيه، فهو متضمنٌ نبأ ما قبلنا وخبر ما بعدنا، وهو حكمٌ، وفصل القضاء، ومن تفهَّم القرآن على حقيقته واتبَّعه حقَّ اتِّباعه؛ فسيرى بأمِّ عينيه كيف

إبراهيم بن موسى، حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا إسماعيل ابن إبراهيم بن المهاجر، عن أبيه، عن مجاهد، عن ابن عمر، فذكره. وضعف إسناده العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣٣٩).

(١) تفسير القرآن العظيم- ابن كثير ٤ / ٥٩٤ - ٥٩٥.

(٢) قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل، مكتبة صيد الفوائد، قسم: ردود وتعقيبات:

http://www.saaid.net/book/open.php?cat=88&book=1636

يُوجّه كتاب الله الحياة إلىٰ كل خير، وإن تعجب فاعجب من بعض العقول فإنَّ: «أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته -أي: القرآن- وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل، ولم يعقبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن»(١).

خامساً: تحصيل الهداية وتوابعها:

من عظيم الغايات والثمار التي يجنيها المتدبر: تحصيل الهداية وتوابعها من الرحمة والبركة...، فلا تتحقق هداية القرآن ولا يمكن معرفة مقدار عظمته إلا بتدبُّره ومعرفة معانيه؛ ولهذا ندب عَزَّوَجَلَّ إلىٰ تدبُّر القرآن، والوقوف علىٰ معانيه والاتعاظ بوعْظه، فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، ففيها تنبيهٌ علىٰ عِظَم أثر الإعراض عن القرآن، فإنَّ القلب يحرم من أنوار الوحي، فهذه القلوب أوعية لا بد أن تشغل بالقرآن ولا تشغل بغيره، فقد اشتهر عن السلف قولهم: إنما العلم الخشية(٢).

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا شَرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتَّدَبُّر عند القراءة، والدلائل عليه أكثر من أن تُحصر، وأشهر وأظهر من أن تُذكر، فهو المقصود والمطلوب، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب»(٣).

الغرض من إنزال القرآن هداية البشرية، وإخراجهم من الظلمات إلىٰ

---

(١) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٤٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد ص(١٥٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٣١ من قول ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن ص٨١.

النور، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، ولا تتحقق الهداية بالقرآن والاستفادة من نوره إلا بالوقوف علىٰ معانيه، وفهْم آياته، وتمكُّنه من القلوب، ومن ثَمَّ العمل به.

فالهداية في مثل قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، يقول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «من قرأ القرآن واتبع ما فيه؛ هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، فضمن الله لمن اتبع القرآن ألا يضل في الدنيا ولا يشقىٰ في الآخرة»(١).

والرحمة ففي مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأعراف: ٢٠٤]، فقوله: ﴿وَأَنصِتُوا۟﴾ أي: إليه لتعقلوه وتتدبروه، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه، ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه، واعتباركم بعبره، واستعمالكم ما بيّنه لكم ربكم من فرائضه في آيِه.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ دلالة علىٰ الطريقة الموصلة لنيل الرحمة بالقرآن والحصانة، من نزغ الشيطان، وهي الاستماع له إذا قرئ، والإنصات مدة القراءة، فمن استمع وأنصت كان جديراً بأن يفهم ويتدبر، وهو الذي يُرجىٰ أن يُرحم(٢).

والبركة فآياتها كثيرة، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، ووصْف القرآن بالبركة يقتضي كثرة خيراته ونمائها وزيادتها، ولا شيء أعظم بركة من هذا القرآن، فإن كل خير ونعمة، وزيادة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٩.

(٢) جامع البيان ١٣/ ٣٤٥، والمنار ٩/ ٤٦١.

دينية أو دنيوية أو أخروية، فإنها بسببه، وأثر عن العمل به، فإذا كان ذكراً مباركًا، وجب تلقيه بالقبول والانقياد والتسليم، وشكر الله علىٰ هذه المنحة الجليلة والقيام بها، واستخراج بركته، بتعلّم ألفاظه وتدبر معانيه، وأما مقابلته بضد هذه الحالة من الإعراض عنه، والإضراب عنه صفحًا، وإنكاره وعدم الإيمان به؛ فهذا من أعظم الكفر، وأشد الجهل والظلم[(١)]، ومن ثم ختم الله تعالىٰ الآية بالإنكار علىٰ من أنكره فقال: ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾.

فالتَّدَبُّر يحقق الحزم والفطنة والحكمة من خلال التأمل في معاني القرآن الكريم وأسراره.

وأمّا الشفاء فالقرآن شفاءٌ ودواءٌ، وهذا أمرٌ محققٌ ومؤكدٌ، فمَن تدبره وعاش معه نال المراد، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، قال الطبري: «يقول تعالىٰ ذكره: وننزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يُستشفىٰ به من الجهل من الضلالة، ويُبصر به من العمىٰ للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به؛ لأنَّ المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويُحلون حلاله، ويحرّمون حرامه فيدخلهم بذلك الجنة، ويُنجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله، أنعم بها عليهم»[(٢)].

والاهتداء والسكينة كما قال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠]، فمن تدبر القرآن تفتحت بصيرته، واهتدىٰ إلىٰ الحق،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٥٢٥.

(٢) جامع البيان ١٧/ ٥٣٨.

وتنزلت عليه الرحمة والسكينة، كما جاء في حديث النبي ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[١].

فإذا تدبّر المؤمن القرآن زالت عنه الشبهات والشهوات التي ترد على الإنسان فتصرفه عن الطاعات، أو تهوي به في المعاصي والظلمات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس: ٥٧]، قال ابن كثير: «أي: من الشُّبَه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من رجس ودَنَس، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي: محصلٌ لها الهداية والرحمة من الله تعالى، وإنما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين بما فيه»[٢].

وكتاب الله تعالى مصدر **سعادة أرواح المؤمنين**؛ فقد وصفه الله تعالى بقوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ٢]، والكتب التي تناقضه لن يعيش أصحابها إلاَّ في شقاء وضيق في صدورهم، كما بيَّن تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

إنَّ كتاب الله تعالى هداية للأفئدة، وطمأنينة للنفوس، وراحة للقلوب، وهو الذي يزيل الأحزان، ويذهب الهموم والغموم، ويرزق الله به الناس من الخيرات ما لا يتوقَّعونه، فهو القائل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦].

وحين يستقيم الناس على الطريقة التي يدعو إليها القرآن، سيلحظوا بركات الرحمن تتنزَّل عليهم، ومن يُعرض عن تطبيقها فإنَّه سينال العذاب

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) تفسير القرآن العظيم- ابن كثير ٤/ ٢٧٤.

والثبور، وعظائم الأمور، فالله تعالىٰ يقول: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٦، ١٧].

وحين يستشعر المؤمن معنىٰ طمأنينة القلب، وراحته وأفراح روحه وزوال قلقه، فإنَّ الأنفس المؤمنة تعلم أنَّه لا يحقُّ لها أن تطمئن لشيء إلاَّ لذكر الله، فهو القائل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فتطمئن القلوب، وتبتهج الأنفس، ويزول الداء عن الفؤاد الصادي، ففي ذكر الله الدواء الشافي، والهدىٰ الوافي، كما قال تعالىٰ عن القرآن: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

وإنَّ مِمَّا يؤسف له أن نجد كثيراً من الناس قلبوا القرآن من كتاب سعادة إلىٰ مُهيِّج للأحزان[1]؛ فلا يتعرَّفون علىٰ كتاب الله تعالىٰ إلاَّ وقت العزاء أو المناسبات المؤلمة، ولا يحصل تدبر ولا تأمل.

❁ سادساً: التَّدبُّر يشحذ الهمم، ويشحن النفوس نحو الخير، ويبعدها عن الشر:

فقد رُويَ عن النبي ﷺ أنه يكرر الآية الواحدة عشرات المرات، فقد روي أنه ﷺ قام الليل وهو يكرر قوله تعالىٰ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، وعن ابن أبي مليكة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «صحبت ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من مكة إلىٰ المدينة فكان إذا نزل قام شطر الليل، فسُئل كيف كانت قراءته؟ قال: قرأ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩] فجعل يرتل ويكثر في ذلك النشيج[2]، والنشيج: شدّة البكاء إذا هاج علىٰ

---

(١) ينظر: الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ٢٩٤ بتصرف.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة ٢/ ٩٥٠ ح(١٨٤٠)، والفسوي في المعرفة والتاريخ ١/ ٥٣٤، والبيهقي في شعب الإيمان ٣٦/ ٤١٦ ح(١٨٩٩).

صاحبه فبكىٰ بصوت مخنوق في صدره فصار له أزيز كأزيز القدر[١].

وما معنىٰ هذا التكرار في الآية إذا لم يكن فيها تقليب الآية، والتفكر فيها، وتكمن ثمرة هذا كله في تهييج النفس علىٰ العمل وتنشيط القلب علىٰ السير وتوثيق إرادة النفس علىٰ عزائم الأعمال، فهذا هو التَّدَبُّر الحق، وهذا هو السر في تكرار الآيات والتفكر فيها والنظر إليها والعبرة منها.

يقول أبوحامد الغزاليّ: «كثر الحثّ في كتاب الله تعالىٰ علىٰ التَّدَبُّر والاعتبار والنّظر والافتكار، ولا يخفىٰ أنّ الفكر هو مفتاح الأنوار، ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم، ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر النّاس قد عرفوا فضله ورتبته، لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره»[٢].

ولذا فالتَّدَبُّر يُورث القناعة في الدنيا، والتعلق بالآخرة، والشوق إليها؛ فمتدبر القرآن يشتاق إلىٰ الله، ويتوق إلىٰ لقائه، والفوز بنعيمه ورضوانه، فهو يزهد في الدنيا -وإن ملك من متاعها ما ملك- لأنها زائلةٌ، ويرىٰ متاع الآخرة خير وأبقىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

قال الحسن البصري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «يا ابن آدم والله إن قرأت القرآن ثم آمنت به ليطولن في الدنيا حزنك، وليشتدن في الدنيا خوفك، وليكثرنَّ في الدنيا بكاؤك»[٣].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «همَّة المؤمن متعلقة بالآخرة، فكلُّ ما في الدنيا يحركه ذكر الآخرة، فإذا رأىٰ ظلمة الليل ذكر ظلمة القبر، وإن رأىٰ مؤلمًا ذكر العقاب، وإن سمع صوتًا فظيعًا ذكر نفخة الصور، وإن ذكر الناس نيامًا

---

(١) ينظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي ص٢٠٧ بتصرف.
(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ٤/ ٤٢٣.
(٣) الزهد للإمام أحمد ص٢١٠، ح(١٤٥٣).

ذكر الموت في القبور، وإن ذاق لذةً ذكر الجنة، فهِمَّتُه متعلقة بما ثَمّ، وذلك يشغله عن كل ما تَمَّ»[١].

والرضا والقناعة منحة وهبة إلهية للعبد المتدبر لكلامه، ويكون الرضا بالله وبدينه ورسوله أولاً، ثم الرضا والقناعة بما قسم الله تعالىٰ للعبد من رزق ومتاع في هذه الحياة، ليلقىٰ رضا الله عنه في الآخرة[٢]، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

وقال ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً**»[٣].

سابعاً: يثمر التَّدَبُّر العلم والمعرفة ونهضة الأمة:

فالتَّدَبُّر فيه الحث علىٰ العلم والمعرفة التي تقود الإنسان في حياته العملية إلىٰ الإبداع والكشف عن سنن وقوانين الكون، وتسخيرها لتنمية الحياة وإعمار الأرض؛ إذ أثنىٰ الله علىٰ العلماء ورفع مقامهم، فقرنهم عَزَّوَجَلَّ بذكره حينما قال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة: ١١].

وذلك يؤدي إلىٰ ظهور مجتهدين في مختلف العلوم الشرعية المختلفة، ودليل ذلك ما أنتجه أهل الإسلام من مؤلفات وموسوعات علمية هائلة قدّموها للأمة، ينمّ عن تفاعل إيجابي بين فهمهم لكتاب الله وإدراكهم لطبيعة الواقع الذي يعيشون فيه، مما جعل العالم الإسلامي آنذاك مصدراً لمختلف القيم

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي ص٣١٥.
(٢) ينظر: تهذيب مدارج السالكين ص٣٦٣.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: ذاق طعم الإيمان ح(١٢).

الحضارية، كما ظهر علماء مسلمون في مختلف العلوم والفنون، كالكيمياء، والرياضيات، والطب، والفلك، والحساب، وغيرها من العلوم الكونية، والتي أسهمت إسهاماً فاعلاً في خدمة البشرية ورقيها، والمؤمن المتدبر لكتاب الله أقدر من غيره علىٰ النظر العقلي في هذا الكون والتعرُّف علىٰ أسراره، وتوظيف ذلك في خدمة الإنسانية جمعاء، وتوفير سبل أفضل للحياة الهانئة الكريمة[١].

ويؤدي تدبر القرآن إلىٰ تحريك العقل واستثارة طاقاته في كل وقت، وتنمية مهارات البحث التجريبي، وتأسيس العقلية المسلمة التي ترىٰ أن التفكر في الكون والأنفس فريضة وعبادة يتقرب بها إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فكثير من آيات القرآن دعت إلىٰ النظر في حقيقة الوجود والكون، وآفاق النفس، قال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الروم: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٥][٢].

والتَّدبُّر تنبيهٌ للنفوس علىٰ ضرورة الخروج من فكر التبريرات، وإلقاء اللوم علىٰ الآخرين، إلىٰ فكر النقد الذاتي، الذي يجول في أرجاء النفس باحثاً عن أسباب التأخر، محاولاً الخروج منها، وعلاجها، عوضاً عن غضِّ الطرف عنها، قال تعالىٰ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

وكان تدبر القرآن سبباً في تغيير حياة الصحابة الكرام، الذين كانوا يسمعون القرآن فيقولون: والله إنه ليس بقول بشر، لذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فليس

---

(١) تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، د. رقية العلواني ص١٩-٢٤ بتصرف.

(٢) تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، د رقية العلواني ص١٨ بتصرفٍ يسير.

شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلىٰ نجاته من تدبّر القرآن، وإطالة التّأمّل وجمع الفكر علىٰ معاني آياته، فإنّها تطلع العبد علىٰ معالم الخير والشّرّ بحذافيرها، وتضع في يده مفاتيح كنوز السّعادة والعلوم النّافعة، وتثبّت قواعد الإيمان في قلبه، وتريه صورة الدّنيا والأخرة، والجنّة والنّار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيّام اللّه فيهم، وتبصّره مواقع العبر، وتشهده عدل اللّه وفضله، وتعرّفه طريق أهل الجنّة وأهل النّار وأعمالهم، ومراتب أهل السّعادة وأهل الشّقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه، وتعرّفه ما يدعو إليه الشّيطان، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه، فهذه أمور ضروريّ للعبد معرفتها، ومشاهدتها ومطالعتها، فتشهده الآخرة حتّىٰ كأنّه فيها، وتغيّبه عن الدّنيا حتّىٰ كأنّه ليس فيها، وتعطيه فرقانًا ونوراً يفرّق به بين الهدىٰ والضّلال، والغيّ والرّشاد، وتعطيه قوّة في قلبه، وحياة واسعة وانشراحا وبهجة وسرورا، فيصير في شأن والنّاس في شأن آخر»[(١)].

والمؤسف اليوم أن الإقبال علىٰ التَّدَبُّر والفهم ضعيف، وهذه الحال مخالفة للحال التي أمر الله عَزَّوَجَلَّ بقراءة القرآن عليها، فقوله تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، أي بتمهل وترسل، قال ابن كثير: «فإنه يكون عونًا علىٰ فهم القرآن وتدبره»[(٢)]، فجعل الفهم والتَّدَبُّر علة للأمر بقراءته مرتلًا، وقال الشوكاني: «أي: اقرأه علىٰ مهل مع تدبر»[(٣)]، فجعل التَّدَبُّر داخلًا في معنىٰ الترتيل.

وغيرها من الثمرات التي لايمكن إحصاؤها، ولكل قومٍ من هذا الكتاب نصيبٌ.

---

(١) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٤٨٥-٤٨٦، بتصرف.

(٢) تفسير القرآن العظيم- ابن كثير ٨/ ٢٥٠.

(٣) فتح القدير للشوكاني ٧/ ٣٣٦.

المعيار التاسع: آثار تدبر القرآن وعلاماته:

لا شكّ ولا ريب أنَّ الله شرع التَّدَبُّر لصلاح العباد في دينهم ودنياهم، ونحاول الإشارة لشيءٍ يسير من أثر ذلك، من باب التنبيه، وليكون بابًا للنظر والاعتبار، إذ الاستقصاء والتتبع هنا يتعذر.

فنشير إلىٰ أثره علىٰ القلب، والعمل، والإيمان، والأخلاق، والمعرفة، وحضارة المجتمع، وضبط السلوك، وبناء الشخصية.

أولاً: الآثار القلبية العامة لتَّدَبُّر القرآن:

إن للتَّدَبُّر آثاراً كبيرة علىٰ الإنسان المسلم، وهو من أهم الوسائل للارتقاء بالفرد روحيًا وسلوكيًا، ونفسيًا، وخُلقيًا، والتَّدَبُّر لكلام الله تعالىٰ أهم الركائز، وأسبق الوسائل؛ في صياغة الشخصية المسلمة المستقيمة، إذ إن المتدبر يعتبر بالقصص القرآني، ويوقن بالخبر الغيبي، وينصاع لحكم الله في حياته وواقعه، بعكس من لا يتدبر نسأل الله العفو والعافية.

ومن تلك الآثار العامة التي تتعلق بقلب المتدبر:

١ - **التأثر والبكاء من خشية الله**، قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾ [مريم: ٥٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]، وقال عن مؤمني أهل الكتاب: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الحج: ٣٥]، أي: خافت وحذرت

مخالفته فوصفهم بالخوف والوجل عند ذكره وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه[(١)]، وذلك أثر من آثار تدبر القرآن الكريم.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[الزمر: ٢٣]، ففي الآية بيان لما يحصل عند سماع القرآن الكريم من التأثر لسامعيه، والاقشعرار: التقبض، يقال: اقشعر جلده؛ إذا تقبض وتجمع من الخوف، والمعنىٰ: أنها تأخذهم منه قشعريرة[(٢)].

وقالت أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كان أصحاب الرسول ﷺ تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم عند سماع القرآن»[(٣)].

وعن عبدالرحمن بن السائب قال: قدم علينا سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد كف بصره فسلمت عليه، فقال: من أنت؟ فأخبرته، فقال: مرحبًا بابن أخي بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به، فمن لم يتغن به فليس منا**»[(٤)]، أي: نزل مصحوبًا بما يجعل القلب حزينًا، والعين باكية؛ إذا تأمل القارئ فيه وتدبر. يقول أبو بكر الآجري: «أحب لمن يقرأ القرآن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/ ٥٨.

(٢) فتح القدير للشوكاني ٤/ ٦٥٢.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور ٢/ ٣٣٠ ح(٩٥)، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/ ٤٢، والبيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٤١٦ ح(١٨٩٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: في حسن الصوت بالقرآن ح(١٣٣٧)، وإسناده ضعيف فيه إسماعيل بن رافع الأنصاري؛ ضعيف الحفظ، ينظر: تقريب التهذيب ص(١٠٧)، وقوله: «ليس منّا من لم يتغن بالقرآن» أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ..﴾ ح(٧٥٢٧).

أن يتحزن عند قراءته، ويتباكى، ويُخْشِع قلبه، ويتفكَّر في الوعد والوعيد؛ ليستجلب بذلك الحزن»(١).

٢- **حضور القلب والعقل والوقوف عند المعاني**، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ [الفرقان: ٧٣]. وقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

٣- **الفرح والاستبشار عند آيات الوعد والنعيم والرضوان رجاءً لما عند الله**، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

٤- **الخوف والمهابة عند آيات الوعيد والعذاب المهين والخسران**، لأن المؤمن الصادق يعيش دائماً بين الخوف والرجاء، فلا ييأس من الرحمة وإن قصّر، ولا يغتر بعمله وإن أحسن، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

ثانياً: الآثار العملية لتَدَبُّر القرآن:

فالمؤمن لا يقفُ عند مجرد السماع والتأثر، بل يتعدى ذلك إلى العمل والاستجابة لله ورسوله ﷺ، وهذا أصلٌ عظيمٌ من أصول التَّدَبُّر، وإلا فقد ذمَّ الله اليهود الذين يزعمون أنهم آمنوا بالكتاب، والحال أنهم لا يعملون به، قال

---

(١) أخلاق أهل القرآن ص(١٦٧).

تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١]، أي: لما جاءهم هذا الرسول الكريم بالكتاب العظيم بالحق الموافق لما معهم، وكانوا يزعمون أنهم متمسكون بكتابهم، فلما كفروا بهذا الرسول وبما جاء به، ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ الذي أنزل إليهم، أي: طرحوه رغبة عنه ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾، وهذا أبلغ في الإعراض كأنهم في فعلهم هذا من الجاهلين وهم يعلمون صدقه، وحقيقة ما جاء به[(١)].

ومن تلك الآثار العمليّة لامتثال ما في القرآن والعمل به:

١- **زيادة الإيمان والطمأنينة**، فقد ظهر أثر التَّدَبُّر في سلوك الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بحسب ما نزل فيهم من الآيات الكريمات التي تصف لنا حالهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، «وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة إيمانهم، ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه، ونظير هذه الآية: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] فهذا يرجع إلى **كمال المعرفة وثقة القلب**، والوجل: الفزع من عذاب الله، فلا تناقض وقد جمع الله بين المعنيين في قوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(٦٠).

رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[الزمر: ٢٣]، أي: تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلىٰ الله، وإن كانوا يخافون الله، فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته[(١)].

قال ابن كثير: «وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ وأشباهها علىٰ: زيادة الإيمان، وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة»[(٢)].

وفي الآية دليل علىٰ أن تدبر القرآن الكريم يزيد في الإيمان، وروي أن قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]، نزلت في أبي بكر وعمر وعلي رضوان الله عليهم[(٣)].

والـمُخبتين: المتواضعين الخاشعين من المؤمنين، والخبت ما انخفض من الأرض والمخبت المتواضع الذي مشيه متطامن كأنه في حدود من الأرض، وقيل: المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا، وهذا مثال شريف من خلق المؤمن الهين اللين، وقد انعكس ذلك علىٰ أخلاق وسلوك أصحاب النبي ﷺ[(٤)].

٢- السجود والخضوع والذلة تَهَيُّبًا لعظمة الله وإجلالاً لشأنه جلّ وعلا، فإن من لم يعظم الله ويسجد له هنا فلن يستطيع السجود له يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، وقوله

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم- ابن كثير ٢/ ٣٧٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٥٨، والخبر: ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١٢٢ بصيغة: وروي..

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ١٢٢.

تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[الإسراء: ١٠٧-١٠٩]. وقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

٣- العمل به: قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٣]. والسلف الصالح امتثلوا لأوامر القرآن واجتنبوا نواهيه، اقتداءً بالنبي ﷺ الذي تحلّىٰ بأخلاق القرآن، فعن سعد بن هشام بن عامر قال: «سألت عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقلت: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟، قلت: بلىٰ، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن. قال: فهممتُ أن أقوم ولا أسأل أحداً عن شيء حتىٰ أموت، ثم بدا لي فقلت: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ فقالت: ألست تقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١]؟، قلت: بلىٰ، قالت: فإن الله عَزَّوَجَلَّ افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولاً وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء حتىٰ أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة...»[١]، فهذا الحديث دليل علىٰ منهج النبي ﷺ في التعامل مع القرآن، وهو التخلق بأخلاقه، والعمل بأوامره.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتىٰ يعرف معانيهن والعمل بهن»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض ح(٧٤٦).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢/ ١٢٢، وإسناده صحيح، وأخرجه الحاكم في مستدركه ١/ ٧٤٣ح(٢٠٤٧)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٣/ ١١٩ح(٥٠٧٢) بلفظ: «كنا إذا تعلمنا من

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أونحوها، ورُزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن، منهم الصبي والأعمىٰ ولا يرزقون العمل به»[١].

وفي هذا المعنىٰ قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنَّا صعْب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن مَنْ بعدنا: يسهل عليهم حفظ القرآن، ويصعب عليهم العمل به»[٢].

فهكذا كان منهج النبي ﷺ في تعليم الصحابة القرآن: تلازم العلم والمعنىٰ والعمل، فلا يزيد إلا بعد فهم السابق والعمل به.

❁ ثالثاً: آثار تدبّر القرآن في بناء الإيمان:

من خلال تدبّر الآيات القرآنية الواردة في تقرير العقائد الإيمانيّة وإثباتها؛ يتبيّن أنّ منهج القرآن الكريم في هذا الجانب قائم علىٰ:

١- بناء المعرفة والهداية: أشار الإمام ابن القيم إلىٰ أن التفكير يهدي الإنسان إلىٰ معرفة الله والإيمان به من خلال مشاهدة آياته المشهودة، يقول: «بيانٌ بالآيات المسموعة المتلوة، وبيانٌ بالآيات المشهودة المرئية، وكلاهما أدلةٌ وآياتٌ علىٰ توحيد الله وأسمائه وصفاته وكماله، وصدق ما أخبرت به رسله عنه، ولهذا يدعو عباده بآياته المتلوة إلىٰ التفكر في آياته المشهودة، ويحُضّهم علىٰ التفكير في هذه وهذه، وهذا البيان هو الذي بُعثت به الرسل،

النبي ﷺ عشر آيات من القرآن لم نتعلم من العشر الذي نزلت بعدها حتىٰ نعلم ما فيه، قيل لشريك من العمل؟ قال: نعم وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(١) سبق تخريجه والحكم عليه.

(٢) سبق تخريجه.

وجُعل إليهم وإلىٰ العلماء بعدهم، وبعد ذلك يضل الله من يشاء؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]، فالرسل تُبيِّن، والله هو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء بعزته وحكمته[(١)].

٢- توجيه الإنسان إلىٰ التفكّر بعجائب مخلوقاته سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ الواقعة تحت إدراك الحسّ، بادئـًا بأبسطها وأقربها بالنسبة لبيئة الإنسان ومحيطه، فتجده مثلاً أول ما يوجه ساكن الصحراء التي تحيطها الجبال وتكثر فيها الإبل، إلىٰ النظر والتفكّر في عظمة هذه الأمور وإتقان خلقها، بادءاً بأقرب الأشياء لإنسان تلك البيئة وهي الإبل، قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢١].

والإنسان بذكائه وصفاء قريحته؛ يُدرك هذه الخاصيّة في سهولة تلقي حقائق العقيدة الإسلامية، فيسارع في الإيمان بها والتدليل علىٰ حقيّتها، يُفهم هذا من قول ذلك العربي عن إثبات أنّ الكون مخلوق لله تعالىٰ: «البعرة تدل علىٰ البعير، وأثر الأقدام علىٰ المسير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحر ذا أمواج، لا تدل علىٰ اللطيف الخبير!!»[(٢)].

٣- إمعان النظر وترديد الفكر مع وضوح الدلالة: وسنكتفي -اختصاراً- بذكر مثال واحد، يبيّن أثر تدبّر القرآن الكريم في بعض المسائل المتعلقة بالإيمان بالله تعالىٰ، ففيما يتعلّق بإثبات اسم (الخالق) لله تعالىٰ إذا تلا الإنسانُ أو

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٦٦.

(٢) من خطبة لقيس بن ساعدة، ينظر: البيان والتبيين للجاحظ ص١٦٣، والكشف والبيان ٣/ ٣٢، وقانون التأويل ص١٠.

سمع قول الله تعالىٰ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٤-٣٦]، ثمّ أمعنَ النظر، وردّد الفكرَ، في معاني هذه الآيات ودلالاتها القاطعة علىٰ أنّ الله تعالىٰ هو خالقُ كلّ شيءٍ، وأنّ كلّ نظريّة أو عقيدة أو فكرٍ لا يقرُّ بهذه الحقيقة الدامغة فهو باطل، قالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٧] كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ»[(١)].

قال ابن تيميّة: «هذا تقسيم حاصر، يقول: أَخُلقوا من غير خالق خلقهم؟ فهذا ممتنع في بدائه العقول، أم هم خَلقوا أنفسهم؟ فهذا أشدُّ امتناعًا، فعُلم أنَّ لهم خالقًا خلقهم، وهو الله سبحانه، وإنّما ذكر الدليل بصيغة استفهام الإنكار ليتبين أنّ هذه القضية التي استدل بها فطرية بديهية مستقرة في النفوس، لا يمكن إنكارها، فلا يمكن لصحيح الفطرة أن يدّعي وجود حادث بدون محدث أحدثه، ولا يمكنه أن يقول: هو أحدث نفسه»[(٢)].

٤- بيان ما يتعلّق بمنهج التعامل مع الغيب وحقيقة البعث، وغير ذلك من الأمور العقدية، «فما من قضيَّة عقَديَّة ساقها القرآنُ الكريم إلاَّ قرَنَها بدليل صِدْقها وبرهان يقينها القَطعي في دلالته، فيجب علىٰ كلِّ باحث ألاَّ يغفل عن التَّنبيه إلىٰ ما يحتويه النصُّ القرآني من برهان عقْلي يتَّصل بالموضوع الذي يتحدَّث عنه»[(٣)].

وهكذا في جميع أركان الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، سورة الطور، ح(٤٨٥٤).

(٢) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ٩/ ٢١٢.

(٣) تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين، محمد السيد الجليند ص(٧).

رابعاً: أثر تدبر القرآن الكريم في بناء شخصية المسلم:

أما الفرد فتجلى أثر تدبر القرآن على الفرد المسلم في مجتمع السلف من خلال ما يلي:

١- زيادة الإيمان: وسبق بيانه.

قال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] هو القرآن، ليس كلهم رأى النبي ﷺ[١].

٢- إيجاد الشخصية الإسلامية المتوازنة:

«فالفهم الصحيح للقرآن هو الذي يبعث صاحبه على استثمار الدنيا والآخرة معاً، فلا يضيّع العاقل الدنيا بدعوى طلب الآخرة، ولا الآخرة لانشغاله بالدنيا، بل يكون من خيار الأمة الذي يجمعون بين سعادتي الدنيا والآخرة، ويحقّقون الموازنة بين عملي الدنيا والآخرة»[٢].

وسلفنا الصالح خاصة جيل الصحابة هم أكثر الأجيال تحقيقاً للشخصية الإسلامية المتوازنة، قال أبو سلمة بن عبدالرحمن: «لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ منحرفين ولا متماوتين، وكانوا يتناشدون الأشعار في مجالسهم، ويذكرون أمر جاهليتهم، فإذا أُريد أحد منهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون"[٣].

٣- صقْل المواهب وتنمية القدرات: وسبق بيانه.

ومن ذلك: أن تنمو فيه قوة الملاحظة، وملكة التفكير، وترتفع قدرته على

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد ص(٥٨).
(٢) أثر القرآن في سلوك المجتمع المسلم، د. عبدالقدوس السامرائي ص(٥١).
(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص(٢٥٨).

معالجة الأمور، ويصبح حكَماً عاقلاً عند اختلاف الآراء والأفكار، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩](١)، ولعل مما يشهد لهذا الأمر من حياة الصحابة، ما ورد عن مسروق قال: "ما نسأل أصحاب النبي ﷺ عن شيء إلا وعلمه في القرآن، ولكن قصر علمنا عنه"(٢)، ويؤيده قول ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: "لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالىٰ"(٣).

۞ خامساً: أثر تدبّر القرآن الكريم في ضبط السلوك وتنظيمه:

تجدر الإشارة إلىٰ أنّ القرآن الكريم بنىٰ وضبط المقوّم السلوكي لعلاقات الإنسان الرئيسية الثلاث: مع ربه، ومع نفسه، ومع غيره، حيث جاءت تلك الأحكام:

إمّا علىٰ شكل قواعد وضوابط كليّة، تندرج تحتها أحكامٌ لجزئياتٍ سلوكيّةٍ كثيرةٍ، نحو قاعدة: لا ضرر ولا ضرار، وقاعدة: درء المفاسد أولىٰ من جلب المصالح.

وإمّا علىٰ شكل أحكام جزئيّة تفصيليّة، نحو: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾[الأنعام: ١٥٢]، والتي قنّن الفقهاء بموجبها مجموعة النُّظُم الإسلامية التي تعالج كافة شؤون الإنسان وتنظِّم علاقاته، وهي: نظام العبادات، ونظام الحكم، والنظام الاجتماعي، والنظام الاقتصادي، ونظام الإعلام والتعليم، ونظام العقوبات.

والمتدبّر للآيات القرآنيّة المتعلقة بالتأصيل والتقعيد لهذه القواعد

---

(١) دعوة إلىٰ تدبر القرآن الكريم، مختار شاكر كمال ص(١٩٧).
(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٥٤٢، ح(٢٠٨٧).
(٣) ذكره السيوطي في الإتقان ٤/ ٣١ نقلًا عن تفسير ابن أبي الفضل المرسي، وفي معترك الأقران ١/ ١٥، ونقله الآلوسي في روح المعاني ٣/ ٣٥٧.

والأحكام الناظمة للسلوك؛ سيرىٰ مدىٰ أحقيّتها ونجاعتها وكمالها في تنظيم علاقات الإنسان وتدبير شؤونه، وتفوقها علىٰ الأنظمة الوضعية في هذا الجانب، ممّا يدفَعه -وعن رغبة ورضا- لتطبيق تلك الأحكام، وضبط سلوكه بموجبها.

والقرآن الكريم جعل النفسيّة معياراً لقياس درجة انضباط الشخصيّة ومقدرتها علىٰ التغيير، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال: ٥٣]، ولهذه الأهميّة العظيمة للسلوك في حياة الإنسان؛ فإنّ القرآن الكريم وضع مجموعة من الضوابط والمحددات، التي تجعل سلوك المسلم في حال مراعاتها والتقيد بأحكامها سلوكًا راقيًا منظمًا، بعيداً عن الانحراف والتطرّف، مُرضيًا لله عَزَّوَجَلَّ، ومن خلال التَّدَبُّر لبعض الآيات القرآنية؛ نستطيع أن نجمل أهم القواعد الضابطة للسلوك بالآتي:

١ - تحديد الغاية الحقيقية للسلوك:

بحسب الفهم البشري لدوافع السلوك في نظريات علم النفس الغربي الحديث، ينتهي سقف هذا الحدّ عند تحصيل إشباع جوع الغرائز والحاجات العضويّة فقط، وهذا فهمٌ قاصرٌ.

إنَّ غايات السلوك تتعدَّىٰ إلىٰ تحقيق مرضاة الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وذلك بتجاوز حدود الحياة الدنيا وربط غاية السلوك الحقيقيّة بالمآل المترتب عليه في الآخرة، ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[آل عمران: ١٨٥].

وقد بيّن القرآن الكريم أنّ قَصْر غايات السلوك علىٰ حدود الحياة الدنيا فقط؛ يُعدُّ سببًا للخسران ودخول النار في الآخرة، ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠]، ولذلك زكت نفوس الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، وصقلها الوحي، وتعلقت بربها، ونسيت في سبيله الأهل

والديار، واسترخصت كل نفيسٍ وغالٍ، فكانوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعرضون أعمالهم وأخلاقهم وسلوكهم علىٰ كتاب الله ليروا أين هم منه، وفي ذلك يقول الحسن البصري: «الزموا كتاب الله وتتبعوا ما فيه من الأمثال، وكونوا فيه من أهل البصر، ثم قال: رحم الله عبداً عرض نفسه وعمله علىٰ كتاب الله، فإن وافق كتاب الله حمد الله وسأله الزيادة، وإن خالف كتاب الله أعتب نفسه، ورجع من قريب»(١).

٢- تقييد السلوك بمفهوم الحلال والحرام:

إنَّ جوع الغرائز والحاجات العضويّة يعدّ دوافع معتبرة للسلوك في القرآن، لذا؛ فإنّ الشارع الحكيم أوجب إشباع دوافع السلوك الناتجة عن جوع الحاجات العضوية، وجعلها من درجة المقاصد الضرورية لتعلقها بالحفاظ علىٰ الحياة، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]، بل إنّه سبحانه أباح تناول المحظور لسدّ تلك الحاجة بقدر الضرورة، وذلك دَرءاً للوقوع في مفسدة هلاك النفس؛ قال تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، أمّا بالنسبة لإشباع دوافع السلوك الناتجة عن جوع الغرائز؛ فقد جعله الله مباحـًا، لنزوله عن مرتبة الضروري إلىٰ الحاجي.

والله تعالىٰ لم يترك طريقة إشباع دوافع السلوك دون ضبطٍ وتنظيمٍ، ولم يُسند طريقة ضبطها وتنظيمها إلىٰ الإنسان نفسه، بل جعل الالتزام بطاعة الوحي هو ميزان اعتبار الأعمال شرعـًا أو ردّها، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٣]، فالله سبحانه أراد من الإنسان أن يسلك في إشباعه لهذا الجوع سلوكـًا راقيـًا مُنظَّمـًا يليق بإنسانيته وموافقـًا لتكريم الخالق له: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، فأوجب الله

---

(١) أخرجه الآجري في أخلاق أهل القرآن ص(٣٩) رقم(٢).

علىٰ الإنسان أن يجعل أوامر الشرع في الحلال والحرام مقياساً معيارياً لتصرفاته عند إشباع جوع الغرائز والحاجات.

فمثلاً أباح الزواج لإشباع دافع الميل الجنسي الناتج عن غريزة حفظ النوع، ثمّ ضبطه ونظّمه بالأحكام الشرعيَّة، فأوجب الالتزام بالحلال: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[النساء: ٣]، ونهىٰ عن الإشباع غير المشروع: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٣٢]، ووجه إلىٰ الصبر والتعفُّف إلىٰ حين الاستطاعة، لقول النبي ﷺ: «**من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنّه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنّه له وجاء**»(١)، وبهذه الطريقة يتبيّن أنَّ القرآن الكريم جعل مفهوم الحلال والحرام معياراً لقياس النشاط السلوكي وضبطه لدىٰ الشخصيَّة المسلمة.

أمَّا إذا ترك الإنسان لنفسه الحبل علىٰ الغارب، ولم يلتزم بمفهوم الحلال والحرام كمقياس لسلوكه، فعندئذٍ لا فرق بينه وبين البهائم التي لا همَّ لها سوىٰ إشباع دوافع الغرائز والحاجات فقط، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمد: ١٢]، وكذلك فإنَّ المتردد في سلوكه بين الالتزام وعدمه، ينطبق عليه الوصف النبويُّ لموقف المنافقين الوارد في قوله ﷺ: «**مَثلُ المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلىٰ هذه مرة وإلىٰ هذه مرة**»(٢).

٣- علاج ثغرات السلوك بالتوبة والتعزيز:

لا ينبغي أن نتصور الشخصيَّة الإسلامية ملائكية في ديمومة العبادة وبلا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصوم، باب: الصوم لمن خاف علىٰ نفسه العزوبة، حديث ح(١٩٠٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، ح(١٤٠٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، ح(٢٧٨٤).

أخطاء، فقد تقع ثغرات في سلوكها بتقصير أو غفلة أو خطأ، وكلُّ ذلك لا يمسُّ الاتصاف بهذه الشخصيَّة طالما أنَّ صاحبها يتخذُ العقيدة الإسلاميَّة أساسًا لتفكيره وميله، فارتباط مفاهيم الإنسان بالعقيدة ارتباط اجتماعي فيه قابلية الانفصال وقابلية الرجوع بمعززات الإيمان من التوبة والندم وإدراك الخطأ والرجوع عن المخالفة.

فالإسلام راعىٰ طبيعة الإنسان العامَّة المتصفة بالضعف خلقةً: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[النساء: ٢٨]، وراعىٰ طبيعة النفس الإنسانيَّة المجبولة علىٰ الميل إلىٰ الشهوات والمغريات: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٥٣]؛ فعالج ثغرات السلوك في الشخصية المسلمة بأمرين:

أ. فتح باب التوبة، وهذا بابٌ واسعٌ تظهر فيه رحمة الله ورأفته بالعباد، ويشكّل فرصةً ذهبيَّة لتعديل السلوك، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [التحريم: ٨]، فالتوبة في الإسلام تجبُّ ما قبلها، وتُنهي مطالبة المذنب بتبعات ذنبه أمام الله تعالىٰ، قال رسول الله ﷺ: «التَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ»[(١)]، وبهذا يُعدُّ باب التوبة من أهم المعززات الإيجابية للإقلاع عن السلوك السيئ وتعديله إلىٰ الحسن.

وعليه؛ لا يعتبر العاصي أو الفاسق مرتداً أو خارجًا من دائرة الإيمان، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، وقال النبي ﷺ: «لاَ يَزْنِى الزَّانِى حِينَ يَزْنِى وَهُوَمُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَمُؤْمِنٌ»[(٢)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الزهد، باب: ذكر التوبة، ح(٤٢٥٠)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ٢/ ٨٢ (٦١٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المظالم، باب: النهي بغير إذن صاحبه، ح(٢٤٧٥).

ب. التعزيز السلوكي عن طريق العقاب والثواب: يُعرّف التعزيز علىٰ أنّه: «الإجراء الذي يؤدي فيه حدوث السلوك إلىٰ توابع إيجابية أو إلىٰ إزالة توابع سلبية، الشيء الذي يترتب عليه زيادة احتمال حدوث ذلك السلوك في المستقبل في المواقف المماثلة»[(١)].

ولقد اعترف كثيرٌ من التربويين بأهميَّة ونجاعة تطبيق نظريَّة العقاب والثواب كمعزِّزٍ للسلوك وتعديله وضبطه، وقبل هذا الاعتراف بعقود؛ فإنَّ الله تعالىٰ في كتابه الحكيم رتَّب المدح والثواب علىٰ السلوك الصالح الموافق للشريعة، ورتب الذمَّ والعقاب علىٰ السلوك المنحرف المخالف للشريعة، فهناك الكثير من الآيات القرآنية التي أشارت إلىٰ نظرية العقاب والثواب ودورها في ضبط السلوك وتوجيهه نحو خدمة الهدف الحقيقي من وجود الإنسان، ألا وهو عبادة الله تعالىٰ والفوز برضاه، قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وهذا من باب التعزيز الإيجابي للسلوك الموافق للشريعة والتشجيع علىٰ استدامته، وبالمقابل هناك تعزيز سلبي يدفع إلىٰ ترك السلوك المخالف للشريعة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

سادساً: أثر تدبر القرآن في النهوض الحضاري:

حوىٰ القرآن الكريم إطاراً عاماً للمعرفة والقيم، وتصوراتٍ أساسيةً عن المجتمع وغير ذلك، وكان للقرآن الكريم الأثر الكبير في: إعلاء قيم المسلمين، وترقية فكرهم، وأخلاقهم، وضبط سلوكهم، وتوجيههم نحو التأمل والتَّدَبُّر سعياً إلىٰ المزيد من العلم والمعرفة، مما أثرىٰ الحياة الفكرية.

(١) تعديل السلوك، جمال الخطيب، ص(٨٢).

يرىٰ الإمام ابن القيم أن الله عَزَّوَجَلَّ قد جعل بين السمع والبصر والفؤاد علاقة وارتباطًا ونفوذاً يقوم به بعضها مقام بعض، ولهذا يقرن سبحانه بينهما كثيراً في كتابه، كقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾ [الأحقاف: ٢٦]، وقوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾[الأعراف: ١٧٩]، وهذا من عناية الخالق سبحانه بكمال هذه الصورة البشرية، لتقوم كل حاسة منها مقام الحاسة الأخرىٰ وتفيد فائدتها في الجملة لا في كل شيء[١].

فأخبر سبحانه أن القرآن بصائر لجميع الناس، والبصائر جمع بصيرة وهي: المبينة التي تبصر، والتبصرة مصدر مثل التذكرة، وسمىٰ بها ما يوجب التبصرة فيقال: هذه الآية تبصرةٌ، لكونها آلة التبصر وموجبه، فالقرآن بصيرةٌ وتبصرةٌ وهدىٰ وشفاءٌ ورحمةٌ -بمعنىٰ عام، وبمعنىٰ خاص- ولهذا يذكر الله سبحانه هذا وهذا، فهو هدىٰ للعالمين، وموعظةٌ للمتقين، وهدىٰ للمتقين، وشفاءٌ للعالمين، وشفاءٌ للمؤمنين، وموعظةٌ للعالمين، فهو في نفسه: هدىٰ ورحمة وشفاء وموعظة، فمن اهتدىٰ به واتعظ واشتفىٰ؛ كان بمنزلة من استعمل الدواء الذي يحصل به الشفاء، فهو دواءٌ له بالفعل، وإن لم يستعمله فهو دواء له بالقوة، وكذلك الهدىٰ[٢].

ويتجلىٰ ذلك في ثلاث مجالات: الاجتماعي، والأخلاقي، والمعرفي.

١- أثر تدبر القرآن في النهوض الحضاري الاجتماعي:

إنَّ بيان أثر تدبر القرآن في النهوض الحضاري بمجتمع السلف يتركز

---

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص٤٠٦.

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ٢/ ١٧٠.

علىٰ الأسـرة، والمجتمـع:

أما النهوض بالأسرة: فتجلي أثر تدبر القرآن فيها ظاهراً:

فقـد أمـر الله عبـاده بالاهتمـام بالأهـل والأسـرة، فقـال تعالـىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، وقـد حـثَّ الرسـول ﷺ علىٰ أن يكـون للبيـوت حـظٌّ مـن العبـادة حتـىٰ يتعلَّـم أهـل البيـت حـب الطاعـة، فقـال النبي ﷺ: «**إن البيت الذي يُقرأ فيه يكثر خيره، والبيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن يقلُّ خيرُه**»[(١)].

وقـد فقـه الصحابـة هـذه الوصيـة، فـكان مـن يمـر ببيـوت الصحابـة رضي الله عنهم في غسـق الدُّجـىٰ يسـمع فيهـا دويّـًا كـدويِّ النحـل بالقـرآن[(٢)]، فعـن أبـي موسـىٰ الأشـعري رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**إني لأعرف أصوات رُفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار**»[(٣)].

قـال وكيـع: «كان الحسـن وعلـي ابنـا صالـح وأمهمـا جـزأوا الليـل ثلاثـة أجـزاء، يختمـون فيـه القـرآن في بيتهـم كل ليلـة، فـكان كلُّ واحـدٍ يقـوم بثلثـه، فماتـت أمهمـا، فكانـا يختمانـه، ثـم مـات علـيٌّ فـكان الحسـن يختـم كل ليلـة»[(٤)].

فسـلفنا الصالـح كانـوا أسـعد النـاس مـن الناحيـة الأسـرية، وكثـر الخيـر في

---

(١) أخرجه البزار في مسنده ح (٦٦٧٢) ١٣/ ٢٠٥، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٧١): «فيه عمر بن نبهان؛ ضعيف».

(٢) ينظر: كتاب المنهج النبوي في التعليم القرآني، د. عبدالسلام المجيدي (ص١٣٩ و٣٣٨) فقد ذكر مجموعة من نماذج ذلك.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ح(٤٢٣٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم ح(٢٤٩٩).

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ٩/ ٥٣٠.

بيوتهم، وقلَّت المشاكل الأسرية بينهم؛ بسبب امتثالهم لأوامر القرآن في علاقة الزوج بزوجته وأبنائه، وعلاقة الزوجة بزوجها وأبنائها.

وأبلغ دليل علىٰ ذلك قول شريح للشعبي يومًا وقد سأله عن أهله: "من عشرين عامًا لم أر ما يُغضبني من أهلي، ولم أعقِّب عليها في شيء إلا مرة، وكنت لها ظالمًا"(١).

وقال الإمام أحمد: "أقامت أم صالح معي عشرين سنة، فما اختلفت أنا وهي في كلمة"(٢).

وأما المجتمع: فإن تدبر القرآن يحوله إلىٰ مجتمع قرآني؛ عندما يتربىٰ المجتمع علىٰ نصوص القرآن، ويهتدي بأنواره، فيكونُ مجتمعًا حيًا حياة عزيزة كريمة، وقد فهم سلفنا الصالح نصوص القرآن الداعية إلىٰ الاعتصام وعدم التفرق، فحرصوا علىٰ تنفيذ هذه النصوص في واقعهم، فتكوَّن منهم المجتمع القرآني الذي تربىٰ علىٰ منهج القرآن وأُسُسه ومبادئه وتوجيهاته، فأرسىٰ فيهم القرآن روح التراحم والتواد، ونشْر العدل والإنصاف والمساواة، فكان مجتمع السلف بحق كما وصفهم القرآن: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقد ذكر لنا القرآن كيف كانت أخوَّة المجتمع المسلم في عهد الصحابة كنموذج عملي منهم لتَدَبُّر القرآن وتطبيق أحكامه في صورة مشرقة لم يسبق لها مثيل، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، فقد اجتمع أهل مكة بأهل المدينة، لا يجمعهم ويؤاخيهم إلا الدين، فكان أروع مظهرٍ لسلطان الدين شهده التاريخ، وكان الأوس والخزرج

(١) تاريخ دمشق ٢٣/ ٥٣.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ١٨/ ٦٥.

لم ينفضوا عنهم غبار حرب بُعاثٍ بينهم، ولا تزال سيوفهم تقطر دمًا، فألَّف الإسلام بين قلوبهم، ولو أنفق أَحَدٌ ما في الأرض جميعًا ما ألَّف بين قلوبهم، ثم آخىٰ رسول الله ﷺ بينهم وبين المهاجرين، فكانت أخوةً تزيد علىٰ أخوة الأشقاء، وتبذّ كل ما رُوي في التاريخ من خلَّة الأخلاء.

وقد ورد إلينا في آثار الصحابة ما يشرح هذا الوصف القرآني عمليًا من جيل الصحابة الفريد، فلما قدموا المدينة آخىٰ رسول الله ﷺ بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال لعبدالرحمن: «إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمِّها لي أطلِّقها، فإذا انقضت عدتها فتزوَّجْها»[(١)].

وبسبب تحقيق هذا المجتمع القرآني الإيمان، وتحاكمهم إلىٰ شريعة الرحمن؛ وجدوا ثمرة ذلك كله، ألا وهو الاستقرار والأمن التام في أموالهم وأعراضهم ودمائهم، والنصر والفتح، والاستخلاف والتمكين، والعزُّ والشرف، حتىٰ بلغ ملكهم -في فترةٍ وجيزةٍ في أعمار البشر- من المحيط الهندي شرقًا إلىٰ المحيط الأطلسي غربًا، وأصبحوا خير أمة أُخرجت للناس.

٢- أثر تدبر القرآن في النهوض الحضاري الأخلاقي:

عُني القرآن عناية مميَّزة بموضوع الأخلاق والسلوك، فالآيات المُبِينَة عن الأخلاق **بطريقة مباشرة** كثيرة، ومنها الآيات في سور: الإسراء، والمؤمنون، والنور، والفرقان، والعنكبوت، والحجرات، والمعارج، وغيرها، أو **بطريقة غير مباشرة** وهي أكثر، كما هي أخلاق الأنبياء والصالحين بما قصَّه الله علينا من قصصهم مع أقوامهم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، ح(٣٧٨٠).

وإن خير مَن عمل بكتاب الله وتخلَّق بأخلاقه، وطبَّقه في ظاهره وباطنه، وأصبح خُلقًا له نبينا محمد ﷺ، الذي أثنىٰ الله علىٰ خُلقه، ونعته بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، ولما سُئلت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خُلق النبي ﷺ قالت: «**كان خُلقه القرآن**»(١).

وقد كان سلفنا الصالح نموذجًا مشرِّفًا للتخلق بأخلاق القرآن، فاصطبغوا بأخلاقه، وتحوَّلوا إلىٰ أمةٍ تعرف الشورىٰ وتكره الاستبداد، إلىٰ أمةٍ يسودها العدل الاجتماعي، ولا يُعرف فيها نظام الطبقات، إلىٰ أمةٍ تكره التفرقة العنصرية، وتكره أخلاق الكبرياء والترفع علىٰ الشعوب، أمة تعرف العدل والإنصاف والمساواة، وتطبِّق ذلك علىٰ نفسها قبل أن تطبِّقه علىٰ غيرها، ثم بعد تخلُّقهم بأخلاق القرآن تواصوا فيما بينهم علىٰ ذلك، فوردتنا منهم نصائح تصف أخلاق أهل القرآن، فقد ورد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مُفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخطئون، وبخشوعه إذ الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا، محزونًا، حليمًا، حكيمًا، سكِّيتًا"(٢).

ولما أرد عيينة بن حصن الدخول علىٰ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استأذن له الحر بن قيس، فلما دخل عيينة قال: هِي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزْل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتىٰ همَّ أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالىٰ قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ٥٠/ ١١٦ ح(٢٣٤٦٠)، وقال شعيب الأرناؤوط: «حديث صحيح».

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص١٣٣)، ح(٨٩٢).

تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله[١].

٣- أثر تدبر القرآن في النهوض الحضاري المعرفي التجريبي:

إن من يمتّع نظره في رياض القرآن وآياته لَتزداد دهشته حين يرىٰ كيف آخىٰ القرآن بين الدين والعقل وألَّف بينهما، وكيف جعل من عقيدة الإسلام مزيجًا من التدين الحي، والارتقاء في سُلَّمِ الحضارة والتقدم، والعجب من ذلك في وحي القرآن، والأغرب بالنسبة لبقية الأديان ما يراه المتدبر لآياته، كيف أن القرآن قد جعل من التفكير في الكون، والتتبُّع لمعرفة قوانين الحياة الطبيعية، وتسخير قواها للإنسان، كيف جعل من ذلك عبادة من أَجَلِّ العبادات الإسلامية، وهذه ميزة للإسلام لم يسبقه إليها دين من الأديان.

إنَّ الناظر في دلالات النصوص القرآنية، وإرشادات النبي ﷺ في أحاديثه، تتضح له أهمية العلوم الكسبية مقرونة بعلوم الوحي كمؤهّل أساس للاستخلاف في الأرض وعمارتها، فقد رفع القرآن الكريم المسلمين إلىٰ مستوىٰ من الفهم والإدراك لسنن الله في الكون، حتىٰ أضحوا يفقهون آيات الله المرئية من كتابه المنظور، كما فقهوا آياته المتلوة من كتابه المسطور، فاجتمعت لهم بذلك قراءتان: قراءة الكون، وقراءة الوحي، في تناغمٍ وتكاملٍ بما لم تعرفه أمة من الأمم[٢].

وكان سلفنا الصالح أكثر الأجيال فهمًا ووعيًا لقضية الاستخلاف في الأرض وعمارتها، من خلال تدبّرهم لآيات القرآن الدالة علىٰ ذلك، وأهمية التقدم العلمي كمؤهّل أساسٍ لحمل أمانة الخلافة في الأرض، فلم يجدوا حرجًا من اقتباس العلوم الكونية من الطب، والكيمياء، والفلك، والبصريات،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ ح(٤٦٤٢).

(٢) سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة، د. حسين شرفة (ص٥٥٢).

والرياضيات وغيرها، من أمم الحضارات القديمة مثل: اليونان، والفرس، والروم، وتطوير هذه العلوم بإسهامات بارزة، وكانت تلك الإسهامات علىٰ نحو غير مسبوقٍ شمولاً وتميّزاً، وتصحيحاً للمسار، حتىٰ ليخيَّل للمطلع علىٰ هذه الإسهامات الخالدة كأن لم يكن علو حياتية أو معارف حضارية.

«ويشهد لذلك الانطلاقة الكبرىٰ والازدهار الهائل اللذان عرفهما العالم الإسلامي علىٰ مدار عصور حضارتهم الزاهرة في مجالات العلوم المختلفة، حتىٰ أضحت حواضر المسلمين في بغداد والقاهرة وقرطبة وغيرها قِبلة لطلاب العلم من أقاصي الدنيا ومختلف الملل»[(١)].

ويشهد لذلك أيضاً: أن كتب العلوم والمعارف؛ من طب، وكيمياء، وزراعة، وفلك، وغيرها، كانت مكتوبة بلغة القرآن، وبفكر أهل القرآن، وكيف كانت تُدرَّس في جامعات أوروبا قرابة ستة قرون، ولا زالت لها قيمتها المعرفية والتجريبيّة.

وخلاصة القول: إن القرآن الكريم يمتاز بمبادئ سامية وقيم رفيعة تجعله ركيزة قوية لتربية الأفراد وتنظيم المجتمعات، والتربية هي وسيلة الإنسان لتحقيق أهداف الخالق، ويتضح أن ذلك الأسلوب القرآني المعجز يهدي قارئ القرآن إلىٰ تدبر المعاني، ويجعل الإنسان يهتدي بفكره ويتنقل بعقله في مخلوقات الله وكونه، ليصل بنفسه إلىٰ ما يهديه إلىٰ الحق وإلىٰ الصراط القويم.

لقد جرَّب المسلمون السابقون -من جيل الصحابة وتابعيهم بإحسانٍ- التمسك بالإسلام، فوجدوه كفيلاً بسعادة الروح والبدن، وضابطاً لمصالح الدين والدنيا.

---

(١) المصدر السابق.

والإنسان مخلوق لله عَزَّوَجَلَّ، وقد ميزه عن غيره من المخلوقات الأخرىٰ في تكوينه، وفي منزلته الرفيعة، وفي المسئولية التي يتحملها أمام الخالق، الذي خلقه علىٰ هيئة تجمع بين المادة والروح، والحياة في هذه الدنيا مقدمة للحياة الأخرىٰ، والحياة فيها توازن بين الدنيا والآخرة، والمسلم الحق حريص علىٰ إقامة التوازن بين زينة الدنيا ونعيم الآخرة.

وفي ختام هذه الآثار نستطيع القول بأنَّ القرآن الكريم **تضمَّن منهجيَّةً فريدةً** فيما يتعلَّق بناء الجانب الفكري والعقدي في الشخصية الإسلاميَّة، بدءاً بجعل التفكير المستنير طريقًا موصلاً للقناعة العقليَّة بحقائق الإيمان، مروراً بالارتقاء بطرق التفكير وأنماطه، وانتهاءً بضبط مجالاته وحدوده.

وفي هذه الأيام التي يواجه فيها المسلمون أشدَّ الهجمات الفكريَّة الخارجية المنحرفة، هم بأمسِّ الحاجة إلىٰ النظر في آيات القرآن الكريم المتعلقة بشتىٰ مجالات النظر والتفكير؛ وتدبّرها والتفكّر في مدلولاتها ومقاصدها، لتحصين منظومتهم الفكريَّة من الجمود والانغلاق والتقليد، والارتقاء بطرق تفكيرهم إلىٰ المستوىٰ الذي يؤهلهم لصناعة الشخصيَّة المسلمة الفاعلة في جميع ميادين الحضارة والتمدُّن، ليستحقوا تبوء المكانة التي أرادها الله لهم في قيادة البشرية ودلالتها علىٰ الخير، سواء علىٰ المستوىٰ الفردي أو الجماعي، وذلك تحقيقًا لقوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وليتحقَّق بهم ولهم الشهود الحضاري الذي أراد الله لهم أن يبلغوه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].



الوحدة الثانية

تأصيل المنهج القويم

في تدبر القرآن الكريم

ويتضمن أربعة معايير



المعيار الأول: المخاطبون بالتَّدَبُّر:

إن التَّدَبُّر المأمور به في القرآن عامٌّ، فيشمل: المنافقين، والكفار، والمؤمنين.

أولاً: المنافقون:

وردت آيتان تأمرهم بالتَّدَبُّر، وهما قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وفي سياق هاتين الآيتين يقول الطبري: «أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله علىٰ نبيه -عليه الصلاة والسلام-، ويتفكرون في حُججه التي بيَّنها لهم في تنزيله، فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون، أم علىٰ قلوب أقفالها، يقول: أم أقفل الله علىٰ قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر...إذ والله يجدون في القرآن زاجراً عن معصية الله، لو تدبره القوم فعقلوه، ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك»(١).

قال أبو حيان: «وهذا استفهام معناه الإنكار، أي: أفلا يتأملون ما نزل عليك من الوحي ولا يعرضون عنه، فإنه في تدبره يظهر برهانه ويسطع نوره، ولا يظهر ذلك لمن أعرض عنه ولم يتأمله»(٢).

ومن يتأمل في دلالة هذا الاستفهام الإنكاري يجد أنه جاء بتوبيخهم علىٰ عدم التَّدَبُّر، والتعجب من حالهم في استمرارهم علىٰ نفاقهم مع توفر أسباب الهداية، وهو القرآن الذي يردّده الرسول ﷺ علىٰ مسامعهم وبين ظهرانيهم ليل نهار، وهذا ما ذكره ابن عاشور فقال: «والاستفهام إنكاري للتوبيخ،

---

(١) جامع البيان ٢٢/ ١٧٩.

(٢) البحر المحيط ٣/ ٣١٧.

والتعجب منهم في استمرار جهلهم مع توفُّر أسباب التَّدَبُّر لديهم»[(١)].

وقال السعدي: «أي: فهلَّا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه لدلَّهم علىٰ كل خير، ولحذَّرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلىٰ المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبيَّن لهم الطريق الموصلة إلىٰ الله، وإلىٰ جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلىٰ العذاب، وبأي شيء تحذر، ولعرَّفهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلىٰ الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الوبيل»[(٢)].

ونخلص من ذلك: أنَّ الله تعالىٰ أنكر عليهم عزوفهم عن القرآن وعن قراءته بتدبر وأناة، وأنهم -أي: المنافقون لو أعملوا أذهانهم وأمعنوا النظر في القرآن وتدبروه بحق لوصلوا إلىٰ نتيجة؛ إذ أن القرآن كلام الله ليس فيه اختلاف البتة؛ لأنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيراً، ولكن بسبب شكِّهم واضطرابهم وقلوبهم المغلَّفة القاسية التي كأنها مُكبَّلة بالأغلال لا ينفذ إليها نور القرآن لم يتمكَّنوا من تدبره، فمن أراد منهم أن يقف علىٰ تلك الحقيقة فعليه أن يقرأ القرآن كله بتدبرٍ وتأملٍ، أما القراءة السريعة التي لا تأمل فيها لن توصل إلىٰ تلك النتيجة.

❁ ثانيا: الكفار:

كذلك وردت فيهم آيتان تأمرهم بالتَّدَبُّر، وهما:

قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

---

(١) التحرير والتنوير ٥/ ١٣٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٧٨٨).

قال الطبري: «أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه، فيعلموا ما فيه من العبر، ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليهم فيه؟ ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؟، أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم، فاستكبروا ذلك وأعرضوا، فقد جاءت الرسل من قبلهم، وأُنزلت معهم الكتب»[(١)].

وقال الألوسي: «﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ الهمزة: لإنكار الواقع واستقباحه... أي: فعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر، فلم يتدبروا القرآن ليعلموا بما فيه من وجوه الإعجاز أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به، وأم في قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ منقطعة، وما فيها من معنىٰ للإضراب، والانتقال من التوبيخ بما ذكر إلىٰ التوبيخ بآخر، والهمزة لإنكار الوقوع لا لإنكار الواقع، أي: بل أجاءهم من الكتاب مالم يأت آباءهم الأولين حتىٰ استبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال»[(٢)].

وقال الشوكاني: «بيَّن سبحانه أنَّ سبب إقدامهم علىٰ الكفر هو أحد هذه الأمور الأربعة؛ الأوَّل: عدم التَّدَبُّر في القرآن، فإنهم لوتدَّبروا معانيه لظهر لهم صدقه وآمنوا به وبما فيه»[(٣)].

وقال السعدي: «أي: أفلا يتفكرن في القرآن ويتأملونه ويتدبرونه!! فإنهم لوتدبروه لأوجب لهم الإيمان ولمنعهم من الكفر، ولكن المصيبة التي أصابتهم بسبب إعراضهم عنه»[(٤)].

وأما آية ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ ففي سياقها قولان؛ قال

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩/ ٥٦.
(٢) روح المعاني ١٨/ ٥٠.
(٣) فتح القدير ٣/ ٤٩٢.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٥٥٤).

القرطبي بعد أن ذكر أن السياق في الكفار: «وقيل: هو عام في المسلمين المتقين والفجار الكافرين وهو أحسن، وهو ردٌّ علىٰ منكري البعث الذين جعلوا مصير المطيع والعاصي إلىٰ شئ واحد...وقال الحسن: تدبر آيات الله اتباعها»(١).

ونخلص من هذا: أن كفار مكة لم يكونوا من المتدبرين للقرآن، ولم يعطوا لأنفسهم فرصة النظر فيه ليتبين لهم حقيقته، بل كانوا ينهون النَّاس عن الاستماع للقرآن الكريم ويقولون: هذا أساطير الأولين، وإفك قديم من كلام الكهان، وإنْ هو إلا قول البشر، وإنْ هذا إلا سحر يؤثر، واستمروا في تكذيبهم به، ولوأنهم تدبروه لصَّدقُوا بما فيه، وعلموا أنه كلام رب العالمين.

«وليس نزول الآية في سياق غير المؤمنين، يعني: أنَّ المؤمنين لا يُطلبُ منهم التَّدَبُّر، بل هم مأمورون به، وداخلون في الخطاب من باب أولىٰ، لأنَّهم أهلُ الانتفاعِ بتدبُّرِ القرآن، وإنَّما المرادُ هنا بيان من نزلت بشأنه الآياتُ، دون بيان صحَّةِ دخولِ المؤمنين في الخطاب، والله أعلم»(٢).

ثالثا: عموم المؤمنين:

فتدبر القرآن في حقهم واجب، وهم مأمورون به؛ لأنهم أهل الانتفاع، وكل واحد بحسب قدراته وطاقاته الإدراكية القابلة للاكتساب والزيادة، فلا يُعذر أحد بعدم التَّدَبُّر، وقد دل علىٰ ذلك سياق الآية الكريمة: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] التي فيها قراءتان:

القراءة الأولىٰ: وهي قراءة الجمهور ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ بإدغام التاء في الدال(٣)، وفيه بيان علة إنزال هذا الكتاب، وأنَّ الهدف من إنزاله هو تلاوته

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٩١، وينظر: مفاتيح الغيب للرازي ٢٦/ ١٧٦-١٧٧.
(٢) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتَّدَبُّر والمفسر ص١٨٦.
(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/ ٣٦١.

وتدبره(١)، وتوجيه الأمر إلىٰ عموم الناس لا يفيد بأن الأمر منصرف عنه ﷺ، بل إن الأمر بالتَّدَبُّر موجه إليه ﷺ ابتداءً؛ إذ هو المبلِّغ لكلام الله، فهو داخل في الأمر ابتداءً، ولقد كان عليه الصلاة والسلام في غاية التَّدَبُّر والتفكر لكتاب الله تعالىٰ(٢).

والقراءة الثانية: ﴿لِتَّدَبَّروا﴾ قال الطبري: «وقراءة أبي جعفر وعاصم [أي: الجحدري] ﴿لِتَّدَبَّروا آياته﴾ بالتاء، بمعنىٰ: لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك»(٣).

وقال ابن عاشور: «وقرأ أبو جعفر ﴿لِتَّدَبَّروا﴾ بتاء الخطاب وتخفيف الدال وأصلها: لتتدبروا، فحذفت إحدىٰ التاءين اختصاراً، والخطاب للنبي ﷺ ومن معه من المسلمين»(٤)، كما أن في هذه القراءة توجيه اشتراك الأمة بالتوجيه الرباني بأن تتدبر كتاب ربها عَزَّوَجَلَّ، فهي مقصودة بالتَّدَبُّر مخاطبة به، وقال الشوكاني: «وفي الآية دليل علىٰ أن الله إنما أنزل القرآن للتَّدَبُّر والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر»(٥).

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٧/ ٣٧٩.
(٢) نظم الدرر للبقاعي ٦/ ٣٨٢.
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١/ ١٩٠، المبسوط في القراءات العشر ص (٣١٩).
(٤) التحرير والتنوير ٢٣/ ٢٥٢.
(٥) فتح القدير ٤/ ٤٣٠.

المعيار الثاني: المنهج النبويّ في تدبر القرآن:

أهمية المنهج النبويّ في التَّدَبُّر:

النبي ﷺ أعرف الأمة بربه سبحانه وبكتابه العزيز، فهو المنزّل عليه القرآن، وهو ﷺ المُخرِج للبشرية بإذن الله من الظلمات إلىٰ النور بهذا القرآن: ﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ نبيه ﷺ بتلاوة القرآن وإنذار الناس به، فقال سبحانه: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧].

وأمره عَزَّوَجَلَّ ببيان القرآن للناس: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فهو المبيّن عن الله تعالىٰ، ولا يكون البيان إلا من عالمٍ عارفٍ بما يبيِّنه للناس.

وقد أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ باتباع رسوله ﷺ والاقتداء به والاهتداء بهديه، فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر: ٧]، وقال: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقد كان النبي ﷺ أتقىٰ الناس لله تعالىٰ وأخشاهم له، ومن آثار ذلك: بكاؤه عند تلاوة القرآن، وتأثُّره به.

ومن المهم أن نقف علىٰ حال النبي ﷺ عند تلاوته للقرآن؛ لنقتدي به في ذلك ونسير علىٰ نهجه، فخير الهدي هدي محمد ﷺ.

ويتبين المنهج النبويّ في تدبر القرآن في المسائل الموجزة التالية:

أولاً: ترتيل القرآن:

يُعدُّ ترتيل القراءة وتجويدها من أهم أسباب التَّدَبُّر، والتجويد: إخراج كل حرف من مخْرجه وإعطاؤه حَقّه ومستحَقّه من الصفات(١).

وللقرآن الكريم خاصية تختلف عن سائر الكلام العربي من حيث النطق به وكيفية أدائه، وهو التجويد الذي يختص به القرآن الكريم، والذي تلقَّاه الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنهُمْ من في النبي ﷺ، ثم نقلوه إلينا.

قال النووي: «قال العلماء: الترتيل مستحب للتَّدَبُّر وغيره، قالوا: ولهذا يُستحب الترتيل للأعجمي الذي لا يفهم معناه؛ لأن ذلك أقرب إلىٰ التوقير والاحترام، **وأشد تأثيراً في القلب**»(٢)، فللتجويد أثره في التأثير في النفوس ولفْت انتباه المستمع وشدّه نحو القرآن، وبه يتميز القرآن عن سائر كلام العرب.

وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ رسوله ﷺ بترتيل القرآن، فقال سبحانه: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

وكانت طريقة النبي ﷺ أنه يرتِّل القرآن كما أمره الله تعالىٰ، كما روت أم المؤمنين حفصة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ صلىٰ في سُبحته(٣) قاعداً، حتىٰ كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سُبحته قاعداً، وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتىٰ تكون أطول من أطول منها»(٤)، وعن قتادة رَحِمَهُٱللَّهُ أنه

---

(١) هداية القاري إلىٰ تجويد كلام الباري، عبدالفتاح بن السيد عجمي ص٤٥.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن ص٨٩.

(٣) السُّبحة: بضم السين وإسكان الباء: النافلة. صحيح مسلم بشرح النووي ٥/ ٢١.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جواز النافلة قائماً وقاعداً، وفعل بعض الركعة قائماً وبعضها قاعداً ح(٧٣٣).

قال: «سُئِلَ أنسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: «كانت مداً، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ يمد ببسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم»[(١)].

وإخراج كل حرف من مخرجه دون تداخل بين الحروف يوضّح معنىٰ الآية، ويعطي فرصة للعقل ليفهمها، وللقلب كي يتأملها، ومن ثَمَّ تقع الموقع المناسب فيتأثر بها القارئ والمستمع.

ولهذا ذهب بعض العلماء إلىٰ أن القراءة بالتجويد واجبة[(٢)]، وذلك أن القراءة سُنة متبعة تلقاها الصحابة عن النبي ﷺ، وقد كان يرتّل القرآن ويجوّده.

ثانياً: الترسل في القراءة:

وقد امتثل نبينا ﷺ أمر ربه في ترتيل القرآن، فكانت قراءته هادئة، مترسّلة، حزينة كما أمره ربه، وكان يمدّ الحروف نهاية الآية ليتيح للعقل تفهم الخطاب الإلهي، وللقلب التجاوب معه، والاتعاظ به، ولقد وصفت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قراءة رسول الله ﷺ بأنها: «**قراءة مفسّرة حرفًا حرفًا**»[(٣)]، وفي حديث حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**أن النبي ﷺ كان يقرأ بالسورة فيرتّلها حتىٰ تكون أطول من أطول منها**»[(٤)].

والترسل أمر زائد علىٰ التجويد والترتيل، وذلك أن يقرأ القارئ القرآن متمهّلاً، ولا يقتصر علىٰ جودة الأداء فقط كما هو الحال في التجويد، بل يتأمل ما يقرأ ويفهمه ويقف عنده.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: مد القراءة ح(٥٠٤٦).

(٢) ينظر: شرح زكريا الأنصاري لمتن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية لابن الجزري، ص(١٥).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب: فضائل القرآن، باب: ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ ح(٢٩٢٣)، وأحمد في مسنده ح(٢٦٥٢٦) ٤٤/ ١٤٧، والنسائي في المجتبىٰ، كتاب: الافتتاح، باب: تزيين القرآن بالصوت ح(١٠٢٢). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين، باب: جواز النافلة قائمًا وقاعداً، ح(٧٣٣).

وقد ثبت الترسُّل في قراءة القرآن من فعْل رسول الله ﷺ، فعن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضىٰ، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضىٰ، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسِّلا...» الحديث[1]، فقول حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**يقرأ مترسِّلًا**» دليل علىٰ أهمية التأني في القراءة.

ولا شك أن التأني يؤثر في فهم النص، ويتأثر بالمسموع، ويركّز عليه.

وقد أخبر عَزَّوَجَلَّ أنَّ من واجب النبي ﷺ أن يقرأ القرآن علىٰ أمته بتمهّل ورويّة، فقال سبحانه: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]؛ وذلك لتحصل الاستفادة والاتعاظ من سماع القرآن، وذلك لا يكون إلا مع التمهل وعدم العجلة.

ولم تكن عادة النبي ﷺ الاستعجال في القراءة، ولم يثبت أنه ﷺ ختم القرآن في ليلة، فعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: «ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة، ولا صلىٰ ليلة إلىٰ الصبح»[2].

وكانت طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين التأني في القراءة، وكراهية قراءة القرآن بسرعة تخل بالمعنىٰ، ويدل علىٰ ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال النبي ﷺ لأصحابه: «**أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة، فشقّ ذلك عليهم**، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: **الله**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ضمن حديث طويل، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، ص٣٩٤،٢٩٣ ح٧٤٥.

الواحد الصمد[١]: ثلث القرآن»[٢].

والشاهد من هذا الحديث أنه ﷺ لما ندبهم إلىٰ قراءة ثلث القرآن شقَّ ذلك عليهم واستعظموه وجعلوه أمراً صعب المنال، بقولهم: وأينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ وهذا يدل علىٰ أن قراءتهم كانت قراءة متأنية، ولو كانت قراءة سريعة مستعجلة لما صعُب علىٰ أحدهم قراءة ثلث القرآن، وهو عشرة أجزاء، وهم الذين يمضون ليلهم رُكَّعًا وسجوداً.

وهذا يدل علىٰ خطأ من يسرع في القراءة بحيث يُخلُّ بتجويد القرآن، وقد جاء رجل إلىٰ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: قرأت المفصَّل الليلة في ركعة، فقال: «ونثرا كنثر الدقل!! إني **أفصِّل لتفصِّلوه**، ولقد علمت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرأ سورتين في ركعة...»[٣]، وفي رواية عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «لا تنثروه نثْر الرمل، ولا تهذُّوه هذَّ الشعر، قِفوا عند عجائبه، وحرِّكوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة»[٤].

وبيَّن النبي ﷺ أن القراءة السريعة سبب في عدم فقه القرآن الكريم، فعن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**»[٥]، وفي لفظ: «**اقرأ في سبع ولا تزيدن علىٰ ذلك**»[٦].

---

(١) أي: سورة الإخلاص، قال النووي: «قوله: «الله الواحد الصمد ثلث القرآن» عند الإسماعيلي من رواية خالد الأحمر عن الأعمش، فقال: «يقرأ قل هو الله أحد فهي ثلث القرآن»، فكأن رواية الباب بالمعنىٰ، وقد وقع في حديث أبي مسعود المذكور نظير ذلك، ويحتمل أن يكون سمىٰ السورة بهذا الاسم لاشتمالها علىٰ الصفتين المذكورتين» فتح الباري ٩/ ٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل قل هو الله أحد، ح(٥٠١٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخلاق حملة القرآن ١/ ٤ ح(٢)، وإسناده صحيح، وأخرجه البيهقي في الشعب ٣/ ٤٠٧ (١٨٨٤) مختصراً.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب: أبواب قراءة القرآن وتحزيبه، باب: في كم يقرأ القرآن، ح(١٣٨٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٢٥٥).

فيجب علىٰ قارئ القرآن، وعلىٰ أئمة الصلوات، أن يترسَّلوا في قراءتهم تأسيًا بالنبي ﷺ، وألا يكون هَمّ أحدهم ختْم القرآن، أو أجزاء منه دون فهْمٍ وتدبُّرٍ.

❁ ثالثاً: تحسين الصوت بالقرآن:

من أسباب تدبُّر القرآن التي حثَّ عليها النبي ﷺ تحسين الصوت بالقرآن الكريم، وهو قدرٌ زائدٌ علىٰ التجويد والترتيل، فقد قال ﷺ: «**زيِّنوا القرآن بأصواتكم**»[١]، وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ما أذن الله لشيء؛ ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنىٰ بالقرآن، يجهر به**»[٢].

وعن عبدالجبار بن الورد، قال: سمعت ابن أبي مليكة يقول: قال عبيدالله بن أبي يزيد قال: مَرَّ بنا أبو لبابة فاتبعناه حتىٰ دخل بيته، فدخلنا عليه، فإذا رجل رثّ البيت، رثّ الهيئة، فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن**» قال: فقلت لابن أبي مليكة: يا أبا محمد، أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال: يحسّنه ما استطاع[٣].

وقد كان النبي ﷺ يستمع إلىٰ بعض الصحابة الذين يُحسِّنون أصواتهم بالقرآن، ويوصي بالقراءة عليهم والتلقّي منهم، فقد استمع ﷺ إلىٰ قراءة أبي

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ٢٨٣ح(١٨٥١٧)، والدارمي ٢/ ٥٦٥ح(٣٥٠٠)، وأبو داود في سننه ح(١٤٦٨)، وابن ماجه في سننه ح(١٣٤٢)، وابن خزيمة في صحيحه ٣/ ٢٤ح(١٥٥١)، وابن حبان في صحيحه٣/ ٥٢ح(٧٤٩)، والحاكم في المستدرك ١/ ٧٦٢ح(٢١٠١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ح(١٣٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قول النبي ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع الكرام البررة**» ح(٧٥٤٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ح(٧٩٢) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦ...﴾ ح(٧٥٢٧).

موسىٰ، وامتدحه لحُسن صوته، فقال له: «**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**»[(١)]، وفي رواية أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**والله يا رسول الله لوعلمت أنك تسمع قراءتي لحبَّرته لك تحبيراً**»[(٢)].

وقد أوصىٰ النبي ﷺ بقراءة القرآن علىٰ عبدالله بن مسعود؛ لحُسن صوته وجوْدة قراءته، فقال ﷺ: «**من أحب أن يقرأ القرآن غضّاً كما أنزل؛ فليقرأه علىٰ قراءة ابن أم عبد**»[(٣)].

إنَّ الصوت الجميل يجلب السامعين لسماعه، وكلما ازداد تحسيناً ازداد حرص الناس علىٰ سماعه وعلىٰ التَّدَبُّر فيه، وعدم الانشغال بغيره عنه.

۞ رابعاً: الجهر بالقراءة:

من عوامل التَّدَبُّر لكتاب الله تعالىٰ الجهر بالقرآن الكريم، وقد كان النبي ﷺ يجهر بالقرآن، وبيَّن أن ذلك محمود، فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ما أذن[(٤)] الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنىٰ بالقرآن يجهر به**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: حسن الصوت بالقراءة للقرآن ح(٥٠٤٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تحسين الصوت بالقرآن ح(٧٩٣) واللفظ له.

(٢) هذه الزيادة أخرجها النسائي في الكبرىٰ ٥/ ٢٣ح(٨٠٥٨)، وذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٧١، وقال: رواه أبو يعلىٰ، وفيه خالد بن نافع الأشعري، وهو ضعيف.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب فضل عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ح(١٣٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ص٣٩.

(٤) ما أذن: ما استمع، فتح الباري ٩/ ٦٩.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قول النبي ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع الكرام البررة**» ح(٧٥٤٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تحسين الصوت بالقرآن ح(٧٩٢) واللفظ له.

قال الغزالي بعد أن ذكر النصوص الدالة على الإسرار بالقراءة والجهر بها: «فالوجه في الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنُّع، فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه، فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوّش الوقت على مصلٍّ آخر فالجهر أفضل؛ لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته أيضاً تتعلق بغيره، فالخير المتعدي أفضل من اللازم، ولأنه يوقظ قلب القارئ، ويجمع همَّه إلى الفكر فيه، ويصرف إليه سمعه، ولأنه يطرد النوم في رفع الصوت، ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة، ويقلله من كسله»(١).

❁ خامساً: إطالة القراءة:

كلما أطال المرء القراءة كان أدعى لحضور القلب وارتباطه بما يتلو، وانسجامه مع الآيات التي يقرأها واجتماع الذهن حولها، وهذا بخلاف القراءة القصيرة التي قد لا يتمكن بعض الناس من استحضار القلب والخشوع معها.

وقد كان من نهج رسول الله ﷺ إطالة القراءة في الصلاة، فعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسّلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذ تعوَّذ، ثم ركع فجعل يقوله: سبحان ربي العظيم»، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: «سمع الله لمن حمده»، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد فقال: «سبحان ربي الأعلى»، فكان سجوده قريباً من قيامه»(٢).

بل بلغ من طول قيامه ﷺ في الصلاة والتهجد بالقرآن أن يطيل القيام

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٥٠٤.

(٢) سبق تخريجه.

في غير الفريضة حتىٰ يتعب من يصلي معه، فعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صليت مع النبي ﷺ ليلة، فلم يزل قائمًا حتىٰ هممت بأمر سوء، قلنا: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ»(١).

سادساً: البكاء والخشوع عند القراءة:

كان إمام المتقين وخير عباد الله الصالحين صلوات الله وسلامه عليه تدمع عيناه حتىٰ تنهمران ويسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل، فعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال لي النَّبيُّ ﷺ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّىٰ أَتَيْتُ إِلَىٰ هَذِهِ الآيَةِ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قَالَ: «**حَسْبُكَ الآنَ**»، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ(٢).

فبكىٰ صلوات الله وسلامه عليه رحمة ورأفة بأمته؛ لأنَّه علم أنه لا بدَّ أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيمًا فقد يُفضىٰ إلىٰ تعذيبهم(٣).

وعن عبدالله بن الشِّخِّير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «**رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ**»(٤).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها سُئلت عن أعجب شيء رأته من رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التهجد، باب: طول القيام في صلاة الليل، ح(١١٣٥)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، ح(٧٧٣).

(٢) سبق خريجه.

(٣) ينظر: فتح الباري (٩/ ٩٩).

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢٦/ ٢٣٩ (١٦٣١٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه رقم (٩٠٠)، وابن حبان ٣/ ٣١ (٧٥٤)، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٦٤(٩١٧) وقال ابن حجر: «إسناده قويٌّ» فتح الباري ٢/ ٢٠٦.

قالت: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعبد اللَّيْلَةَ لِرَبِّي**». قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّىٰ بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَىٰ فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّىٰ بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَىٰ فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّىٰ بَلَّ الأَرْض، فَجَاءَ بِلالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلاَةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟، قَالَ: «**أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[آل عمران: ١٩٠] **الآيَةَ كُلَّهَا**»(١).

سابعاً: ربط الآية بالواقع أو الحدث:

إنَّ مما يعين علىٰ تدبر القرآن استغلال الأحداث والمناسبات والوقائع وربطها بالآيات القرآنية؛ لما في ذلك من الأثر الكبير في فهم القرآن وتدبره، وقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب التربوي مع أصحابه، فمن ذلك روي عن أبي سعيد بن المُعَلَّىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ أُصلِّي فمرَّ بي رسول الله ﷺ، فدعاني فلم آته حتَّىٰ صلَّيتُ ثمَّ أتيته، فقال: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ؟ أَلَمْ يَقُلِ اللهُ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْلَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوبِأَبِىٰ بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ**». قَالاَ: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**وَأَنَا وَالَّذِىٰ نَفْسِى بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِى الَّذِىٰ أَخْرَجَكُمَا قُومُوا**». الحديث، وفيه قصة استضافة الأنصاري لهم، فجاءهم بعذق فيه بُسر وتمر ورطب، وذبح لهم شاة، فأكلوا وشربوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ ح(٤٦٤٧).

رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ»(١)، يشير عليه الصلاة والسلام إلى الآية الكريمة ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨].

ثامناً: نماذج أخرى من تدبر النبي ﷺ:

سأل عبيد الله بن عمير عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فقال: «أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ، قال: فسكتت، ثم قالت: لما كانت ليلة من الليالي قال ﷺ: «**ياعائشة ذريني أتعبد الليلة لربي**». قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ماسرك. قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي. قالت: فلم يزل يبكي حتى بَل حَّجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بَل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بَلَّ الأرض. فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله! لِم َتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً، لقد نزلت عليَّ الليلة آيةٌ ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ...﴾ [البقرة: ١٦٤] الآية كلها**»(٢).

لا شكَّ أن التفكر هنا بمعنى التَّدَبُّر، وهكذا بكى النبي ﷺ في صلاته من تدبره وتفكره، كيف وقد أراه الله عَزَّوَجَلَّ سرّاً من أسرار ملكوته، حتى بكت الأرض من بكائه ﷺ.

وعن أُبَي بْن كَعْب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِ ذَا ذَهَبَ ثُلُثَ الليل قَامَ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ اذْكُرُوا اللهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الأشربة، باب: جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك... ح(٢٠٣٨).

(٢) سبق تخريجه.

المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ»[(١)]. ولا يخفىٰ ما في الحديث من تضمين لآيتي النازعات: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦، ٧]، وفي هذا تدبر عجيب لهذه الحقيقة الإيمانية خاصة في جوف ليل بهيم:

⌑ فشبه الليل بظلمة القبر من جهة، ولأن الليل من جهة أخرىٰ هو موت لحركة النهار.

⌑ إشارة إلىٰ أن علىٰ المؤمن أن يجعل تفكيره في الظواهر الكونية مرتبطًا بتدبره للآيات القرآنية.

⌑ لا شكَّ أن هذا ينتج عنه تشمير وجدّ وعمل، فالآيات القرآنية يكون لها وقع علىٰ النفس الكسولة الغافلة كوقع السوط علىٰ ظهر الدابة الخاملة فتقفز مسرعة بصاحبها في الطريق إلىٰ الله.

وروىٰ حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه صلىٰ مع النبي ﷺ ذات ليلة، فكان يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سَبَّحَ، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ»[(٢)].

فهذا يُعد تطبيقًا عمليًا للتَّدَبُّر ظهر بالتسبيح والسؤال والتعوذ.

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: صلىٰ رسول الله ﷺ ليلة فقرأ بآية، حتىٰ أصبح يركع بها ويسجد بها: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨][(٣)]، وهكذا قدَّم رسول الله ﷺ التَّدَبُّر علىٰ كثرة التلاوة، فيقرأ آية واحدة فقط في ليلة كاملة.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب: صفة القيامة، ح(٢٤٥٧)، وحسنه الألباني في الصحيحة رقم(٩٥٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٥٦، والنسائي في الكبرىٰ، ٦/ ٣٣٩ ح(١١١٦١)، وابن ماجه في السنن ١/ ٤٢٩ح(١٣٥٠)، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٦٧ ح(٨٧٩)، وقال النووي: «رواه النسائي وابن ماجه بإسناد حسن». خلاصة الأحكام ١/ ٥٩٥.

المعيار الثالث: منهج السلف الصالح في تلقِّي القرآن وتدبُّره:

إن من تأمل حياة سلفنا الصالح مع القرآن، وجد لهم منهجًا في تلقِّي القرآن وتدبُّره، وحقيق بمن يريد سلوك طريقهم أن يتعرَّف عليه، **ويمكن تحديد معالم منهج السلف فيما يلي بإيجازٍ:**

١ - يقينهم بمنزلة القرآن، وإيمانهم بقيمته:

فمن عرف قيمة الشيء اعتنىٰ به واهتم له، والقلب إذا أحب شيئًا تعلّق به، واشتاق إليه، فإذا أحب القلب القرآن تلذّذ بقراءته، واجتمع علىٰ فهمه، فيصل بذلك إلىٰ مقصوده وهو التَّدَبُّر والعمل بالقرآن.

والرعيل الأول هم أكثر الأجيال إيمانًا بالقرآن، وبالثقة الكبيرة فيه كمصدر متفرّد للهداية، وقد ظهر ذلك من خلال آثارهم المنقولة في بيان عظمة القرآن وقيمته.

يقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من أحب أن يعلم أنه يحب الله ورسوله فلينظر: فإن كان يحب القرآن؛ فهو يحب الله وَرَسُولَهُ»[(١)].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه ألا يضل ولا يشقىٰ، ثم تلا: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]»[(٢)].

ويقول البخاري: «لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن، ولا يحمله بحقّه إلا الموقن»[(٣)].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح (٨٦٥٧) ٩/ ١٣٢، والبيهقي في شعب الإيمان ح (١٨٦١) ٣/ ٣٩٤.

(٢) قيام الليل للمروزي ص(١٧٣).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، عند باب: قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾.

فسلفنا الصالح عظَّموا نعمة القرآن، واستشعروا مِنّة الله بها على هذه الأمة، وقدروها حق قدرها، ومن ذلك ما ورد أنه لما قدم خَراج العراق إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومولى له فجعل يعدُّ الإبل، فإذا هو أكثر من ذلك، فجعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: الحمد لله، وجعل مولاه يقول: هذا والله من فضل الله ورحمته، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كذبتَ، ليس هذا، هو الذي يقول الله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] وهذا مما يجمعون[1]، فكانوا يعدُّون الفضل والرحمة هي ما جاءهم من الله من موعظة وهدى، وأما المال والثراء الذي يأتيهم من الله فهو تبعٌ لذلك.

٢- تعلّمهم الإيمان قبل القرآن:

فالرعيل الأول من الأمة المحمدية غُرِسَ في قلوبهم تعظيمُ الله، وتعظيمُ أمره ونهيه، فسَهُلَ عليهم بعد ذلك تلقّي الأحكامِ الشرعية.

«وهذا المنهج قد اتخذَهُ القرآنُ في تربيتِهِ للصحابةِ أوَّل الإسلام، حيث كان أوَّل نزولِ القرآنِ تَرْبيةً على الإيمانِ في السُّور المكية وخاصّةً المُفصَّل منها فكلُّه في تَرسِيخِ الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخر، فأَوْرَثَ في نفوسِهم الإيمانَ الصحيحَ والتعظيمَ للقرآن، وهَيَّأَ نفوسَهم لِتَلَقِّي تَوجيهاتِه»[2].

وورد في هذا المعنى آثار تبيَّن أن النبي ﷺ اتبع هذا المنهج مع صحابته، ونقلوه لمن بعدهم، فكان له عظيم الأثر في انتفاعهم بالقرآن.

يقول عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لقد عشنا بُرْهة من دهرنا وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلّم حلالها وحرامها،

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٢٧٥، وينظر: كنز العمال ٢/ ٤٣٢، ح(٤٤٢٢).

(٢) ينظر مقال بعنوان: منهج السلف في تلقي القرآن وتدبره، د. محمد الربيعة.

وما ينبغي أن يُوقف عنده فيها كما تعلّمون أنتم القرآن)، ثم قال: (لقد رأيت رجالا يؤتىٰ أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلىٰ خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يُوقف عنده منه، ينثره نثْر الدَّقَل[(١)]»[(٢)].

ويؤكد علىٰ هذا المعنىٰ الصحابي الجليل جُندب بن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقوله: «كنا مع النبي ﷺ ونحن غلمان حَزَاوِرة[(٣)] فتعلَّمنا الإيمان قبل القرآن، ثم تعلَّمنا القرآن فازددنا إيمانًا»[(٤)].

٣- حرصهم على التلاوة اليومية للقرآن:

إن كثرة ملازمة القرآن وتلاوته يوشك بها المسلم أن يُفتح له باب التَّدَبُّر، ومن أكثر الطُّرْق قارب الدخول، وعلىٰ قدر ما يعطي الإنسان للقرآن سيعطيه القرآن، ومن هنا تأتي أهمية التلاوة اليومية للقرآن كمفتاح للتَّدَبُّر.

وكان النبي ﷺ حريصًا علىٰ قراءة القرآن كل يوم، فلما جاء وفد ثقيف إلىٰ المدينة أنزلهم رسول الله ﷺ في قُبَّة بين المسجد وبين أهله، فكان يأتيهم ويُحدِّثهم بعد العشاء، وفي ليلة من الليالي تأخر عليهم ثم أتاهم فقالوا له: يا رسول الله لبثتَ عنا الليلة أكثر مما كنت تلبث؛ فقال: «**نعم، طرأ عليَّ حِزْبي من القرآن، فكرهت أن أخرج من المسجد حتىٰ أقضيه**»[(٥)].

---

(١) الدقل: رديء التمر ويابسه. النهاية (د ق ل).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ح (١٠١) ١/ ٩١، وقال: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولا أعرف له علة ولم يخرجاه».

(٣) حزاورة: جمع الحزور، وهو الغلام إذا اشتد وقوي. ينظر: النهاية (ح ز ور).

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب: المقدمة باب: في الإيمان ح (٦١)، والطبراني في المعجم الكبير ح (١٦٧٨) ٢/ ١٦٥، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجة ح(٦١).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: تحزيب القرآن ح(١٣٩٣)، وابن ماجه في سننه، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: في كم يستحب يُختم القرآن ح(١٣٤٥)، وأحمد في

وقد انتقل هذا الحرص من النبي ﷺ إلىٰ أصحابه من بعده، وكان هذا الأمر مشهوراً بينهم، يقومون به ويؤدُّونه كما طُلب منهم، لا يتهاونون به.

قال الأوزاعي: "كان يقال: خمسٌ كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتِّباعُ السنة، وعِمَارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله"[(١)].

وقد قال عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا، وإني لأكره أن يأتي علي يوم لا أنظر في المصحف وما مات عثمان حتىٰ خُرق مصحفه من كثرة ما كان يديم النظر فيه)[(٢)].

وقد كان للسلف وِرد يومي من القرآن لا يتكاسلون في القيام به، ويحاسبون أنفسهم علىٰ ذلك. **فمن ذلك:**

عن أبي بكر بن عمرو بن حزم، أن رجلاً استأذن علىٰ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالهاجرة فحجبه طويلاً ثم أذن له فقال: (إني كنت نمتُ عن حزبي فكنت أقضيه)[(٣)].

وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: كنا نأتي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل صلاة الفجر، فأتيناها ذات يوم فإذا هي تصلي، فقالت: (نمتُ عن حزبي في هذه الليلة فلم أكن لأدعه)[(٤)].

وما ورد عن عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللَّهُ أنه: (كان يقرأ ربع القرآن كل يوم

مسنده ح(١٦١٦٦) ٢٦/ ٨٨-٨٩. وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف لضعف عبدالله بن عبدالرحمن الطائفي، وعثمان ابن عبدالله بن أوس الثقفي، روىٰ عنه جمع، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال الذهبي في «الميزان»: محله الصدق. وقال ابن حجر في «التقريب»: مقبول.

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٦/ ١٤٢.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ح (٢٠٣٠) ٣/ ٥٠٩.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ح(٤٧٨٢) ١/ ٤١٦.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ح(٤٧٨٤) ١/ ٤١٦.

في المصحف نظراً، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قُطعت رِجْله، ثم عاود حِزبه من الليلة المقبلة)(١).

إنه الحرص علىٰ عدم ترْك هذا الورد اليومي مهما حالت دون الحوائل، أواعترضته العوارض؛ لأنهم يعلمون يقينـًا أن هذا هوغذاء القلب الذي لا يحيا بدونه.

والمقصود من المداومة اليومية علىٰ تلاوة القرآن "أن الإنسان من طبيعته النسيان، وكذلك لتعرّضه المستمر للمغريات والملهيات خلال يومه وليلته؛ كان من الأهمية بمكان أن يداوم علىٰ قراءة القرآن لتُحدث له دوام التذكرة والتبصرة، وليُعَوِّض بالقرآن ما فقده من إيمان، وليس ذلك فحسب، بل وليغذي قلبه بالروح التي تجعله دومًا في إقبال علىٰ الله.

من هنا كانت التوجيهات النبويّة المتعددة بكثرة تلاوة القرآن، وتعاهده كل يوم، وحتىٰ لا تملّ النفس، كان رصد الجوائز والأجر العظيم لكل من قرأ حرفًا من القرآن، ليستمر الحافز والدافع لديها للقراءة؛ كل ذلك ليتحقق المقصود من اللقاء بالقرآن"(٢).

٤- اهتمامهم بترتيل القرآن:

أمر الله رسوله ﷺ بترتيل القرآن مؤكّداً هذا الأمر بمصدر الفعل فقال: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وقال سبحانه: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]؛ فبيّن الله الكيفية التي تكون بها قراءته، فهذا النص فيه أمر بالمكث وترك العجلة عند القراءة، وقوله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٩]، فنهىٰ الله عن العجلة في القراءة وتحرك اللسان بها سريعًا، لأن

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٢/ ١٧٨، سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/ ٤٢٦.

(٢) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د. مجدي الهلالي ص١٣٤.

الترتيل له وظيفة كبيرة في الطرْق على المشاعر، ومن ثَمّ استثارتها وتجاوبها مع الفهم الذي سيولّده التَّدَبُّر؛ لينشأ بذلك الإيمان حينما يتعانق الفهم مع التأثر، ومن هنا تأتي أهمية الترتيل كمفتاح من مفاتيح التَّدَبُّر التي حرص عليها سلفنا الصالح.

وقد اعتنى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالترتيل، ووجّهوا نظر من بعدهم إليه؛ لأن القراءة المتأنية أدعى لحسن الفهم ولأن الترتيل معناه التمهل والتأمل والتَّدَبُّر، وذلك معين على الفهم والعمل، والمعرفة والامتثال.

فقد أنكر عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على نهيك بن سنان سرعته في القراءة لما قال له: إني لأقرأ المفصّل في ركعة، فقال عبدالله: (هذًّا كهذِّ الشِّعر[(١)]!! إن أقواما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب، فرسخ فيه؛ نفع)[(٢)].

وسئل مجاهد بن جبر رَحِمَهُ اللَّهُ عن رجلٍ قرأ البقرة وآل عمران، ورجلٍ قرأ البقرة، قيامهما واحد، وركوعهما واحد، وسجودهما واحد، وجلوسهما واحد، أيهما أفضل؟ فقال: (الذي قرأ البقرة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[الإسراء: ١٠٦])[(٣)].

وقال محمد بن كعب القرظي: "لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ"إذا زُلزلت"، و"القارعة" لا أزيد عليهما، وأتردد فيهما وأتفكر، أحب إليَّ من أن أهذّ القرآن ليلتي هذّا!!" أو قال: "أنثره نثْراً"[(٤)].

٥- قيامهم الليل بالقرآن:

إن قراءة القرآن والقيام به في الليل من أعظم الوسائل المساعدة على

---

(١) الهذّ: سرعة القطع. أراد أتهذ القرآن هذا فتسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر؟ النهاية (ه ذ ذ).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ح (٤١٨٨) ٢/ ٤٨٩، وابن المبارك في الزهد ١/ ١٥٥.

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد، ص٩٧، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢/ ٢٥٦ رقم (٨٧٣٢).

تدبر القرآن، وتذكّر معانيه، وتثبيتها في القلب، وقد أكد النص الشرعي على هذه المعاني؛ فقال ربنا: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] «فدلت الآية على أن التهجد بالقرآن طريق للوصول إلى المقامات العالية في الآخرة»[(١)].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلًا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١-٥]. «فدلت الآية على أن القيام بالقرآن هو السبيل لتحمّل الأحمال الثقيلة سواء في ذلك الدينية أو الدنيوية، فهو الطريق لمواجهة وحل مشاكل وصعوبات الحياة كلها»[(٢)].

وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه**»[(٣)].

ويقول ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مدارسة جبريل لرسول الله ﷺ في كل ليلة من رمضان: «المقصود من التلاوة الحضور والفهم؛ لأن الليل مظنة ذلك، لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية»[(٤)].

وهناك شواهد كثيرة تدل على اقتران قراءة القرآن بالليل، قد أدرك سلفنا الصالح قيمة وأهمية قيام الليل بالقرآن فحرصوا عليه، وربّوا عليه أنفسهم ومَن بعدهم، وكان هذا شعارهم رجالًا ونساء، والذي كان يسير في طرقات المدينة ليلا فلن تخطئ أذناه آيات القرآن وهي تنساب من كل بيت، فالجميع يقرأ ويترنم ويبكي، ويستشعر حلاوة الإيمان، فيدفعه ذلك إلى مزيد من

---

(١) مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، د. خالد اللاحم ص٦١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين، باب: الأمر بتعهد القرآن ح(٧٨٩).

(٤) فتح الباري لابن حجر ٩/ ٤٥.

القراءة بتدبر وترتيل، حتىٰ في أصعب أوقاتهم -أوقات الجهاد- لم يكونوا يتركون قيام الليل؛ لعلمهم بقيمته وأهميته.

فعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: **«إني لأعرف أصوات رُفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار»**(١).

ومر النبي ﷺ علىٰ امرأة تقرأ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١] فقام يستمع ويقول: **«نعم، قد جاءني»**(٢).

وتصف هند بنت عتبة قبل إسلامها لأبي سفيان حال الصحابة بعد دخولهم مكة فتقول: أريد أن أبايع محمداً، قال أبو سفيان: قد رأيتك تكفرين؟ قالت: إي والله، والله ما رأيت الله تعالىٰ عُبد حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، والله إن باتوا إلا مصلِّين قيامًا وركوعًا وسجودًا"(٣).

بعد انتهاء معركة القادسية وانتصار المسلمين كتب سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كتابا يخبره فيه بالفتح، فكان مما فيه:"...وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القاري وفلان وفلان ورجال من المسلمين لا يعلمهم إلا الله، فإنه بهم عالم...كانوا يُدوّون بالقرآن إذا جنّ عليهم الليل كدوي النحل، وهم آساد في النهار لا تشبههم الأسود"(٤).

وعن الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: (إن من كان قبلكم رأوا القرآن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر ح(٤٢٣٢)، ومسلم في صحيحه، كتابك الفضائل، باب: من فضائل الأشعريين ح(٢٤٩٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٤١٤ (١٩٢١٠) مرسلًا، وابن كثير في التفسير ٨/ ٣٨٤.

(٣) البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار في الشرح الكبير ٨/ ٥٩٥، ولم أقف عليه إلا في هذا الموضع.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٦٣٦.

رسائل من ربهم فكانوا يتدبّرونها بالليل، ويتفقّدونها في النهار)[١].

وقد نعىٰ سلفنا علىٰ من نام عن قيام الليل بالقرآن، وعدّوا ذلك ذمًا في حق المسلم، فعن أبي رجاء قلت: للحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به، إنما يصلي المكتوبة؟ قال:"لعمر الله ذاك إنما يتوسد القرآن[٢]"[٣].

فبهذه الآثار يتبيّن أن قيام الليل بالقرآن "يمكن أن يُشبّه باجتماع الأكسجين مع الهيدروجين، حيث ينتج من تركيبهما الماء الذي به حياة الأبدان؛ فكذلك اجتماع القرآن مع الصلاة ينتج معه حياة القلب وصحته وقوته"[٤].

٦- ترديد الآيات التي تؤثّر في القلب:

إن من منهج السلف الصالح في تدبر القرآن: ترديد الآية أوالآيات التي حدث معها تجاوب وتأثر قلبي؛ حتىٰ يتسنّىٰ للقلب الاستزادة من النور الذي يدخل، والإيمان الذي يزيد في هذه اللحظات. فتكرار الآية أوالآيات أدعىٰ إلىٰ حُصُول الإيمان وذوْق حلاوة الْقرْآن، وقد نصّ العلماء علىٰ أن هذا كان دأب السلف الصالح.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد بات جماعة من السلف يتلون آيه واحدة يتدبرونها، ويردّدونها إلىٰ الصباح»[٥].

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص٥٤.

(٢) يتوسد القرآن: لا ينام الليل عن القرآن ولم يتهجد به، فيكون القرآن متوسدا معه، بل هو يداوم قراءته ويحافظ عليها. النهاية (و س د).

(٣) قيام الليل للمروزي ص(٢٥).

(٤) مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، د. خالد اللاحم ص(٦٣).

(٥) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص(٨٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهذه كانت عَادَة السّلف يردد أحدهم الآية إلىٰ الصَّباح"(١).

وهذه نماذج تدل علىٰ ثبات هذا المنهج عندهم:

قال أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «صلىٰ بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة العشاء، ثم رجع إلىٰ أهله، فلما تكفأت عنه العيون رجع إلىٰ مقامه فجئت فقمت خلفه قبل أن يركع، فأومأ إليّ بيده فقمتُ عن يمينه، ثم جاء عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقام خلفنا فأومأ إليه بيده فقام عن شماله، فقام رسول الله ﷺ حتىٰ أصبح يتلو آية واحدة من كتاب الله بها ويركع بها ويسجد بها يدعو حتىٰ أصبح ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]»(٢).

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه ردّد قول الله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤](٣).

وعن مسروق، قال: قال لي رجل من أهل مكة: «هذا مقام أخيك تميم الداري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لقد رأيته ذات ليلة حتىٰ أصبح، أو كاد أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله، يركع ويسجد، ويبكي: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]»(٤).

وعن القاسم بن أبي أيوب أن سعيد بن جبير ردّد هذه الآية: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] بضعًا وعشرين مرة(٥).

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم ص(١٨٧).

(٢) سبق تخريجه والحكم عليه.

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص(٨٦).

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ ح(١١٨٣٣) ١٠/ ٤٠٠، والطبراني في المعجم الكبير ح(١٢٥٠) ٢/ ٥٠.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ح(٣٥٣٥١) ٧/ ٢٠٣.

وعن هشام الدستوائي، قال: "لما تُوفي عمروبن عتبة بن فرقد دخل بعض أصحابه علىٰ أخته، فقال: أخبرينا عنه. فقالت: قام ذات ليلة فاستفتح سورة حم، فلما أتىٰ علىٰ هذه الآية: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ﴾[غافر: ١٨] فما جاوزها حتىٰ أصبح»[١].

وقال زيد بن الكميت: كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله، فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة في عشاء الآخرة "إذا زلزلت"وأبو حنيفة خلفه، فظل قائماً إلىٰ الصباح وهويقول: "يا من يجزي مثقال ذرة خير خيرا، ويا من يجزي مثقال ذرة شر شراً، أجِر النعمان عبدك من النار، وما يقرّب منها من السوء، وأدخِله في سعة رحمتك"[٢].

ولأهمية تكرار الآيات في حصول التأثر بالقرآن فقد أوصىٰ العلماء بالحرص عليه، فقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتَّدَبُّر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكّر حتىٰ مرّ بآية وهومحتاج إليها في شفاء قلبه كرّرها ولومائة مرة ولوليلة، فقراءة آية بتفكّر وتفهّم خيرٌ من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعىٰ إلىٰ حصول الإيمان، وذوْق حلاوة القرآن"[٣].

٧- مدارسة القرآن:

مدارسة القرآن صورة من صور الرغبة في تفهّم القرآن، والوقوف علىٰ حروفه وحدوده، واستنباط حِكمه ومعانيه، فالمدارسة تعين علىٰ توقّد الذهن، وحضور العقل، وتكامل الفكر، حتىٰ يفيد المتدارسون للقرآن أكبر فائدة.

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٤/ ١٥٨.
(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٥/ ٤٨٧.
(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم (١٨٧).

ومن أبلغ الدلائل على فضيلة مدارسة القرآن ما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطّأ به عمله، لم يُسرع به نسبه**»(١).

وقد قدَّم لنا نبينا ﷺ نموذجًا عمليًا لمدارسة القرآن، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلَرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة**»(٢).

وقد استقر هذا المبدأ عند سلفنا الصالح، فعلى الرغم من أنهم كانوا أقرب الناس إلى القرآن معايشةً ولغةً وفهمًا، فإنهم كانوا حريصين على مدارسة القرآن، وقد ورد عنهم ما يدل على أهميتها:

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الدراسة صلاة)(٣)، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (تذاكر العلم بعض ليلة أحب إليَّ من إحيائها)(٤).

وعن ابن أبي مليكة، أن عائشة، زوج النبي ﷺ: كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه، إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: «**من حُوسب عُذِّب**» قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فقلت: أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨] قالت: فقال: «**إنما ذلك العرض، ولكن: من نُوقش الحساب يهلك**»(٥).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: بدء الوحي ح(٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة ح (٢٣٠٨).

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ١٠٤.

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ١١٧.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: العلم، باب: من سمع شيئًا فلم يفهمه فراجع فيه حتى يعرفه ح (١٠٣).

وعن عبيد بن عمير، قال: قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يومًا لأصحاب النبي ﷺ: (فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾[البقرة: ٢٦٦]؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر، فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. قال عمر: يا ابن أخي قُل، ولا تحقر نفسك. قال ابن عباس: ضُربت مثلاً لعمل. قال عمر: أي عمل؟ قلت: شيء ألقي في روعي فقلته. فتركني، وأقبل وهو يفسّرها صدقت يا ابن أخي، عُنِيَ بها العمل، ابن آدم أفقر ما يكون إلىٰ جنته إذا كبرت سنه وكثر عياله! وابن آدم أفقر ما يكون إلىٰ عمله يوم القيامة! صدقت يا ابن أخي)[1].

٨- حرصهم على الفهم والعمل:

بيّن لنا ربنا الهدف الأسمىٰ من نزول القرآن ألا وهو تدبّره والعمل به فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وحرص نبينا ﷺ علىٰ بيان هذا الهدف لأمته، فعندما سأله عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن ختم القرآن في أقل من ثلاثة أيام قال له: «**لا يفقهه من يقرؤه في أقل من ثلاث**»[2].

«كان ﷺ دائم التحذير لصحابته ولأمته من بعده من أن يتحوّل القرآن من وسيلة عظيمة لإحياء القلب وبثِّ الروح فيه إلىٰ قراءة حنجرية فقط طلبًا للأجر والثواب دون الانتفاع الحقيقي به»[3].

ووعي الصحابة توجيهات القرآن ونبيهم ﷺ حول فهم القرآن والعمل به، فاستقر هذا منهجًا عندهم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: قولِهِ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ ح (٤٥٣٨) ٦/ ٣١ بنحوه، وذكرها السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٤٧.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د. مجدي الهلالي ص(٧٣).

٩- التمهل وعدم الإسراع في حفظ القرآن:

وليس أدل على ذلك من قول أبي عبدالرحمن السُّلمي: حدّثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ، أنهم: (كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل)[(١)].

وذكر الإمام مالك في الموطأ: أنه بلغه (أن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها)[(٢)].

«إن حفظ سورة البقرة لا يستغرق عدة أسابيع أوشهور إن كان الأمر يقتصر على حفظ ألفاظها فقط، أما إذا كان الأمر مرتبطا بتأثير القرآن على العقل ليعيد تشكيله، وعلى القلب ليعبّده لله عَزَّوَجَلَّ، فالأمر بلا شك سيختلف، وسيحتاج إلى سنين كما فعل عمر بن الخطاب وابنه عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»[(٣)].

١٠- الوقوف عند المعاني:

والمقصود من ذلك: "أن يقف القارئ عند المعنى فلا يتجاوزه إلى غيره، متأملاً له، ومعتبراً به، وهو المقصود من حُسن الاستماع والتلاوة، ومن ترتيل القرآن والتغني به"[(٤)].

وهذا المبدأ كان دأب السلف مع القرآن، إمامهم في ذلك سيد المتدبرين ﷺ فعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: ٦/ ١١٧، والإمام أحمد في مسنده: ٣٨/ ٤٦٦ وصحَّحه محققو المسند، والطبري في جامع البيان: ١/ ٧٤، قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: ١٧/ ٤٠٨: «وهذا أمر مشهور رواه الناس عن عامة أهل الحديث والتفسير، وله إسناد معروف».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ح (٦٩٥) ٢/ ٢٨٧.

(٣) العودة إلى القرآن، د. مجدي الهلالي ص(٨٤).

(٤) تدبر القرآن للسنيدي ص(١٢٤).

ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضىٰ، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضىٰ، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسّلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيحٌ سبّح، وإذا مرّ بسؤالٍ سأل، وإذا مرّ بتعوّذٍ تعوّذ ثم ركع»[١].

عن ابن أبي مليكة قال: سافرت مع ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، من مكة إلىٰ المدينة، وهم يسيرون إليها وينزلون بالليل، فـ(كان ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يقوم نصف الليل فيقرأ القرآن حرفًا حرفًا، ثم حكىٰ قراءته، قال: ثم يبكي حتىٰ تسمع له نشيجًا)[٢].

يقول إسحاق بن إبراهيم الطبري عن الفضيل بن عياض: "كانت قراءته حزينة، شهيّة، بطيئة، مترسّلة، كأنه يخاطب إنسانًا، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة، يردّد فيها، وسأل"[٣].

١١- حرصهم على تعليم غيرهم القرآن بطريقة تربط بين اللفظ والمعنى:

كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يجتهدون في تعليم من بعدهم القرآن بطريقة تربط بين اللفظ والمعنىٰ، وتحقّق مفهوم التعليم، وكانوا يقتصرون في الجلسة الواحدة علىٰ آية أوبضع آيات حتىٰ يتم الانتفاع بها[٤].

قال أبورجاء العطاردي: (كان أبوموسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يعلّمنا القرآن خمس آيات خمس آيات)[٥].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) مختصر قيام الليل للمروزي ص(١٣١).
(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٧ - ٤٢٨.
(٤) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د. مجدي الهلالي ص(٩٤).
(٥) معرفة القراء الكبار للذهبي ص(٣١).

وقال أبو العالية: (تعلّموا القرآن خمس آيات خمس آيات، إنه أحفظ لكم، وإن جبريل صلوات الله عليه كان ينزل بخمس آيات متواليات)[١].

١٢- النصيحة والوصية بفهم القرآن والعمل به، والتحذير من عدم العمل:

أوصىٰ جُندب بن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أهل البصرة بوصية فقال فيها: (وعليكم بالقرآن، فإنه هُدىٰ النهار، ونور الليل المظلم، فاعملوا به علىٰ ما كان من جَهد وفاقة)[٢].

ويوصىٰ الحسن بن علىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بوصيةٍ مهمةٍ، وضابطة لقراءة القرآن، فيقول: (اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم ينهك فلست تقرؤه)[٣].

«لذلك لما بدأ المسلمون في عصر التابعين يُقبلون علىٰ حفظ القرآن بشكل مختلف عما كان يفعله الصحابة، ازداد تحذير الصحابة لهم وتخويفهم من خطورة حمْل ألفاظ القرآن دون إدراك معانيه ومعرفة أحكامه، والعمل بما تدل عليه آياته»[٤].

فقد جمع أبوموسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذين حفظوا القرآن في الكوفة، وكان عددهم يبلغ قرابة الثلاثمائة، فعظَّم القرآن، وقال: (إن هذا القرآن كائن لكم ذُخراً، وكائن عليكم وزراً، فاتبعوا القرآن ولا يتبعكم، فإنه من اتبع القرآن هبط به علىٰ رياض الجنة، ومن اتبعه القرآن زجَّ به في قفاه فقذفه في النار)[٥].

وقد وعي التابعون توجيهات الصحابة بضرورة فهم القرآن والعمل به فأثّرت فيهم هذه التوجيهات فقد قال الحسن البصري: (إن هذا القرآن قد

---

(١) فضائل القرآن للمستغفري ١/ ٣٢٠.

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد ص(٧٧).

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد ص(٧٨).

(٤) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د/ مجدي الهلالي ص(٩٣).

(٥) فضائل القرآن للفريابي ص(١٢٨).

قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، ولم يتأولوا الأمر من قِبل أوله، وقال الله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، وما تدبر آياته إلا اتباعه لعلمه، والله يعلمه، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتىٰ إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفًا، وقد والله أسقطه كله، ما يُرىٰ له القرآن في خُلق، ولا عمل، حتىٰ إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نَفَس!! والله ما هؤلاء بالقراء، ولا العلماء، ولا الحكماء، ولا الورعة، متىٰ كانت القُرَّاء مثل هذا!! لا كثّر الله في الناس مثل هؤلاء)[(١)].

إن منهج سلفنا الصالح في فهم القرآن والعمل به يؤكّد أنهم: لم يكونوا يقرؤون القرآن بقصْد الثقافة والاطلاع، ولا بقصْد التذوق والاستمتاع! إنما كان يتلقىٰ القرآن ليتلقىٰ أمر الله في خاصة شأنه وشأن الأمة التي يعيش فيها، وشأن الحياة التي يحياها وتحياها أمته، فيتلقىٰ الأمر ليعمل به فور سماعه، وينتهي عنه فور تلقي النهي عنه.

١٣- عدم قصرهم معاني الآيات على أحوال خاصة:

ينبغي لمن أراد الانتفاع بالقرآن أن يجعل القرآن خطابًا موجّهًا إليه، وأن «يقدّر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن، فإن سمع أمراً أو نهيًا قدّر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعداً ووعيداً فكذلك»[(٢)].

وهكذا كان سلفنا الصالح يتلقون القرآن علىٰ أنه موجّه لهم في كل شيء، فلا يقصرونه علىٰ أوضاع مضت، أو أحوال خاصة قد انتهت.

يقول محمد بن كعب القرظي: (من بلغه القرآن فكأنما كلّمه الله)[(٣)].

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك ص(٢٧٤).
(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ٢٨٥.
(٣) المصدر السابق.

وهذا نموذج عملي يبيّن كيف تعامل الصحابة مع القرآن من خلال هذا المبدأ الذي ذكرناه:

فعن عبدالله بن عمر أن عمر رأىٰ في يد جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم درهما فقال: (ما هذا الدرهم؟ قال: أريد أن أشتري به لحما لأهلي، قَرِمُوا إليه[١]، فقال: أكلّما اشتهيتم شيئًا اشتريتموه! أين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠])[٢].

فعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يقصر معنىٰ الآية علىٰ الكافرين، وإنما رأىٰ أنها صالحة لأن تكون في حق غيرهم، وبهذا كان سلفنا الصالح يحسنون التعامل مع القرآن في أوامره ونواهيه.

وهذا يؤكد لنا «أن التَّدَبُّر عند سلفنا لم يكن درسًا يُسمع أوكتابًا يُتلىٰ بقدر ما كان شعوراً ينبض في قلب القاريء وهويتجه لقراءة القرآن، وثمرة يقصدها حين تلاوة الآيات، وموردًا ينهل منه القلب حين تدارسه»[٣].

١٤- حث السّلف على المداومة على تلاوة القرآن وتدبره:

آثار السلف في قراءتهم القرآن نظراً وغيبًا وحفظهم علىٰ حزبهم وورْدهم في الصلاة وفي غير الصلاة أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، ولا بأس بذكر طرف منها:

فعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (أَدِيمُوا النَّظَرَ فِي الْمُصْحَفِ)[٤].

---

(١) قرموا إليه: اشتهوه. ينظر: اللسان (ق ر م).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٥٥، ح(٣٦٩٨)، والبيهقي في شعب الإيمان ح(٥٦٧٢).

(٣) تدبر القرآن للسنيدي ص(٨).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ح(٨٦٤٦)، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص(١٠٤)، والفريابي في فضائل القرآن ح(١٤٩).

وعن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (إِنِّي لأَقْرَأُ حِزْبِي، أَوعَامَّةَ حِزْبِي وَأَنَا مُضْطَجِعَةٌ عَلَىٰ فِرَاشِي)[١].

وعن خيثمة قال: دخلت علىٰ عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وإنسان قد أخذ عليه المصحف، وهو يقرأ، فقلت: ما هذا؟ قال: (أقرأ حزبي الذي أقوم به الليل)[٢].

وعن أم موسىٰ[٣]: (أنّ الحسن بن علي كان يقرأ ورده من أول الليل، وأن حُسينًا كان يقرؤه من آخر الليل)[٤].

وعن إبراهيم النخعي قال: «كان أحدهم إذا بقي عليه من جزئه أو حزبه شيء فنشط قرأه بالنهار، أو قرأه من ليلة أخرىٰ وربما زاد أحدهم»[٥].

١٥- إظهارهم قيمة التَّدَبُّر وإعلانها:

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (أَلا لَا خَيْرَ فِي عِبَادةٍ لَيْسَ فِيها تَفَقّه، ولاَ خَيْرَ في فِقْه لَيْسَ فِيهِ تَفَهّم، ولاَ خَيْرَ في قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّر)[٦].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ح(٨٦٥٩)، والفريابي في فضائل القرآن ح(١٥٤)، والمستغفري في فضائل القرآن ح(٥٢٤) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ح(٨٦٤٧)، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص١٠٥، والفريابي في فضائل القرآن ح(١٥١)، والمستغفري في فضائل القرآن ح(٥٢٠) وإسناده صحيح.

(٣) أم موسىٰ هي سُرِّية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قيل: اسمها فاختة، وقيل: حبيبة، مقبولة. التقريب ترجمة رقم (٨٧٧٧).

وقال العجلي: «كوفية تابيعة ثقة». معرفة الثقات ترجمة رقم (٢٣٦٥)

(٤) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص١٨٦، والمستغفري في فضائل القرآن ح(٥٢١) بإسناد صحيح.

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص١٨٧، والفريابي في فضائل القرآن ح(١٥١)، والمستغفري في فضائل القرآن ح(٥٢٦) وإسناده صحيح.

(٦) أخرجه أبو داود في الزهد ح(١١١)، وابن بشران في الأمالي ح(٨٨٢)، والآجري في أخلاق

وعن الضّحاك في قوله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢] قال: «يتدبّرون النظر فيه»(١)، أي: النظر في عاقبة الشيء.

وعن قتادة قال: «إذن والله يجدون في القرآن زاجراً عن معصية الله لو تدبّره القومُ وعقلوه، ولكنّهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك»(٢).

وعن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ قَدْ قَرَأَهُ عَبِيدٌ وَصِبْيَانٌ، لا عِلْمَ لَهُمْ بِتَأْوِيلِهِ، وَلَمْ يَتَأَوَّلُوا الأَمْرَ مِنْ أَوَّلِهِ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]، وَمَا تَدَبُّرُ آيَاتِهِ إلا اتِّبَاعُهُ وَاللهُ يَعْلَمُ، أَمَا وَاللهِ مَا هُوبِحِفْظِ حُرُوفِهِ وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ، حَتَّىٰ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ، فَمَا أَسْقَطْتُ مِنْهُ حَرْفًا، وَقَدْ وَاللهِ أَسْقَطَهُ كُلَّهُ، مَا يُرَىٰ لَهُ الْقُرْآنُ فِي خُلُقٍ وَلا عَمَلٍ»(٣).

ويقول محمد بن الحسين الآجرّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنّ الله عَزَّوَجَلَّ حثّ خلقه علىٰ أن يتدبّروا القرآن فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]. ألا ترون رحمكم الله إلىٰ مولاكم الكريم كيف يحث خلقه علىٰ أن يتدبروا كلامه، ومن تدبّر كلامه عرف الرّب عَزَّوَجَلَّ، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضله علىٰ المؤمنين، وعرف ما عليه من فرض عبادته فألزم نفسه الواجب، فحذر مما حذره مولاه الكريم، ورغب فيما رغبه فيه، ومن كانت هذه صفته عند تلاوته للقرآن وعند

العلماء ص(٧٢-٧٣) ح(١٠٥٦)، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٧٧ بإسناد حسن.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٧/ ٢٥٢، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ١٠١٣.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢١/ ٢١٦، والسيوطي في الدر المنثور ١٣/ ٤٤٧.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٣/ ٣٦٤، وابن المبارك في الزهد (٧٩٣)، والآجري في أخلاق حملة القرآن (٣٤).

استماعه من غيره، كان القرآن له شفاء فاستغنىٰ بلا مال، وعزّ بلا عشيرة، وأنس بما يستوحش منه غيره، وكان همُّه عند التلاوة للسّورة إذا افتتحها متىٰ أتعظ بما أتلو؟ ولم يكن مراده متىٰ أختم السّورة؟ وإنما مراده متىٰ أعقل عن الله الخطاب؟ متىٰ أزدجر؟ متىٰ أعتبر؟! لأن تلاوته للقرآن عبادة، والعبادة لا تكون بغفلة، والله الموفق»[1].

١٦- حثهم على قراءة القرآن على مكث دون استعجال:

إن طريقة تلاوة القرآن لم توكل إلينا، بل جاء وصفها في كتاب الله تعالىٰ، فقال جلّ وعلا: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، قال ابن جرير الطبري: «وقوله: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ يقول: لتقرأه علىٰ الناس علىٰ تُؤَدة، فترتله وتبينه، ولا تعجل في تلاوته، فلا يفهم عنك»[2].

وقال الله جلّ وعلا: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[المزمل: ٤] قال القرطبي: «أي: لا تعجل بقراءة القرآن، بل أقرأه في مَهَل وبيان مع تدبر المعاني»[3].

فامتثل النبي ﷺ أمر ربّه عَزَّوَجَلَّ فكانت قراءته للقرآن مترسلاً بتأنٍّ وتمهل وتبيين لحروفه، يقف علىٰ رأس كلّ آية، قال أبوالعباس القرطبي: «**"يقرأ مترسلاً"** أي: مترفِّقًا متمهِّلاً، من قولهم: علىٰ رسلك أي: علىٰ رفقك»[4].

وقد أنكر عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ نَهيك بن سنان لما قال: إِنِّـى لأَقْـرَأُ الْمُفَصَّـلَ فِـى رَكْعَـةٍ. فَقَـالَ عبـدالله: (هَـذًّا كَهَـذِّ الشِّـعْرِ! إِنَّ أَقْوَامًـا يَقْـرَءُونَ الْقُـرْآنَ لاَ يُجَـاوِزُ تَرَاقِيَهُـمْ، وَلَكِـنْ إِذَا وَقَـعَ فِـى الْقَلْـبِ فَرَسَـخَ فِيـهِ نَفَـعَ)[5].

---

(١) أخلاق حملة القرآن ص(٢).

(٢) جامع البيان ١٥/ ١١٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢١/ ٣٢٢.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/ ٤٠٥.

(٥) سبق تخريجه.

وقال أيضاً: (لا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقْلِ[١]، وَلا تَهُذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ)[٢].

وعن أبي جَمْرَةَ الضُّبَعِيّ، قال: قلت لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إني رجل خفيف القراءة أهذرمها[٣]؟ فقال ابن عباس: (لَأَنْ أَقْرَأَ البَقَرَةَ فَأُرَتِّلُهَا وَأَتدبَّرُها أَحَبّ إِلَيَ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ هَذْرَمَةً)[٤].

وفي لفظ قال: (إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاث..)[٥].

وعن محمّد بن كعب القُرَظِيّ قال: «لَأَنْ أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ و﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ لا أزيد عليهما أردّدهما وأتفكّر فيهما أحبّ إليّ من أن أَهُذّ القرآن ليلتي هذًّا أو قال أَنْثُره نَثْراً»[٦].

وعن مجاهد في قوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ فقال: «وبيِّن القرآن تَبْييناً بعضه على أَثر بعض، على تُؤَدة»، وفي رواية، قال: «ترسَّل فيه تَرسُّلاً»[٧].

ولما سُئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رجل قرأ البقرة وآل عمران، ورجل قرأ البقرة؛ قيامهما واحد، وركوعهما واحد، وسجودهما واحد، وجلوسهما واحد، أيهما

---

(١) أي: كما يتساقط الرُّطَب اليابس من العِذْق إذا هُزَّ. النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٥.

(٢) أخلاق حملة القرآن ١/ ٤ ح(٢)، وإسناده صحيح. وأخرجه البيهقي في الشعب ٣/ ٤٠٧ (١٨٨٤) مختصراً.

(٣) الهَذْرَمَةُ: السّرعة في الكلام. النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٥٦.

(٤) أخرجه ابن ضريس في فضائل القرآن رقم (٣٢).

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص(١٥٧)، وابن نصر المروزي في قيام الليل كما في مختصره للمقريزي ص(١٤٩).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢/ ٢٥، ح(٨٧٣٢)، وإسناده ضعيف، لضعف عبيدالله بن عبدالرحمن، تقريب التهذيب ص(٣٧٣).

(٧) جامع البيان ٢٣/ ٣٦٣.

أفضـل؟ فقـال: «الـذي قـرأ البقـرة»، ثـم قـرأ ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ [الإسـراء: ١٠٦](١).

١٧- حثهم على ترديد الآية الواحدة في الصّلاة وفي خارجها:

عـن أَبـي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: «قَـامَ النَّبِيُّ ﷺ بِآيَةٍ حَتَّىٰ أَصْبَـحَ يُرَدِّدُهَـا وَالآيَـةُ: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائـدة: ١١٨]»(٢).

وعـن قتادة بـن النُّعمـان قـال: (قَـامَ رَجُلٌ مِـنَ اللَّيْـلِ فَقَـرَأَ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ السُّـورَةُ يُرَدِّدُهَـا لاَ يَزِيـدُ عَلَيْهَـا، فَلَمَّـا أَصْبَحْنَـا قَـالَ رَجُـلٌ: يَـا رَسُـولَ اللهِ إِنَّ رَجُـلاً قَـامَ اللَّيْلَـةَ مِـنَ السَّـحَرِ يَقْـرَأُ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ لاَ يَزِيـدُ عَلَيْهَـا! كَأَنَّ الرَّجُـلَ يَتَقَلَّلُهَـا). فَقَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»(٣).

وعـن صفوان بـن سُـليم قـال: (قـامَ تميـمٌ الـدّاريّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المسـجد بعـد أنْ صلّـىٰ العِشَـاء فمـرَّ بهـذه الآيـة ﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنـون: ١٠٤] فَمَـا خَـرجَ منهـا حتّـىٰ سَـمِع أَذانَ الصُّبْـح)(٤).

وعـن عباد بـن عبدالله بـن الزبيـر، قـال: (افتتحـت أسـماء بنـت أبـي بكـر سُـورةَ الطُّـور، فلمّـا انتهـتْ إلـىٰ قولـه تعالـىٰ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطـور: ٢٧] ذهبـتُ إلـىٰ السُّـوق في حاجـة، ثـم رجعـتُ وهـي تُكرّرهـا ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ قـال: وهـي في الصّـلاة)(٥).

وعـن القاسـم بن أبـي أيـوب، قـال: «سـمعت سـعيد بن جبير يـردِّدُ هـذه الآيـة

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص١٥٨)، والطبري في جامع البيان ١٥/ ١١٧.

(٢) سبق تخريجه والحكم عليه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل قل هو الله أحد، ح(٥٠١٣).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في قيام الليل ح(٥٠). وقال محققه: إسناده حسن.

(٥) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص(١٤٧). وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٥٥. بإسناد لا بأس به.

في الصّلاة بضعاً وعشرين مرّة: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]»(١).

وعن عبدالرحمن بن عجلان قال: «بتُّ عند الرّبيع بن خُثَيْم ذات ليلة فقام يُصلي فمرَّ بهذه الآية ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية: ٢١] الآية، فمكثَ ليلته حتّىٰ أصبح ما جاوز هذه الآية إلىٰ غيرها ببكاء شديد»(٢).

وعن جعفر بن سليمان الضبعي قال: «سمعت مالك بن دينار قرأ هذه الآية ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، فبكىٰ، وقال: أقسم لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا صدع قلبه»(٣).

وعن نُعيم بن حمّاد، قال: «قال رجل لابن المبارك: قرأتُ البارحةَ القرآن في ركعة! فقال ابن المبارك: لكني أعرفُ رجلاً لم يزل البارحة يقرأ ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ إلىٰ الصُّبح ما قدر أن يجاوزَها يعني نفسه»(٤).

والآثار عن السّلف في ذلك كثيرة، وقد أخرج جملة منها الإمام محمد بن نصر المروزي في كتابه «قيام الليل»(٥) وترجم لها بقوله: «ترديد المصلي الآية مرّة بعد مرّة يتدبّر ما فيها».

وعقد له النووي فصلاً في كتابه «التبيان في آداب حملة القرآن» فقال: «فصل في استحباب ترديد الآية للتّدبُّر»، وقال: «وقد بات جماعة من السّلف

---

(١) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص(١٤٧-١٤٨).
(٢) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد، ح(١٩٢٥) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية ٢/ ١١٢.
(٣) أخرجه الإمام أحمد في الزهد، ح(١٨٥٩)، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٣٧٨ وإسناده حسن.
(٤) أخرجه أبو بكر الدينوريّ في المجالسة وجواهر العلم، ح(١٢٣٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٢/ ٤٣٥.
(٥) ينظر: مختصر قيام الليل للمقريزي ص(١٤٨-١٥١).

يتلون آية واحدة يتدبّرونها ويردّدونها إلىٰ الصّباح»[(١)].

قال ابن قدامة: «وليعلم أن ما يقرأه ليس كلام البشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه، ويتدبر كلامه؛ فإن التَّدَبُّر هو المقصود من القراءة، وإن لم يحصل التَّدَبُّر إلا بترديد الآية فليرددها»[(٢)].

١٨- حثهم على اتِّباع القرآن والعمل به:

إنّ الغاية من إنزال القرآن الكريم هو العمل به باتباع أوامره واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده، كما قال الله جلّ وعلا: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣].

وعن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١] قال: (يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ)، قال: وقال عكرمة: «ألا ترىٰ أنّك تقول: فلان يتلو فلانًا، أي يتبعه؛ ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾[الشمس: ١، ٢] أي: تبعها»[(٣)].

وقال ابن عباس في رواية أخرىٰ: «يُحِلُّونَ حَلالَهُ، وَيُحَرِّمُونَ حَرَامَهُ، وَلا يُحَرِّفُونَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ»[(٤)].

وعن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾، قال: «يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ»[(٥)].

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ص(٨٣).

(٢) مختصر منهاج القاصدين ص(٥٧).

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص(١٣٠)، والطبري في جامع البيان ٢/ ٤٨٨، وابن أبي حاتم تفسيره ١/ ٣١٩.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢/ ٤٨٨، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣١٩، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٦٦ وصححه.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢/ ٤٩٠، والآجري في أخلاق حملة القرآن رقم (٥)، (٣٥).

وهكذا كان حال السلف مع القرآن الجمع بين العلم والعمل، فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتىٰ يعرف معانيهن، والعمل بهن»[(١)].

وعن السُّلَمِيِّ قال: «إِنَّا أَخَذْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَنْ قَوْمٍ أَخْبَرُونَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهُنَّ إِلَىٰ الْعَشْرِ الْأُخَرِ حَتَّىٰ يَعْلَمُوا مَا فِيهِنَّ فَكُنَّا نَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ بِه»[(٢)].

١٩- سرعة استجابة السّلف للقرآن الكريم:

عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه لما أنزل الله تعالىٰ براءتها في القرآن الكريم في قصة الإفك، قالت: (قَالَ أَبُوبَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ وَاللهِ. لاَ أُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]. قَالَ أَبُوبَكْرٍ: بَلَىٰ وَاللهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي فَرَجَعَ إِلَىٰ مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ وَاللهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا)[(٣)].

وعن عبدالله بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: (قَدِمَ عُيَيْنَةُ بن حِصْنِ بن حُذَيْفَةَ بن بدر فنزل علىٰ ابن أخيه الْحُرِّ بن قيسِ بن حصن، وكان من النَّفر الَّذين يُدْنيهم عُمَرُ، وكان القُرَّاءُ أصحاب مجلس عمر ومُشاورته كُهُولاً

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣٨/ ٤٦٦ ح (٢٣٤٨٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ح(٢٣٤٨٢)، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٦/ ١٧٢، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٥/ ٤٣٦ ح (٣٠٥٤٩)، والطبري في جامع البيان ١/ ٧٤، وصحّح إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه علىٰ «جامع البيان» ١/ ٨٠.

(٣) جزء من حديث الإفك عند البخاري، كتاب: الشهادات، باب: تعديل النساء بعضهن بعضا، ح(٢٦٦١)، ومسلم، كتاب: التوبة، باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ح(٢٧٧٠).

كانُـوا، أوشُـبَّانًا، فقـال عُيَيْنَـةُ لابـن أخيـه يـا ابـن أخـي هـل لـك وجْـهٌ عنـد هـذا الأمِيـر فتسـتأذن لـي عليـه قـال سأسـتأذنُ لـك عليـه، قـال ابـن عبَّـاس: فاسـتأذن لعُيينـة، فلمَّـا دخـل قـال: يَـا ابـن الخطَّـاب والله مـا تُعطينـا الجـزْلَ ومـا تَحكُـمُ بيننـا بالعـدل!! فغضـب عُمرُ حتَّىٰ هَـمَّ بأن يقـع بـه فقـال الحُـرُّ يـا أمير المؤمنين إنَّ الله تعالـىٰ قـال لنبيِّـه ﷺ ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإنَّ هـذا مـن الجاهليـنَ فـوالله مـا جَاوَزَهَـا عُمَـرُ حيـنَ تلاهـا عليـه، وكان وقَّافًـا عنـد كتـاب الله)[١].

وعـن أنس بـن مالـك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قصـة تحريـم الخمـر قـال: (إِنِّـىٰ لَقَائِـمٌ أَسْقِيهَا أَبَا طَلْحَـةَ وَأَبَـا أَيُّـوبَ وَرِجَـالاً مِـنْ أَصْحَـابِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ فِـىٰ بَيْتِنَـا إِذْ جَـاءَ رَجُـلٌ، فَقَـالَ: هَـلْ بَلَغَكُـمُ الْخَبَـرُ؟ قُلْنَـا: لاَ. قَـالَ: فَـإِنَّ الْخَمْـرَ قَـدْ حُرِّمَـتْ، فَقَـالَ: يَـا أَنَـسُ أَرِقْ هَـذِهِ الْقِـلاَلَ. قَـالَ: فَمَـا رَاجَعُوهَـا وَلاَ سَـأَلُوا عَنْهَـا بَعْـدَ خَبَـرِ الرَّجُـلِ)[٢].

وعـن الفضل بـن موسـىٰ قـال: «كان الفضيل بـن عيـاض شـاطراً يقطـع الطريـق بيـن أَبِيْـوَرْدَ وَسَـرْخَسَ، وكان سبب توبتـه أنّـه عشـق جاريـةً، فبينـا هـو يرتقـي الجـدران إليهـا إذْ سـمع تاليـًا يتلُـو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، فلمّـا سـمعها قـال: بلـىٰ يـا ربِّ، قـد آن، فرجـع فـآواه الليل إلـىٰ خَرِبة، فـإذا فيهـا سَـابلَةٌ، فقـال بعضهـم: نرتحل وَقَـال بعضهـم: حتـىٰ نصبـح، فـإنّ فضيـلاً علـىٰ الطّريـق يقطـعُ علينـا. قـال: ففكـرتُ وقلـتُ: أنـا أسـعىٰ بالليـل في المعاصـي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ح(٧٢٨٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، بـاب: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ﴾ الآية، ح(٤٣٤٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الأشربة، باب: تحريم الخمر، وبيان أنها تكون من عصير العنب ومن التمر والبسر والزبيب، وغيرها مما يسكر، ح(١٩٨٠).

وقوم من المسلمين هاهنا يخافونني، وما أرىٰ الله ساقني إليهم إلاّ لأرتدع، اللّهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورةَ البيت الحرام»[(١)].

٢٠- بكاء السّلف وخشوعهم عند تلاوة القرآن أوسماعه:

لقد مدح الله تعالىٰ مسلمي أهل الكتاب بأعظم صفتين عند تلاوتهم القرآن وهما: البكاء والخشوع فقال جلّ وعلا: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

وكان حال السلف الصالح مع القرآن أن تتحرك قلوبهم وتقشعر جلودهم وتنهمر أعينهم بالدموع، فعن عبدالله بن عروة بن الزُّبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قُلْتُ لَجدَّتي أَسْمَاءَ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ إذَا قَرَأُوا الْقُرْآنَ؟ قَالَتْ: (كَانُوا كَمَا نَعَتَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ، تَدْمَعُ أَعْيُنُهُمْ وَتَقْشَعِرُّ جُلُودُهُمْ)[(٢)]. تشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إلاَّ وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إلاَّ يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ الله ﷺ طَرَفَي النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ بَدَا لأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَىٰ مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَقِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُوبَكْرٍ رَجُلاً بَكَّاءً لاَ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨/ ٣٨٢، والقصة أوردها الحافظان المزي في تهذيب الكمال ٢٣/ ٢٨٦، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٣ عند ترجمة الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه حسين المروزي في زوائده علىٰ الزهد لابن المبارك ح (١٠١٦). بإسناد رجاله كلهم ثقات.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس، ح(٤٧٦).

وعن عُبيد بن عُمير، قال: (صلّىٰ بنا عُمر بنُ الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صلاةَ الفَجْر، فافتتحَ سُورةَ يُوسُفَ فقرأها حتّىٰ إذا بلغ ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤] وبكىٰ حتىٰ انقطع فركع)[١].

وعن أبي الضُّحىٰ، عن مسروق، قال: قرأتُ علىٰ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هذه الآيات: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] فبكَتْ، وقالَتْ: (رَبِّ مُنَّ عليَّ، وَقِني عَذَابَ السَّمُوم)[٢].

وعن نافع مولىٰ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا قرأ هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] بكىٰ حتىٰ يغلبه البكاء)[٣].

وعن ابن أبي مليكة قال: (سافرتُ مع ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من مكّة إلىٰ المدينة وهم يسيرون إليها وينزلون بالليل، فكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقوم نصف اللّيل فيقرأ القرآن حرفًا حرفًا، ثم حكىٰ قراءته، ثم يبكي حتىٰ تسمع له نشيجًا)[٤].

وعن مسروق، قال: قَالَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: هَذَا مَقَامُ أَخِيكَ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، قَامَ لَيْلَةً حَتَّىٰ أَصْبَحَ أَوكَرُبَ[٥] أَنْ يُصْبِحَ بِآيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ يُرَدِّدُهَا

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص(١٣٧) بإسناد لا بأس به.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ح(٩٨)، وأخرجه الإمام أحمد في الزهد، ح(٩٠٩) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٤٨)، من طريق أبي الضّحىٰ قال: حدثني من سمع عائشة.

(٣) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا رقم (٧٧)، وحلية الأولياء ١/ ٣٠٥، وتاريخ دمشق ٣١/ ١٢٧، وعزاه ابن حجر لأبي العباس السراج في «تاريخه» وقال: وسنده جيد. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ١٧٨.

(٤) أخرجه محمد بن نصر المروزيّ في «قيام الليل» كما في «مختصره» ص(١٣١).

(٥) كَرُب: بمعنىٰ دَنَا وقرُب. النهاية في غريب الحديث ٤/ ١٦١.

يَبْكِي، فَيَرْكَعُ بِهَا وَيَسْجُدُ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١][١].

وعن أبي المليح قال: قرأ يوماً ميمون بن مهران رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩] فَرَقّ حتّىٰ بَكَىٰ، ثم قال: «مَا سَمِعَ الخلائقُ بِعَتَبٍ أَشَدَّ منهُ قَطّ». رواه أبونعيم[٢].

والآثار عن السلف في بكائهم عند تلاوة القرآن أوسماعه[٣] أكثر من تحصر، وقد أورد جملة منها أبوبكر بن أبي الدنيا في كتابه «الرقة والبكاء»وعنون لها بقوله: «البكاء عند قراءة القرآن».

٢١- تذكير السّلف بآيات القرآن عند المناسبة:

إنَّ مما يعين علىٰ تدبر القرآن استغلال الأحداث والمناسبات والوقائع وربطها بالآيات القرآنية؛ لما في ذلك من الأثر الكبير في فهم القرآن وتدبره، وقد استخدم السلف هذا الأسلوب التربوي:

عن عبدالله بن عقيل بن شمير الرباحي، عن أبيه، قال: شَرِبَ عبدالله بنُ عُمَرَ مَاءً بَارِداً فَبَكَىٰ فاشتدَّ بُكاؤُه، فقيل: مَا يُبكِيكَ؟ قال: «ذكرتُ آيةً في كتابِ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] فعرفتُ أنّ أهلَ النّارِ

(١) أخرجه عبدالله بن المبارك في الزهد، ح(٩٤)، وأبو داود في الزهد، ح(٣٩٤)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (ص١٤٥)، والطبراني في المعجم الكبير ٢/ ٥٠، والمستغفري في فضائل القرآن رقم (٥٤).

(٢) حلية الأولياء ٤/ ٩٢، والسيوطي في الدر المنثور ١٢/ ٣٦٥.

(٣) والأسباب الحاملة علىٰ البكاء والخشية أحوال كثيرة، أشار إليها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الفوائد ص(١٩٧-١٩٨).

لا يَشْتَهُونَ إلاّ الماءَ البَارِدَ، وقد قالّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠]»(١).

وقد جعل الله تبارك وتعالىٰ في هذه الدار أشياء كثيرة تذكّر بالدار الآخرة، منها الحمّام الذي ذكّر الصالحين بنار جهنّم(٢)، فقد صحّ عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: «نعم البيت الحمام، يذهب الوسخ ويذكّر النار»(٣).

وعن أحمد بن سعيد الهمدأني، قال: «دخل ابن وهب الحمام فسمع قارئًا يقرأ: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤٧] فسقط مغشيًا عليه»(٤).

٢٢- تنويه السّلف ببعض الآيات من القرآن الكريم:

فإنَّ القرآن الكريم وإنْ كان كلّه كلامَ الله غير أنَّه يتفاضل(٥)، فالآيات المشتملة علىٰ توحيد الله والخبر عن أسمائه وصفاته أفضل من غيرها، كما قال أحدُ أهل العلم: كلام الله في الله أفضلُ من كلامه في غيره، فمعاني ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ليست هي معاني ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

وهذا التفاضل بين السُوَر والآيات ليس باعتبار نسبتِه إلىٰ المتكلِّم، فإنَّ المتكلِّمَ به واحدٌ وهو الله سبحانه، ولكن باعتبار مَعانيه التي تكلَّم بها وباعتبار ألفاظه المبيِّنة لمعانيه، والنصوص في تفضيل كلام الله بعضه علىٰ بعض كثيرةٌ.

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد، ح(١٠٥٥)، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ١٤٩ ح(٤٦١٤).

(٢) ينظر: لطائف المعارف لابن رجب ص(٦٨٨) وما بعدها.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ح(١١٧٦)، وينظر: إتحاف الخيرة المهرة (٥٠٤) للبوصيري وقال: إسناد رجاله ثقات.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٣٢٤.

(٥) من شاء الاستزادة في هذه المسألة فليطالع مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ١٧/ ٥٧ فما بعدها.

فقد صحّ عن النبي ﷺ أنَّه فضَّل مِنَ السور سورةَ الفاتحة، ففي صحيح البخاري من حديث أَبِي سَعِيدِ بنِ الْمُعَلَّىٰ، قَال: مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أُصَلِّي، فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّىٰ صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ؟ فَقُلْتُ: كُنْتُ أُصَلِّي فَقَالَ أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ثُمَّ قَال: «**أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ**»، فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَذَكَّرْتُهُ فَقَالَ: «﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»[١].

وفضّل من الآيات آية الكرسي، فعن أُبَيِّ بن كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِىٰ أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**». قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِىٰ أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ**». قَالَ: قُلْتُ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِىٰ صَدْرِىٰ وَقَالَ: «**وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**»[٢].

وعن عامر الشّعبيّ، قال: «جَلَسَ مَسْرُوقٌ، وَشُتَيْرُ بن شَكَلٍ فِي مَسْجِدِ الأَعْظَمِ، فَرَآهُمَا نَاسٌ فَتَحَوَّلُوا إِلَيْهِمَا، فَقَالَ مَسْرُوقٌ لِشُتَيْرٍ: إِنَّمَا تَحَوَّلَ إِلَيْنَا هَؤُلاءِ لِنُحَدِّثَهُمْ، فَإِمَّا أَنْ تُحَدِّثَ وَأُصَدِّقَكَ، وَإِمَّا أَنْ أُحَدِّثَ وَتُصَدِّقَنِي، فقال مسروق حَدِّثْ أُصَدِّقْكَ، قَالَ شُتَيْرٌ حَدَّثَنَا عبدالله بن مَسْعُودٍ: إِنَّ **أَعْظَمَ آيَةٍ** فِي كِتَابِ اللهِ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إِلَىٰ آخِرِ الآيَةِ، فَقَالَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير باب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ ح(٤٦٤٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، ح(٨١٠).

مَسْرُوقٌ: صَدَقْتَ. وأَنَّ **أَجْمَعَ آيَةٍ** فِي كِتَابِ اللهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] إِلَىٰ آخِرِ الآيَةِ»، قَالَ مَسْرُوقٌ: صَدَقْتَ. وأَنَّ **أَكْثَرَ أَوأَكْبَرَ آيَةٍ** فِي كِتَابِ اللهِ فَرَحًا ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] إِلَىٰ آخِرِ الآيَة، فَقَالَ مَسْرُوقٌ: صَدَقْتَ. وأَنَّ **أَشَدَّ آيَةٍ** فِي كِتَابِ اللهِ تَفْوِيضًا ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] إِلَىٰ آخِرِ الآيَةِ، فَقَالَ مَسْرُوقٌ: صَدَقْتَ»[1].

وعن جويرية بن بشير قال: سمعت الحسن قرأ هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ الآية ثم وقف، فقال: «إنَّ الله جمع لكم الخير كلَّه والشَّر كلَّه في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان شيئًا من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئًا إلا جمعه»[2].

عن سعيد بن جبير قال: «مَا أعطِيَ أحدٌ ما أعطيت هذه الأمة: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، ولو أعطيها أحدٌ لأعطيها يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ألم تسمعْ إلىٰ قوله: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]»[3].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣/ ٣٧١، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص(٢٧٥-٢٧٦)، والبخاري في الأدب المفرد، ح(٤٨٩)، والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٣٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٥٨ بتمامه، والطبري في جامع البيان ١٤/ ٣٢٧، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٥٦ مختصرًا، وإسناده صحيح، وصحّحه الحاكم علىٰ شرط الشيخين.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ١٥٨، والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ١٦١ ح(١٤٠).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢/ ٧٠٨، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٦٥، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ١١٧ ح(٩٦٩١) وإسناده صحيح.

المعيار الرابع: نماذج من تدبر السلف الصالح:

نماذج من تدبر الصحابة:

- نزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]، وأبوبكر الصدِّيقُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قاعدٌ، فبكىٰ أبوبكر، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما يُبْكيك يا أبا بكر؟**» قال: أبكاني هذه السورةُ[١].

- ذكر أن ابْن عمرَ شرب مَاء بَارِدا فَبكىٰ فَقيل لَهُ: مَا يبكيك؟ فَقَالَ: ذكرت آيَة فِي كتاب الله ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤] فعرفت أن أهل النَّار لَا يشتهون إِلَّا المَاء الْبَارِد وَقد قَالَ الله ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠][٢].

- وكان أبوبكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ينفق علىٰ مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفْره، فلما قال مسطح ما قال في عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في حادثة الإفك، قال أبوبكر: والله لا أنفق علىٰ مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال في عائشة، ما قال. فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] قال أبوبكر: بلىٰ والله إني أحب أن يغفر الله لي. فرجع إلىٰ النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها أبدًا[٣].

- وعن عبدالله بن شداد بن الهاد يقول: سمعت عمر يقرأ في صلاة الصبح

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣/ ٢٧٠، والبيهقي في الشعب ٩/ ٣١٢ ح(٦٧٠١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣١٦٩ ح(١٧٩٠٩)، والبيهقي في الشعب ٦/ ٣٣٨ (٤٢٩٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٤٦٩.

(٣) سبق تخريجه.

سورة يوسف، فسمعت نشيجه[١]، وإني لفي آخر الصفوف، وهو يقرأ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[يوسف: ٨٦][٢].

❍ وكان عبّاد بن بشر يقوم بحراسة المسلمين بعد أن عسكروا في مكان، وأخلدوا للنوم وهم في طريق عودتهم من غزوة ذات الرقاع، ولما وجد الجو هادئًا بدأ في الصلاة وقراءة القرآن، وفي أثناء ذلك لمحه أحد المشركين فأصابه بسهم فلم يتحرك من مكانه، بل نزعه وأكمل صلاته، ثم رماه بسهم ثانٍ فنزعه وأكمل صلاته، ثم رماه بثالث فنزعه وركع وسجد وسلَّم، وأيقظ صاحبه عمار بن ياسر، فلما رأىٰ ما به من الدماء قال له: لِمَ لا أنبهتني أول ما رمىٰ؟ قال له: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتىٰ أنفذها، فلما تابع عليَّ الرمي ركعتُ فآذنتك، وأيم الله لولا أن أُضيَّع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها[٣]، لقد كان شعوره رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بلذة القراءة، أشد بكثير من شعوره بالألم!!

❍ كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيْرُحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أُنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيْرُحاء، وإنها صدقة لله، أرجو بِرّها وذُخرها عند الله، فضعْها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**بخٍ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلتَ، وإني أرىٰ أن تجعلها في الأقربين**» فقال أبو طلحة:

---

(١) النشيج: تردد البكاء في الصدر من غير انتحاب. المعجم الوجيز (ص٦١٥).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ح (٢٧٠٣) ٢/ ١١١ وذكره ابن الجوزي في مناقب عمر (ص١٥٩).

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٣٧٩ وينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٠٨.

أفعل يا رسول الله، فقسمها أبوطلحة في أقاربه وبني عمه[(١)].

❍ ما روي عن **مسروق** قال: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلة حتىٰ أصبح، أوقَرُب أن يصبح يقرأ بآية من القرآن يركع فيها ويسجد ويبكي ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١][(٢)].

❍ وعن **أبي حمزة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إني سريع القراءة، أقرأ القرآن في مقام، فقال **ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «لأن أقرأ البقرة فأرتِّلها **وأتدبَّرها** أحبّ إليّ من أن أقرأ القرآن كما تقول»، وفي رواية: «لأن أقرأ البقرة في ليلة **أتدبّرها وأفكِّر** فيها أحبّ إليّ من أن أقرأ القرآن كلّه في ليلة»[(٣)].

❍ وقال عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «لقد عشنا دهراً طويلاً، وإن أحدنا يؤتىٰ الإيمان قبل القرآن، فتنزل السورة علىٰ محمد ﷺ، فنتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها، ثم لقد رأيت رجالا يؤتىٰ أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلىٰ خاتمته، لا يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف عنده منه، ينثره نثر الدقل»[(٤)].

❍ وعن **أبي وائل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: جاء رجل إلىٰ **عبدالله** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: إني قرأت المفصل البارحة، فقال **عبدالله**: هذًا كهذِّ الشعر، ونثرا كنثر الدقل، إني **أفصِّل لتفصِّلوه**، ولقد علمت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرأ سورتين في ركعة»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: الزكاة علىٰ الأقارب، ح(١٤٦١).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ح(١٢٣٦) ٢/ ٤١، وأخرجه أبو داود في الزهد، ح(٣٧٩)، ١/ ٤١٧.

(٣) أخرجه المروزي في مختصر قيام الليل ١/ ٢١٥.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٩١ ح(١٠١)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٣/ ١٢٠ ح (٥٠٧٣).

(٥) أخرجه بهذا اللفظ سعيدُ بن منصور في سننه، فضائل القرآن ٢/ ٤٥٩، ح١٥٦، وأخرجه بنحوه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وقد سبق تخريجه.

○ وعن عباد بن حمزة بن عبدالله بن الزبير قال: «دخلت على أسماء وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] قال: فوقفت عليها فجعلت تستعيذ وتدعو، قال عباد: فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي فيها بعد تستعيذ وتدعو»(١).

❁ نماذج من تدبر التابعين ومن بعدهم:

◆ قرأ ميمون بن مهران قول الله تعالى: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩] فبكى طويلاً ثم قال: ما سمع الخلائق بعتب قط أشد منه(٢).

◆ وقال زائدة قال: صليت مع أبي حنيفة في مسجده عشاء الآخرة، وخرج الناس ولم يعلم أني في المسجد، وأردت أن أسأله عن مسألةٍ من حيث لا يراني أحد، قال: فقام فقرأ، وقد افتتح الصلاة حتى بلغ إلى هذه الآية: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، فأقمت في المسجد أنتظر فراغه، فلم يزل يرددها حتى أذن المؤذن لصلاة الفجر(٣).

◆ وقرأ مالك بن دينار: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، فبكى، وقال: «أُقْسِمُ لَكُمْ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ بِهَذَا الْقُرْآنِ إِلَّا صُدِعَ قَلْبُهُ»(٤).

◆ وعن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، قال: سمعت عبدالله بن حنظلة يوماً، وهو على فراشه، وعُدتُه من عِلته، فتلا رجل عنده هذه الآية: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١] فبكى،

---

(١) أخرجه بن أبي شيبة ٢/ ٢٥ رقم (٦٠٣٧) وإسناده حسن، فيه عبدالوهاب بن يحي بن عباد، قال ابن حجر: مقبول، تقريب التهذيب ص(٣٦٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٩٢.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ١٣/ ٣٥٧.

(٤) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٧٨.

حتى ظننت أن نفسه ستخرج، وقال: صاروا بين أطباق النار، ثم قام على رجليه، فقال قائل: يا أبا عبدالرحمن اقعد، قال: منعني القعودَ ذكرُ جهنم، ولا أدري لعلي أحدهم[(١)].

◆ قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت فضيلاً ليلة وهو يقرأ سورة محمد ﷺ ويبكي ويردد هذه الآية: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد: ٣١] وجعل يقول: ونبلوا أخباركم! ويردّد ويقول: وتبلو أخبارنا، إن بلوتَ أخبارنا فضحتنا، وهتكتَ أستارنا، إن بلوتَ أخبارنا أهلكتَنا وعذّبتنا[(٢)].

◆ وعن سعيد بن عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: رأيت **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو يؤمّهم في رمضان، يردِّد هذه الآية: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ﴾ [غافر: ٧١] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، يردِّدها مرتين أو ثلاثًا»[(٣)].

◆ ورُوي عن **محمد بن كعب القرظي** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ يقول: «لأن أقرأ ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ﴾ و﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ ليلة أرددهما وأتفكر فيهما، أحبّ إليَّ من أن أبيت أهذُّ القرآن»[(٤)].

◆ وسئل **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رجلين قرأ أحدهما البقرة، وقرأ الآخر البقرة وآل عمران، فكان ركوعهما وسجودهما وجلوسهما سواء، أيهما أفضل؟ قال: «الذي قرأ البقرة»، ثم قرأ مجاهد: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٠٦][(٥)].

---

(١) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار لابن رجب الحنبلي ص(٣١-٣٢).
(٢) ينظر: التوابين لابن قدامة ص(١٢٧).
(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ح(٤١٩٦)، ٢/ ٤٩٢.
(٤) سبق تخريجه والحكم عليه.
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ح(١٢)، ٢/ ٤٠٣.

◆ وقال **الحسن**: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار»(١).

◆ وقال **النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في الإرشاد إلىٰ **تدبّر القرآن**، عمّا كان عليه من **أحوال السّلف**: «وقد كانت **للسّلف** عادات مختلفة فيما يقرءون كل يوم، بحسب أحوالهم وأفهامهم ووظائفهم، فكان بعضهم يختم القرآن في كل شهر، وبعضهم في عشرين يوما، وبعضهم في عشرة أيام، وبعضهم أوأكثرهم في سبعة، وكثير منهم في ثلاثة... **والمختار** أنه يستكثر منه ما يمكنه الدوام عليه، ولا يعتاد إلا ما يغلب علىٰ ظنه الدوام عليه، في حال نشاطه وغيره، هذا إذا لم تكن له وظائف عامة أوخاصة، يتعطل بإكثار القرآن عنها، فإن كانت له وظيفة عامة كولاية وتعليم ونحوذلك، فليوظّف لنفسه قراءة يمكنه المحافظة عليها، مع نشاطه وغيره، من غير إخلال بشيء من كمال تلك الوظيفة، وعلىٰ هذا يُحمل ما جاء عن السلف»(٢).

هذه الآثار وغيرها الكثير تبيّن لنا أن سلفنا «ذاقوا حلاوة الإيمان من خلال القرآن، وأدركوا قيمته وقدرته الفذّة علىٰ التغيير وبثّ الروح، فأقبلوا عليه، وانشغلوا به، وأعطَوه الكثير من أوقاتهم، وانجذبت مشاعرهم نحوه عند لقائهم به لدرجة الاستغراق والهيمنة»(٣).

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ٢٧٥.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي، ٤/ ١٧٠.

(٣) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د. مجدي الهلالي ص(٨١).



ويتضمن ثمانية معايير



۞ المعيار الأول: تهيئة القلب قبل البدء في التلاوة والتَّدَبُّر:

وإعداد القلب وتهيئته قبل التَّدَبُّر مهم جداً، ويكون بِعدّة أمور:

١ - وجود الدافع الذاتي نحو التَّدَبُّر مع الإخلاص، وهذا الأمر من الأهمية بمكان؛ إذ لابد من الدوافع الداخلية الذاتية التي تدفع القارئ نحو التَّدَبُّر وتحثّه عليه، ولن يكون ذلك إلا بإدراكه قيمة التَّدَبُّر وأهميته وعظيم فوائده في الدنيا والآخرة، وأن الكتاب لم ينزل إلا لذلك، وأن القلب حي بالقرآن عند تدبره، ميت بدونه، بالإضافة إلىٰ أن هذه الدوافع مع الإخلاص في الطلب، تيسر علىٰ صاحبها المشقات والعقبات التي قد تعترضه في طريقه، وتصبّره بإذن الله تعالىٰ في طريق المواصلة.

وفي ذلك يقول ابن تيمية: "من تدبر القرآن طالباً الهدىٰ فيه تبين له طريق الحق"[١].

الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، واستحضار طلب عون الله تعالىٰ من كيد الشيطان، الذي يسعىٰ جاهداً للصدِّ عن تلاوة كلام الله وتدبّره، والإحالة بين القارئ وبين الانتفاع بالقرآن، امتثالاً لقوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]، أي أردت أن تقرأ، مع تهيؤه واستعداده بالطهارة والوضوء، فإن الشيطان من النار، وإنما يطفئ الماء النار.

استحضار عظمة الله تعالىٰ، وعظمة كلامه سبحانه، وذلك باستشعار عظمته وقدرته وهيمنته، وعلّوه وكبريائه، وأسمائه وصفاته، قبل التلاوة؛ ليدرك القلب عظمة الله تعالىٰ، فإذا امتلأ القلب مهابة وتعظيماً لربه سبحانه عظّم كلامه، وأقبل عليه مُصغِياً متأمّلاً متدبِّراً.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٣/ ١٣٧.

يقول الحارث المحاسبي: "فإذا عظُم في صدرك تعظيم المتكلِّم به [أي: القرآن] لم يكن عندك شيء أرفع ولا أشرف ولا أنفع ولا ألذّ ولا أحلىٰ من استماع كلام الله جل وعز، وفهْم معاني قوله تعظيماً وحباً له وإجلالاً، إذ كان تعالىٰ قائله، فحبّ القول علىٰ قدر حبّ قائله..."[١].

ومن ذلك استشعار عظمة الله، وأنه يكلمك بهذا القرآن، حتىٰ كأنك تسمعه منه الآن.

وبهذا يتأكد دور تهيئة الأجواء الإيمانية قبل البدء في التلاوة، فهي من أقوىٰ المعينات علىٰ التَّدَبُّر بعد الله عَزَّوَجَلَّ أما الذي لا يعطي القرآن إلا فضول الأوقات، ولحظات الترقُّب والانتظار، فجدير ألا تخلص إلىٰ قلبه كثير من معانيه، نسأل الله معافاته ومغفرته.

دعاؤه عَزَّوَجَلَّ بالتوفيق إلىٰ التَّدَبُّر مع الإلحاح، حيث إن كثيراً من الناس لا يدعون ربهم بمثل هذا الأمر، إما لعدم التفاته إليه، أولعدم اهتمامه به أصلاً، وإن دعا فإنه لا يلحّ، لأن "بعض الناس لا يعرف الإلحاح إلا في مطالبه الدنيوية المادية، أما الأمور الدينية فتجد سؤاله لها بارداً باهتاً"[٢].

محبة القرآن، والانشغال به، فمن المعلوم أن من أحب شيئاً تعلّق به، واشتغل به عما سواه، والقلب إذا أحب القرآن تلذذ بقراءته، لكن لابد لهذا الحب **من علامات، أهمها:** الفرح بلقاء القرآن، والجلوس معه أوقاتاً طويلة دون ملل، والشوق إليه مهما طال العهد، وحالت الموانع، وكثرة مشاورته في

(١) يراجع: فهم القرآن ومعانيه للحارث المحاسبي ص٣٠٢، وتدبر القرآن مفهومه وأساليبه د. فهد الوهبي ص١٩.
(٢) مفاتح تدبر القرآن د. خالد عبدالكريم اللاحم ص٣١بتصرف.

كل الأمور مع الثقة التامّة بتوجيهاته، وطاعته أمراً ونهياً"[(١)].

الوقوف علىٰ شيء من أحوال النبي ﷺ والسلف في تعاملهم مع القرآن، وهي كثيرة مشهورة موفورة[(٢)]، ولابدّ للمتدبر من الوقوف علىٰ جملة من ذلك؛ ليقف علىٰ المنهج الأصيل لقراءة القرآن وتدبره، ويعرف حال من نزل عليه القرآن، وحال المعاصرين له، فإن ذلك أدعىٰ للامتثال، وأحرىٰ بالاقتداء.

اليقين التام أن المسلم حيّ بتدبّر القرآن، ميت بدونه[(٣)]، وهذا من الدوافع الأكيدة نحو التَّدبُّر لمن يريد لقلبه أن يحيىٰ حياة حقيقية بالقرآن، وإلا كان في المعيشة الضنك التي حذّر الله منها في قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤] نعوذ بالله من ذلك. فكل قارئ للقرآن لا بد له من هذا اليقين قبل قراءة سوره وآياته؛ لأن القرآن هو الروح وبدونه أنت ميت، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، والقرآن هو النور، وبدونه أعمىٰ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٧٤]، ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الرعد: ١٩]، القرآن هو الهدىٰ وبدونه أنت ضالّ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ [يونس: ١٠٨].

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧ بتصرف.

(٢) يراجع تمثيلًا لا حصراً: مختصر قيام الليل، وكتاب الوتر لأبي عبدالله محمد بن نصر المَرْوَزِيّ ص١٤٢، وسبق ذكر شيء منها.

(٣) اقتباساً من: فن التَّدَبُّر في القرآن الكريم د. عصام العويد ص٢٣.

ومن هنا كان وصف القرآن المعرضين عنه في غاية الشدة من الذم، قال تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [المدثر: ٥٠]. فهنا يصفهم القرآن بأنهم «حُمُر»، وهي جمع حمار، ثم بقوله: «مستنفرة» أي: شديدة النفار، هاربة ذعراً وخوفًا، والقسورة: الأسد، فحالهم حال الحمر الهاربة الخائفة المذعورة.

كما أننا لا بد أن نقف علىٰ الأوصاف التي وصف الله بها كتابه، فقد وصفه بالحق والهدىٰ، والبرهان، الموعظة، الشفاء، النور، التذكرة، الرحمة، الصدق، العلي، العزيز، المبين المفصل، المحكم، العجب، البشير، النذير، البيان، التبيان.

معرفة أن خطاب القرآن في الأصل موجه إلىٰ القلب[1]، حيث إن استشعار القلب لذلك يُصلِح أمره، ويقوّم اعوجاجه، بخلاف ما لو قرأ القارئ واعتبر أن ما يقرؤه إنما هو لأقوام آخرين سابقين أو لاحقين، أما هو فيحسن الظن بنفسه، ويدّعي أنه علىٰ خير.. وهذا مدخل عظيم للشيطان علىٰ بني الإنسان.

ومما يدل علىٰ مخاطبة القلب بالقرآن قوله تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، حيث لم يقل هنا: علىٰ سمعك أو بصرك أو...بل علىٰ قلبك "للدلالة علىٰ المقصود، وأن القلب سيد الجوارح وبصلاحه صلاحها، وبفساده فسادها، نعوذ بالله من الخذلان.

فالمقصود الأعظم من القرآن هو تدبر القلب له، قال السيوطي: «وتسن القراءة بالتَّدَبُّر والفهم فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب»[2].

---

(١) المصدر السابق ص٣٠.

(٢) الإتقان للسيوطي ٢/ ٢٣٩.

وقد أبان المولىٰ عن الحكمة من تنزيل هذا الكتاب فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، واللام في قوله ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ هي لام العلة، أي: لن يكون مباركًا مباركة تامة إلا بالتَّدَبُّر. ويقول تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] أي: التَّدَبُّر أو الأقفال علىٰ القلب!

ولذا ذم النبي ﷺ من قرأ بعض الآيات ولم يتفكر فيها بقلبه. إذ قال: «**ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها**»[١]، «قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكون هم أحدكم آخر السورة»[٢].

٢- الابتعاد عن مجالس اللغو: وهو أدعىٰ لتَّدَبُّر القرآن، ولهذا لما أدرك المشركون خطورة القرآن وأثره علىٰ الناس، قالوا كما أخبر عنهم العليم الخبير: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، قال ابن كثير: «قال مجاهد: ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ يعني: بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق علىٰ رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن قريش تفعله، وقال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ عيبوه، وقال قتادة: «اجحدوا به، وأنكِروه وعادوه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾، هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار، ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن[٣].

وقال السعدي: «أي: أعرِضوا عنه بأسماعكم، وإياكم أن تلتفتوا، أوتصغوا إليه ولا إلىٰ من جاء به، فإن اتفق أنكم سمعتموه، أوسمعتم الدعوة إلىٰ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) هذا من كلام ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذكره صاحب أخلاق حملة القرآن ١/ ٤ ح(٢)، وإسناده صحيح. وآخره عند البيهقي في الشعب ٣/ ٤٠٧ (١٨٨٤) مختصراً.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٧/ ١٧٤.

أحكامه، فـ ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ أي: تكلموا بالكلام الذي لا فائدة فيه، بل فيه المضرة، ولا تمكنوا مع قدرتكم أحدًا يملك عليكم الكلام به، وتلاوة ألفاظه ومعانيه، هذا لسان حالهم، ولسان مقالهم، في الإعراض عن هذا القرآن ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿تَغْلِبُونَ﴾»[(١)].

٣- تخفّف المتدبّر من الماديات قدر المستطاع، ونقصد بذلك: أن يتخفَّف المؤمن عمومـًا والمتدبّر خصوصـًا من مُتع الحياة وزخرفها، وشهواتها ورفاهياتها، ويتخفّف من المآكل والمشارب، ويُقبِل علىٰ القرآن بمعدة خالية أوشبه فارغة، ولا يَتعجبَنّ القارئ الكريم من هذا الأمر فهوجِدّ خطير، وأثره في إعاقة التَّدَبُّر كبير؛ وذلك لأن القرآن كلامُ لطيفٍ خبير، فبِقدْر تخفُّف القارئ من مادِّيّاته وشهواته، يكن إقبال الله تعالىٰ بفتوحاته وفيوضاته، والإنعام عليه بخزائن كتابه وأسراره.

ولا أدلّ علىٰ ذلك مما قاله لقمان لابنه: «يا بنىٰ إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرَست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة، وقال سحنون: لا يصلح العلم لمن يأكل حتىٰ يشبع»[(٢)].

٤- التواضع واللين لتدبر القرآن وفهم معانيه وأخذها ودراستها:

ويؤخذ هذا المعنىٰ عندما ذكر الله اليهود والنصارىٰ بقوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٧٤٨).

(٢) يراجع: الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ للقاضي عياض اليحصبي ص(٨٦)، ومبادئ تدبر القرآن للندوي ص(١٤٤).

﴿يَسۡتَكۡبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٢-٨٣].

فقد وصف النصارىٰ بأن منهم قسيسين ورهبانـًا، وأنهم لا يستكبرون عن قبول الحق، وإذا سمعوا القرآن فاضت أعينهم بالدمع، قال ابن كثير: «تضمن وصفهم بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع، ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والإنصاف»(١).

وقال السعدي: «ليس فيهم تكبّر ولا عتو عن الانقياد للحق؛ وذلك موجب لقُربهم من المسلمين ومن محبتهم، فإن المتواضع أقرب إلىٰ الخير من المستكبر»(٢).

فالتواضع والإقرار بالحق عند ظهوره من الأشياء المعينة علىٰ تدبر القرآن، ولذلك ينبغي للمؤمن أن يكون متواضعـًا، يرجع إلىٰ الحق إذا ظهر له، وإذا ذكر بالقرآن تذكر، وقد أمر الله نبيه ﷺ بقوله: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]؛ لأن بعض الناس تأخذه العزة بالإثم إذا ذُكِّرَ بالقرآن، فيحول بينه وبين فهمه، قال تعالىٰ: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وهذا مشاهد بأن المتكبر يحرم من بركة القرآن الكريم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٦٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٢٤١).

المعيار الثاني: تفعيل وسائل التَّدَبُّر الإدراكية في النفس:

١- إعمال السمع حين الإنصات للقرآن:

وقد ذكر السمع مُقدّماً علىٰ الحواس كلها في أغلب المواضع في القرآن لأهميته.

قال ابن عاشور: «وفي تقديم السمع علىٰ البصر في مواقعه من القرآن دليل علىٰ أنه أفضل فائدة لصاحبه من البصر؛ فإن التقديم مؤذن بأهمية المُقدّم؛ وذلك لأن السمع آلة لتلقي المعارف التي بها كمال العقل، وهووسيلة بلوغ دعوة الأنبياء إلىٰ أفهام الأمم علىٰ وجه أكمل من بلوغها بواسطة البصر لوفقد السمع، ولأن السمع ترد إليه الأصوات المسموعة من الجهات الست بدون توجه، بخلاف البصر فإنه يحتاج إلىٰ التوجه بالالتفات إلىٰ الجهات غير المقابلة»(١).

ولأجل ذلك حثَّ الله تعالىٰ علىٰ إعمال السمع فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، قال الطبري: «أصغوا له سمعكم؛ لتتفهموا آياته، وتعتبروا بمواعظه، وأنصتوا إليه لتعقلوه وتتدبروه، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه»(٢).

ولقد أثنىٰ الله علىٰ الجن عند استماعهم للقرآن، وتأدبهم في مجلس الاستماع، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ٢٥٨.

(٢) جامع البيان ١٣/ ٣٤٤-٣٤٥.

﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] فقد استمعوا صامتين منتبهين حتىٰ النهاية، فلما انتهت التلاوة لم يلبثوا أن سارعوا إلىٰ قومهم، وقد حملت نفوسهم ومشاعرهم منه ما لا تطيق السكوت عليه أو التلكؤ في إبلاغه والإنذار به.

قال الآجري: «وقد أخبرنا الله عن الجن في حُسن استماعهم للقرآن واستجابتهم لما ندبهم إليه، ثم رجعوا إلىٰ قومهم، فوعظوهم بما سمعوا من القرآن، بأحسن ما يكون من الموعظة»(١).

ولقد أحب النبي ﷺ أن يستمع للقرآن من غيره، فعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ علي**»، قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟، قال: «**فإني أحب أن أسمعه من غيري**»، فقرأت عليه سورة النساء حتىٰ بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال: «**أمسك**»، فإذا عيناه تذرفان(٢).

فتأثر النبي ﷺ بذلك، وما يكون عليه الحال يوم القيامة من هول المطلع، وشدة الأمر؛ إذ يؤتىٰ بالأنبياء شهداء علىٰ أممهم، ويؤتىٰ به ﷺ يوم القيامة شهيداً عليهم جميعاً.

ولقد تأثر بعض الصحابة عند سماعهم للقرآن فأسلموا، فعن جبير بن مطعم عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان في أساري بدر، قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٤- ٣٦] كاد قلبي أن يطير»(٣).

(١) أخلاق حملة القرآن ١/ ٢.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، سورة الطور، ح(٤٨٥٤).

قال الخطابي: «كأنه انزعج عند سماع هذه الآية؛ لفهمه معناها ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه»[١].

وقد صنف ابن القيم الناس عند سماع القرآن إلىٰ ثلاثة أنواع، فقال: «رجلٌ قلبُه ميتٌ، فذلك الذي لا قلبَ له، فهذا ليست الآية ذكرىٰ في حقه.

الثاني: رجلٌ له قلب حيٌّ مستعدٌّ، لكنه غير مستمعٍ للآيات المتلُوةِ، التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة، إما لعدم وُرُودها، أولوصولها إليه وقلبه مشغول عنها بغيرها، فهوغائب القلب ليس حاضرًا، فهذا أيضًا لا تحصُلُ له الذكرىٰ، مع استعداده ووجود قلبه.

والثالث: رجلٌ حيُّ القلب مستعدٌّ، تُليت عليه الآيات، فأصغىٰ بسمعه، وألقىٰ السمع، وأحضر قلبه، ولم يشغلْه بغير فهم ما يسمعُهُ، فهوشاهدُ القلب، مُلقي السَّمع، فهذا القِسمُ هوالذي ينتفع بالآيات المتلوَّة والمشهودة.

فالأول: بمنزلة الأعمىٰ الذي لا يُبصر.

والثاني: بمنزلة البصير الطَّامح ببصره إلىٰ غير جهة المنظور إليه، فكلاهما لا يراه.

والثالث: بمنزلة البصير الذي قد حدَّق إلىٰ جهة المنظور، وأتبعه بصره، وقابله علىٰ توسُّطٍ من البُعد والقربِ، فهذا هوالذي يراه»[٢].

٢- إعمال البصر في تدبر القرآن:

كلمة بصر تطلق علىٰ الجارحة الناظرة[٣]، كما في قوله تعالىٰ: ﴿كَلَمۡحِ

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٨/ ٦٠٣.

(٢) مدارج السالكين ٩/ ٣٥٣-٣٥٤.

(٣) تاج العروس ١٤/ ٢٤٥.

بِٱلْبَصَرِ ﴾ [القمر: ٥٠]، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، أما قوة القلب المدركة فيقال لها بصيرة[١]، نحو قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق: ٢٢]، فالبصيرة تختلف عن البصر، فهي قوة القلب المدركة وجمعها بصائر، أما البصر فجمعه أبصار[٢].

وكلمة نظر؛ إذا أُطلقت يراد بها: تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يُراد بها: التأمل والتفحص لإدراك الشيء[٣]، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف: ١٨٥]، والنظر يشمل: النظر في آيات الله المشهودة، والنظر في آياته المسطورة، والنظر في سننه في الأمم السابقة.

أما رأىٰ ومشتقاتها فتعني النظر بالعين والقلب وإدراك المرئي، والهدف من ذلك التَّدَبُّر والاعتبار، ولقد وضع القرآن الكريم أسساً وأطواراً مختلفة للإدراك البصري الصحيح، يبدأ بنظرة كلية إجمالية ثم بنظرة تحليلية للموقف، وإدراك العناصر المكوِّنة له، وقد تضمّنت آيات سورة الملك تلك الأسس العملية في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣][٤].

قال ابن القيم: «لا ينتفع الناظر بمجرد رؤية العين حتىٰ ينتقل منه إلىٰ نظر القلب في حكمة ذلك، وبديع صنعه والاستدلال به علىٰ خالقه وباريه،

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تدبر القرآن بين النظرية والتطبيق د. رقية العلواني ص(٤٦).

وذلك هو الفكر بعينه»(١).

٣- اقتران القلب بحاستي السمع والبصر:

قال ابن القيم: «ارتباط القلب بحاستي السمع والبصر أشد من ارتباطه بغيرهما، ووصول الغذاء منهما إليه أكمل وأقوىٰ من سائر الحواس، وانفعاله عنهما أشد من انفعاله عن غيرهما، ولهذا تجد في القرآن اقترانه بهما أكثر من اقترانه بغيرهما، بل لا يكاد يقرن إلا بهما أو بأحدهما»(٢)، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

وسر الاقتران: أن هذه الثلاثة: هي طرق العلم وهي: السمع، والبصر، والعقل.

قال الشيخ السعدي: «خص هذه الأعضاء الثلاثة، لشرفها وفضلها، ولأنها مفتاح لكل علم، فلا يصل للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة، وإلا فسائر الأعضاء والقوىٰ الظاهرة والباطنة هو الذي أعطاهم إياها، وجعل ينميها فيهم شيئًا فشيئًا إلىٰ أن يصل كل أحد إلىٰ الحالة اللائقة به؛ وذلك لأجل أن يشكروا الله، باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه وقابل النعمة بأقبح المقابلة»(٣).

والقلب هو المخاطب في الحقيقة؛ لأنه موضع التمييز والاختيار، وأما

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٢١٣.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ١٣٢.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٤٤٥).

سائر الأعضاء فمُسَخَّرَة له[١]، فإن صلح صلحت الأعضاء، وإن فسد فسدت.

فعن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «...**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»[٢]، قال ابن تيمية: «والقلب هو الملك والأعضاء جنوده، وإذا صلح صلَحَ سائرُ الجسدِ، وإذا فسدَ فسد سائرُ الجسد، فيبقىٰ يَسمعُ بِالأُذُنِ الصَّوتَ كما تَسمعُ البهائمُ»[٣].

ومن المعلوم أن القلب إذا أحب شيئًا تعلق به، واشتاق إليه، وشغف به، وانقطع عما سواه.

٤- أن ينظر فيما يحتمله الأسلوب من معانٍ جديدةٍ تُفْهم من كلام الله:

وذلك ضمن الأصول المعتبرة والضوابط المستنبطة من أقوال السلف الصالح وتعاملهم مع القرآن في الفهم والعلم والعمل، ولذا صرح الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بأن تجدد المعاني في الآيات القرآنية يقصد به هذا المعنىٰ، فقال: «وإن كتاب الله لا تزال تظهر غرائبه وعجائبه متجددة علىٰ مر الليالي والأيام، ففي كل حين تفهم منه أشياء لم تكن مفهومة من قبل، ويدل لذلك حديث أبي جحيفة الثابت في الصحيح أنه لما سأل عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هل خصَّهم رسول الله ﷺ بشيء؟ قال له علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في كتاب الله، وما في هذه الصحيفة)[٤]

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٤/ ١٤٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه ح(٥٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب: المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات ح(١٥٩٩).

(٣) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٢٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: فك الأسير ح(٣٠٤٧).

الحديث. فقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في كتاب الله)، يدل على أن فهم كتاب الله **تتجدد به العلوم والمعارف التي لم تكن عند عامة الناس**»[١].

وقال الشعراوي: «معنى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾؛ فكل كتاب له زمن محدود وعصر محدود وأمة محدودة، أما القرآن فيعالج من يوم أن أنزله الله إلى أن تقوم الساعة قضايا متجددة ويضع لها حلولاً، ويعالج كل المسائل التي تطمح لها البشرية في حضاراتها وارتقاءاتها في العقول معالجةً تجعل له السبق دائمًا، ولا يكون ذلك إلا إذا كانت فيه البركة»[٢].

٥- السعي إلى تطبيقه في واقع الناس، وإحياء ما اندرس من العمل به:

والدليل على ذلك ما رواه أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: «**هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء**» قال: فقال زياد بن لبيد الأنصاري: يا رسول الله: وكيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن، فوالله لنقرأنّه ولنُقرِئَنّه نساءنا وأبناءنا، فقال: «**ثكلتك أمك يا زياد، إني كنت لأعدُّك من فقهاء أهل المدينة، هذا التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا يغني عنهم؟**»[٣]، فتأمل كيف أن قراءة القرآن وحفظه لا تغني دون تفهّم معانيه وتطبيقها في الحياة.

قال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سيبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب، فيتهافت، يقرءونه لا يجدون له شهوة ولا لذة، يلبسون جلود الضأن

---

(١) أضواء البيان ٢/ ٢٥٩.

(٢) تفسير الشعراوي ٧/ ٤٠٠٨.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب: العلم، باب: ماجاء في ذهاب العلم، ح(٢٦٥٣)، وقال: حسن غريب، وصححه الألباني، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٧٩، وقال إسناده صحيح، وتابعه الذهبي.

علىٰ قلوب الذئاب، أعمالهم طمع لا يخالطه خوف، إن قصروا، قالوا: سنبلغ، وإن أساءوا، قالوا: سيغفر لنا، إنا لا نشرك بالله شيئا»(١)، فيبلىٰ لأنها قراءة عابرة دون استخراج كنوز المعاني ومهمات المعارف من هذا الكتاب العزيز.

ويبيّن ابن القيم بُعد الناس عن هذا المعنىٰ، وأنه أحد أسباب عدم فهم القرآن فيقول: «ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته، وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن»(٢).

٦- الجهاد به في إماتة البدع وإحياء السنن:

إنَّ تجديد الدين الوارد في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة علىٰ رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»(٣) وتجديده يكون بإحياء ما في الكتاب والسنة وتطبيقه في واقع الناس وحياتهم(٤)، يقول المناوي: «يجدد لها دينها: أي يُبَيِّنُ السنة من البدعةِ، ويُكَثِّر العلم، ويَنصرَ أهله ويكسرَ أهل البدعة ويذلهم»(٥).

وقال غيره: «إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات»(٦)، ودور المجدد لا

---

(١) أخرجه الدارمي في السنن، باب: في تعاهد القرآن ٤/ ٢١٠٧، قال المحقق: حسين سليم أسد: إسناده صحيح إلىٰ معاذ، وهو موقوف عليه.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٥١.

(٣) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الملاحم، باب ما يذكر من قرن المائة، ح(٤٢٩١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/ ١٤٨ رقم (٥٩٩).

(٤) ينظر: عون المعبود للعظيم آبادي ١١/ ٢٦٠.

(٥) فيض القدير ٢/ ٢٨١.

(٦) عون المعبود للعظيم آبادي ١١/ ٣٩١.

يخرج عن أنه يُحيِّي «ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن، وخفي من العلوم الدينية الظاهرة والباطنة»[١]، وتجديد الدين يستلزم بالضرورة: «إظهار هدايته، وبيان حقيقته وأحقيته، ونفي ما يعرض لأهله من البدع والغلو فيه، أو التفريط في إقامته، ومراعاة مصالح الخلق، وسنن الاجتماع والعمران في شريعته»[٢].

ولا شك أن تلك المعاني واضحة الأثر في الارتقاء بالأمم إذا تمت علىٰ منهج صحيح وفهم سليم، وهذا التجدد الذي يسهم في رقي الأمم من بركات هذا القرآن التي لا تظهر إلا بتدبره.

ولك أن تتأمل وصف القرآن بالبركة وارتباطه بالتَّدَبُّر في قوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[ص: ٢٩]، وإن تدبرَ هذا الكتاب يظهرُ خيره ونفعه وبركته للأفراد والأمم، وتجدد معاني القرآن لا يمكن أن يفهم بعيدا عن منهج النبوة، حتىٰ يتّسق هذا المصطلح ألا وهو «التجديد» أو «تجدد المعاني» مع مقاصد القرآن التي تحيي الأمم والشعوب وتهديها للتي هي أقوم كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وبهذا يظهر تكاثر المعاني ويُبْنَىٰ بعضها علىٰ بعض، وتستثمر المعاني السابقة واللاحقة في بيان عظمة القرآن ويُعمل به، ويُستغني به كما استغنىٰ به أسلافنا فسادوا وأدّوا ما عليهم، فنحتاج إلىٰ استثارة معانيه واستفتاح كنوزه ولآلئه حتىٰ نكون أعظم أمة، أما حين يضيق فهمنا عن تدبر كلام الله واستخراج عظيم معانيه فهذا القعود عن تحصيل الثراء نكوص وهجرٌ للقرآن.

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي١/ ١٤.

(٢) مجلة المنار ٣٠/ ١١٥، وانظر: التجديد في عرض السيرة النبوية د. محمد يسري إبراهيم ص(١٤).

المعيار الثالث: وسائل التَّدَبُّر الإجرائية:

أولاً: خطوات التَّدَبُّر:

(أ) الوقوف مع الآيات: بإحضار القلب، وإلقاء السمع، وإمعان النظر، وإعمال العقل.

(ب) التأمل فيما وراء النص: بإدراك مغزىٰ الآيات، تفهم المعنىٰ، واستخراج الدلالات والهدايات، فالمؤمن لا يمر علىٰ الآيات مروراً عابراً، بل يقف ويتأمل ويعتبر، فيقلّب النظر ويمعن الفكر، قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وقال: ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

ومن أجمل ما قيل في هذا المعنىٰ كلام ابن الجوزي: «أن الله تعالىٰ قد صنف هذه المخلوقات فأحسن التركيب وأحكم الترتيب، ثم عرضها علىٰ الألباب، فأي لُبٍّ أوغل في النظر مُدح علىٰ قدر فهمه فأحبه المصنف، وكذلك أنزل الله القرآن يحتوي علىٰ عجائب الحكم؛ فمن فتّشه بيد الفهم وحادثه في خلوة الفكر، استجلب رضا المتكلم به، وحظي بالزلفىٰ لديه»[(١)].

(ج) التفاعل مع الآيات: ويكون ذلك من خلال الآتي:

القلب: ويكون بالإيمان والتعظيم للقرآن وللمتكلم به وهو الله تعالىٰ، واستحضار مقاصد القرآن العامة، والشعور بأن القارئ هو المخاطب بهذه الآيات.

اللسان: ويكون بتلاوتها بترتيل وترسل وعلىٰ مكث، وتحزن وتباكي،

---

(١) ينظر: صيد الخاطر لابن الجوزي ص(٩١).

وترديد للآية، والتفاعل معها بالسؤال والتعوذ والاستغفار عند المرور بما يناسب ذلك.

- **الجوارح:** ويكون بالقشعريرة، ودمع العين، والسجود عند آيات السجدة ونحوها.

(د) قصد الانتفاع والامتثال: فالمتدبر يستجيب بعد الفكر والنظر والتأمل؛ فيطيع الله ويغض البصر حياءً، ولسانه يلهج بالشكر، لأنه رُزق الهداية ووُفّق إلىٰ مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ يقول الإمام القرطبي: «فإن من أوتي علم القرآن فلم ينتفع، وزجرته نواهيه فلم يرتدع، وارتكب من الإثم قبيحًا، ومن الجرائم قصداً، كان القرآن حجة عليه، وخصمًا لديه»(١)، وجاء في الصحيح: «**القرآن حجة لك أو عليك**»(٢). ويظهر قصد الانتفاع والامتثال من خلال الآتي:

- قصد الانتفاع علمًا وإيمانًا وخشيةً.
- قصد الامتثال عملاً وسلوكًا(٣).

(هـ) استخراج الحِكم واستنباط الأحكام: فإنَّ حِكم القرآن وأحكامه درجة من درجات التَّدَبُّر التي لا يبلغها إلا العالمون، فهي بذلك مرتبة العلماء ومنزلة الفقهاء، يقول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالواجب علىٰ العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فقد ذم الله تعالىٰ أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ١/ ٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء، ح(٢٢٣).

(٣) مفهوم التَّدَبُّر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم، محمد عبدالله الربيعة، الملتقىٰ العلمي الأول لتَدَبُّر القرآن الكريم، ١٤٢٩هـ

فعلينا نحن المسلمين أن نحذر ما ذمهم الله به، وأن نأتمر بما أمرنا الله به من تعلم الكتاب المنزل إلينا وتعليمه وتفهمه وتفهيمه»[١].

۞ ثانياً: إجراءات التَّدَبُّر الفرديّة:

وهي وسائل تعين القارئ والمستمع علىٰ التَّدَبُّر أثناء القراءة، ومنها:

١- فراغ القلب من الشواغل الحائلة دون التَّدَبُّر.

إذا كان الإنسان يحتاج لتفرغ القلب من الشواغل في مقام القضاء ومقام تأمل نصوص العلماء، فإنه في كتاب الله أوضح وأجلىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

«ففي هذه الآية بيان لأهمية مخاطبة القلوب؛ كي تؤوب إلىٰ خالقها. فعلىٰ الدعاة ألا يغفلوا هذا الجانب؛ حتىٰ لا تقسو القلوب، وتطغىٰ الجوانب المادية»[٢].

يدل علىٰ ذلك استخدام ﴿أَوْ﴾ «لأن إلقاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلُوح به قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: حاضر بفطنته لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب»[٣]، فلا ينتفع بالمواعظ إلا من كان ذا قلبٍ حي، وألقىٰ سمعه، وأحضر حواسه حال ورود المواعظ عليه.

«والناس ثلاثة: رجل قلبه ميت فذاك لا ينتفع بالقرآن. ورجل قلبه حي مستعد، لكنه غير مستمعٍ للآيات إما لعدم ورودها، أولعدم فراغ قلبه عند السماع، فهذا أيضًا لا ينتفع، ورجل حي القلب مستعد، تُليت عليه

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢.
(٢) ينظر: التفسير الموضوعي (٤٢٦).
(٣) إرشاد العقل السليم -أبو السعود ٨/ ١٣٤.

الآيات، فألقىٰ السمع وأحضر القلب، فهذا هو الذي ينتفع بالآيات المتلوّة والمشاهدة»[(١)].

٢- ترتيل القرآن وحضور القلب عند تلاوته:

يستجب ترتيل القرآن لما فيه من تعظيم له، والترتيل معناه: التنسيق والتنضيد، ويعني إرسال الكلمة من الفهم بسهولة واستقامة بحيث تكون علىٰ نسق واحد بما يعين علىٰ فهم المعنىٰ[(٢)].

وقد حثّ الله علىٰ ترتيله فقال تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[المزمل: ٤]، قال ابن كثير: «أي: اقرأه علىٰ تمهل، فإنه يكون عونًا علىٰ فهم القرآن وتدبره»[(٣)].

فمن الوسائل المهمّة في التَّدَبُّر أن يكون القارئ مترسِّلاً، يقرأ بتؤدة وطمأنينة، لا يجعل همّه آخر السورة، ولا هدفه الكَمَّ والعدد، ومتىٰ سيختم؟ ليبدأ رحلة جديدة، بختمة سريعة أيضًا.

والتعجُّل في التلاوة مخالف للمنهج القويم، بل ويفوّت علىٰ القارئ المقصود الأعظم من تلاوته، وقال تعالىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

قال الجصاص: «فرقناه بالبيان عن الحق من الباطل، وقوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾، يعني علىٰ تثبت وتوقف ليفهموه بالتأمل ويعلموا ما فيه بالتفكر، ويتفقهوا باستخراج ما تضمن من الحكم والعلوم الشريفة»[(٤)].

وقال الشوكاني: «أي: علىٰ ترسل وتمهل في التلاوة، فإن ذلك أقرب إلىٰ

---

(١) ينظر بدائع التفسير ٣/ ١٧-١٨.
(٢) تاج العروس ٢٩/ ٣٢، بتصرف.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ٨/ ٢٥٠.
(٤) أحكام القرآن، ٥/ ٣٥.

الفهم وأسهل للحفظ»(١).

والتمهل في قراءة القرآن أدعىٰ للفهم والتَّدَبُّر، وهذه صفة قراءة النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم فعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة ثم مضىٰ، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضىٰ فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسِّلاً إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوّذ تعوَّذ، ثم ركع فجعل يقول: سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلىٰ، فكان سجوده قريباً من قيامه»(٢)، هكذا كانت قراءة رسول الله ﷺ قراءة تدبرٍ ونظَرٍ وتفكرٍ.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «فجمع عليه الصلاة والسلام بين القراءة وبين الذكر وبين الدعاء وبين التفكر؛ لأن الذي يسأل عند السؤال، ويتعوّذ عند التعوذ، ويسبِّح عند التسبيح، لا شك أنه يتأمل قراءته ويتفكر فيها، فيكون هذا القيام روضة من رياض الذكر، قراءة وتسبيحاً ودعاءً وتفكراً، والنبي عليه الصلاة والسلام في هذا كله»(٣).

وهذه القراءة المُرتّلة تحتاج إلىٰ حضور القلب؛ لأنه أدعىٰ للانتفاع، قال ابن القيم: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك علىٰ لسان رسوله ﷺ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، وذلك أن تمام التأثر لما كان

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٣/ ٢٦٤.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) شرح رياض الصالحين، ٢/ ٩٣.

موقوفًا علىٰ مُؤثّر مقتضٍ، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه، وأدله علىٰ المراد»[١]، وسبقت الأحاديث والآثار عن السلف في ذلك.

٣- ترديد الآية المؤثرة في القلب:

وهومن أهم الوسائل المُعينة علىٰ سرعة الانتفاع بالقرآن، وتدبره، فبالتكرار يتذوق المتدبر حلاوة القرآن، ويزول عن القلب الغفلة بإذن الله، وهوفعل الرسول ﷺ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**قام النبي ﷺ بآية حتىٰ أصبح يرددها، والآية:** ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]»[٢].

فهذا رسول الله ﷺ يُقدّم التَّدَبُّر علىٰ كثرة التلاوة، فيقرأ آية واحدة فقط في ليلة كاملة.

قال ابن كثير: «هذا الكلام يتضمن ردّ المشيئة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه الفعال لما يشاء، الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، ويتضمن التبري من النصارىٰ الذين كذبوا علىٰ الله، وعلىٰ رسوله، وجعلوا لله ندًا وصاحبة وولدًا، تعالىٰ الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذه الآية لها شأن عظيم ونبأ عجيب، وقد ورد في الحديث: «**أن رسول الله ﷺ قام بها ليلة حتىٰ الصباح يرددها**»»[٣]، وعلىٰ هذا فإن تكرار القراءة للآية مراراً، وترديدها وسيلة للوقوف علىٰ معانيها ومراميها.

قال ابن قدامة: «وليعلم القارئ أن ما يقرؤه ليس من كلام بشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه ويتدبّر كلامه، فإن التَّدَبُّر هو المقصود من

---

(١) الفوائد ص(٣).

(٢) سبق تخريجه والحكم عليه.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢٣٣-٢٣٤.

القـراءة، وإن لـم يحصـل التَّدَبُّـر إلا بترديـد الآيـة فليرددهـا»[١].

وقـال ابـن القيـم: «فلـو علـم النـاس مـا في قـراءة القـرآن بالتَّدَبُّـر لاشـتغلوا بهـا عـن كل مـا سـواها، فـإذا قـرأه بتفكّـر حتـىٰ إذا مـرَّ بآيـة وهويحتـاج إليهـا في شـفاء قلبـه كرّرهـا، ولومائـة مـرة ولوليلـة، فقـراءة آيـة بتفكـر وتفهـم خيـر مـن قـراءة ختمـة بغيـر تدبـر وتفهـم، وأنفـع للقلـب، وأدعـىٰ إلـىٰ حصـول الإيمـان، وذوْق حلاوة القـرآن»[٢].

فترديـد الآيـة المؤثـرة في القلـب ممـا يعيـن علـىٰ تدبـر القـرآن والتفكـر في معانيـه ترديـد الآيـة المؤثـرة في القلـب، وهـذا الترديـد مـن أبـرز صـور الوقـوف علـىٰ المعـاني، وإن لنـا في رسـول الله ﷺ أسـوة حسـنة.

وقـال ابـن القيـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهـذه كانـت عـادة السـلف، يـردد أحدهـم الآيـة إلـىٰ الصبـاح»[٣].

ومقصـود التَّدَبُّـر الأعظـم: خشـوع القلـب وذلّتـه وسـكونه لله تعالـىٰ، ولذلـك تسـموالروح، وتبكـي العيـن، وتتأثـر الجـوارح، وتـذلّ النفـس لخالقهـا وتخضـع لربهـا، ويـورث ذلـك خشـوع الظاهـر «وطريـق تحصيلـه أن يحضـر قلبـه الحـزن بأن يتأمّـل مـا فيـه مـن التهديـد والوعيـد الشـديد والمواثيـق والعهـود، ثـم يتأمـل تقصيره في ذلـك، فـإن لـم يحضـره حـزن وبـكاء كمـا يحضـر الخـواص، فليبـك علـىٰ فقـد ذلـك فإنـه مـن أعظـم المصائـب»[٤].

٤- الخشوع وتحسين الصوت من غير تكلّف:

ينبغـي للقـارئ المتدبـر أن "يعطـىٰ القـراءة حقهـا مـن ترتيلهـا وتحسـينها

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، ص(٦٠).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ١/ ١٨٧.

(٣) التبيان في آداب حلمة القرآن ص(٨٨).

(٤) الإحياء ١/ ٢٧٧ بتصرف، والتبيان في آداب حملة القرآن لأبي زكريا بن شرف النووي (٦٧٦هـ) ص٨٨، وتدبر القرآن للسنيدي ص(٦٨).

وتطييبها بالصوت الحسن ما أمكن، من غير تلحين ولا تطريب مؤد إلىٰ تغيير لفظ القرآن، بزيادة أونقصان فإن ذلك حرام"[(١)].

وفائدة تحسين الصوت بالقرآن أنه أوقع في النفوس، وأدعىٰ إلىٰ الاستماع والإصغاء إليه، فبه تَنْفُذ ألفاظ القرآن إلىٰ الأسماع، ومعانيه إلىٰ القلوب؛ وذلك عونٌ علىٰ المقصود[(٢)].

فقد أمر الله تعالىٰ بترتيل القرآن الباعث علىٰ تدبره وفهمه في قوله ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، فالترتيل يعني الترسل والتمهل، وهويشمل مراعاة المقاطع والمبادئ وتمام المعنىٰ، بحيث يكون القارئ متفكرا فيما يقرأ. ويعد الترتيل عند قراءة القرآن، معين علىٰ التَّدَبُّر والتأمل.

وهومن أفضل الوسائل المعينة علىٰ التَّدَبُّر والتأمل، ولهذا يجد الإنسان من نفسه حُب سماع القرآن حين يقرأ به القارئ الماهر ذي الصوت الحسن، وقد وقف النبي ﷺ مرة يستمع لقراءة أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: «**لورأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**»[(٣)]، قال أبوموسىٰ: «لوكنت أعلمتني لحبَّرتُ ذلك تحبيراً»[(٤)].

فالصوت الحسن له أثرٌ كبيرٌ في تدبر كلام الله –تعالىٰ–، وقد حثَّ النبيُّ ﷺ علىٰ تزيين الصوت عند قراءة القرآن، فقال ﷺ: «**زيِّنوا القرآن بأصواتكم**»[(٥)]، وقال ﷺ: «**ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن**»[(٦)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ٣٣٩ بتصرف.

(٢) تدبر القرآن للشيخ/ سلمان السنيدي ص١١٨ بتصرف.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓ ...﴾ ح(٧٥٢٧).

قال النووي: «أجمع العلماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم من علماء الأمصار أئمةِ المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن، وأقوالهم وأفعالهم مشهورةٌ نهاية الشهرة، فنحن مستغنون عن نقل شيء من أفرادها، ودلائل هذا من حديث رسول الله ﷺ؛ مستفيضةٌ عند الخاصة والعامة»[(١)].

وقال ابن كثير: «قد فهم من هذا أن السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إنما فهموا من التغني بالقرآن: إنما هو تحسين الصوت به، وتحزينه، كما قاله الأئمة رَحِمَهُمُ اللَّهُ... والمراد من تحسين الصوت بالقرآن: تطريبه وتحزينه والتخشع به»[(٢)].

ولذا ينبغي لمن رزقه الله حُسن الصوت بالقرآن أن يعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ قد خصّه بخير عظيم، فليجعل مراده حين يقرأ للناس أن ينتبه أهل الغفلة من غفلتهم، فيرغبوا فيما أمرهم الله عَزَّوَجَلَّ، وينتهوا عما نهاهم، وبهذا ينتفع بحسن صوته وينتفع الناس به.

٥- ربط القرآن بالواقع الذي تعيش فيه:

ربط القرآن بواقعك الذي تعيش فيه، وذلك بالنظر في المواعظ التي يذكرها، والقصص التي يحكيها، وكيف أن الله أهلك أممًا كثيرة لما كذبوا وأعرضوا، وأن هذا المصير ينتظر كل من أعرض عن الله، وكفر برسله، مهما كانوا في قوة وعزة.

وذلك بالتفاعل مع كل آية، واستشعار القارئ للقرآن أو المستمع له أنه المقصود بالخطاب، وأن كل خطاب في القرآن مُوجّه إليه، وذلك بالنظر

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، ص(١٠٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٦٢- ٦٣ مختصراً.

في المواعظ التي يذكرها، والقصص التي يحكيها، وكيف أن الله أهلك أممًا كثيرة لما كذبوا وأعرضوا، وأن هذا المصير ينتظر كل من أعرض عن الله، وكفر برسله، مهما كانوا في قوة وعزة، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما قال المفسرون، وهي قاعدة مهمة، حيث إن ما كان سبباً في نزول بعض آيات القرآن الكريم لا يقتصر علىٰ الحادثة فقط، إنما تقاس عليها كل الحوادث المشابهة.

قال ابن قدامة: «وينبغي لتالي القرآن أن يعلم أنه المقصود بخطاب القرآن ووعيده، وأن القصص لم يُرد بها السمر، بل العبر»[(١)].

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم خير مثال للمؤمنين، فحينما يقرؤون القرآن، كانوا يستعملون فيه ذهنهم وفهمهم، ويدركون أنهم المقصودون بالخطاب، وإن وقفةً مع بعض أحوالهم يتبين بها ما كانوا عليه من حسن التعامل مع هذا القرآن. فمن ذلك ما جاء:

عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، شقّ ذلك علىٰ أصحاب النبي ﷺ وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه:** ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]»[(٢)]، ففهم الصحابة أنهم هم المعنيّون، فشكوا إلىٰ النبي ﷺ فبيّن لهم أن الظلم المراد به في الآية هوالشرك، فهان الأمر عليهم.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فأرعِها سمعك، فإنه خير يأمر به، أوشر ينهىٰ عنه»[(٣)]، وهذا لكونهم

(١) مختصر منهاج القاصدين ص(٦١).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: استتابة المرتدين... باب: ما جاء في المتأولين ح(٦٩٣٧).
(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٨٧.

أخذوا القرآن للتلقي والعمل، وأن كل ما فيه خطاب لكل من سمعه خطاب لكل من بلغه، وليس المخاطب فيه قوم دون آخرين.

وعن بهز بن حكيم قال: «أمَّنَا زرارة بن أوفىٰ في مسجد بني قشير فقرأ المدثر، فلما انتهىٰ إلىٰ هذه الآية ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٨، ٩] خرّ ميتاً، قال بهز: وكنت فيمن حمله»(١).

٦- تهيئة الجو المناسب للتَّدَبُّر:

يُعد من أهم عوامل التَّدبُّر: كوْن المكان والزمان والأعضاء والجوارح مهيئة" فلكي يقوم القرآنُ بعمله في التغيير لابد من تهيئة الظروف المناسبة لاستقباله، ومن ذلك وجودُ مكان هادئ، بعيد عن الضوضاء، يتمُّ فيه التلاوة، فالمكان الهادئ يعين علىٰ التركيز وحسن الفهم وسرعة التجاوب مع القراءة، ويسمح لنا كذلك بالتعبير عن مشاعرنا إذا ما اسْتُثيرت بالبكاء والدعاء.

ومع وجود المكان الهادئ علينا أن يكون لقاؤنا بالقرآن في وقت النشاط والتركيز، لا في وقت التعب والرغبة في النوم، ولا ننسَ الوضوء والسواك...»(٢).

والليل من أفضل الأوقات للتَّدبُّر؛ فهوموضع الثناء المتكرر في القرآن علىٰ قُرّاء القرآن، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]، وقال سبحانه: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]. ومع مزية

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب: الصلاة، باب: إذا نام عن صلاته بالليل صلىٰ بالنهار ح(٤٤٥)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٥٠ح(٣٨٧١)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) كيف ننتفع بالقرآن د. مجدي الهلالي- بحث منشور بمنتديات «مكتوب» بشبكة المعلومات الدولية، علىٰ الرابط التالي: (http://majdah.maktoob.com/vb/majdah12581).

الليل الشرعية، فإن هذه الميزة لا تتحقق إلا لمن أخذ ما يكفيه من النوم، إذ لا يتصور التعقل لمن كان يغالب عينيه، ولهذا فإن من أحسن الأوقات للقراءة والتَّدَبُّر وحفظ ما يرغبه الإنسان من العلم هوالوقت الذي يلي النوم الكافي، سواء في الليل أوالنهار، فإذا كان هذا في الليل، فقد اجتمع في حقه الفضلان[١].

٧- التجاوب والتركيز مع الآيات الكريمة:

ونقصد بالتجاوب: معايشة الآيات القرآنية، واستحضار معانيها مع تصور الأثر الذي تحدثه في نفس القارئ والسامعين، فيُسَبِّح تارة، ويتساءل تارة، ويستعيذ أخرىٰ...وإذا مرّ بآية تخاطب الأنبياء علم أنه مخاطب بذلك من باب أولىٰ، وإذا قرأ ثناء الله علىٰ أعمال الأنبياء والصالحين علم أنه مخاطب، وأن تأثره واقتداءه مطلوب أيضًا، وإذا مرّ بذمّ الله لأعمال العصاة والظالمين علم أنه مخاطب، وأن تأثره مقصود وحذره مطلوب كذلك.

وما أروع ما ذكره صاحب "الإحياء" في وصف القرآن وقارئه المتدبِّر المستغرق في آياته، حيث يقول: "إن في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضًا وخانات، فإذا دخل القارئ الميادين، وقطف من البساتين، ودخل المقاصير، وشهد العرائس، ولبس الديابيج، وتنزّه في الرياض، وسكن غرف الخانات، استغرقه ذلك وشُغل عما سواه فلم يعزُب قلبه، ولم يتفرق فكره..."[٢]أ. هـ

ومن عاش هذه المعاني، وتجاوب فكره معها، فأنَّىٰ يغفل قلبه لحظة، أو يشرد عقله هنا أو هناك برهة؟!

---

(١) ينظر: قواعد وضوابط التَّدَبُّر، بتصرف. ينظر: http://www.almoslim.net/node/139579

(٢) إحياء علوم الدين ١/ ٢٨٢.

٨- تصوّر حال الدعوة أثناء التلاوة:

من لم يتمكن من العيش مع معاني القرآن وقت نزولها، فلا أقل من أن يتصوّر حال الدعوة عند نزول القرآن، وعندئذ ستتغير نظرته وتعامله مع تلك الألفاظ، وسوف تصبح في ذهنه حية متحرّكة، ويتصوّر أثرها على النبي ﷺ والصحابة الكرام، فكم من سُوَرٍ مكيَّة كانت برداً وسلامًا على قلوب الصحابة، وتثبيتًا لأنفسهم، وهم يواجهون الجاهلية في قمة طغيانها، وليتصوّر القارئ ما جرى للأنبياء السابقين من كيد وأذى من خلال قصصهم في القرآن، ولينظر إلى ما يجول في قلوبهم وهم يسمعون وعد الله بالنصر وحسن العاقبة، وهم ما زالوا في مكة لم يشهدوا بدراً...ولا غيرها.

وعليه فمعرفة حال الدعوة عند نزول الآيات، التي هي بمثابة سبب النزول العام، مع الأسباب الخاصة الأخرى.. من أعظم الأمور المعينة على التَّدَبُّر لمقاصد الآيات وحِكَمها وأحكامها.

وفي ذلك يقول السعدي: "النظر في سياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول ﷺ وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه..."(١).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٣٠، وتدبر القرآن للسنيدي ص١٠٠ بتصرف.

المعيار الرابع: وسائل التَّدَبُّر المنهجية:

إضافة لما سبق فهناك وسائل تخص منهجية التَّدَبُّر تؤتي ثمارها، ومنها:

١- تدارس القرآن مع جمْع إن أمكن:

مما يثري ملكة التَّدَبُّر لدىٰ القارئ أن يتدارس القرآن مع غيره من العلماء أوالأصحاب أوالأهل، فتدارس العلم يفتح الآفاق، ويعين علىٰ التَّدَبُّر، ويصحّح الخطأ، ويقوّم السلوك والفكر..

ومن فاته شيء من السبل السابقة، فلا أقلّ من أن يتدارس القرآن مع أهل العلم والفضل، أوحضور حلق العلم، أوبالسؤال والمناقشة، ومن أبلغ الدلائل علىٰ هذه الفضيلة قوله ﷺ:

«وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده...»[(١)].

٢- محاولة فهم معاني القرآن:

محاولة فهم معاني القرآن، بالرجوع إلىٰ التفاسير التي تهتم ببيان المعنىٰ، دون دخول في دقائق اللغة والإعراب، أوالمسائل الفقهية، وقد ذم الله تعالىٰ من أعرض عن فهم كتابه، فقال سبحانه: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]، فالجهل بمعاني القرآن يصرف عن تدبره وتلذذ القلب بقراءته. وأولىٰ الفهم الرجوع إلىٰ كتب التفاسير المعتمدة؛ لمعرفة المعنىٰ الإجمالي للآيات، دون ضرورة الوقوف علىٰ التفاصيل والخوض في المُطوّلات والشروح

(١) سبق تخريجه.

والروايات، فليس من شرط التَّدَبُّر أن يكون تفصيلياً لكل كلمة، بل قد يكون التَّدَبُّر بإدراك المعنىٰ الإجمالي، وعقْل الكليات المراد بالآية، وهذا من أعظم أسباب تدبر القرآن الكريم، فإن القرآن كثيراً ما يذكر في القصص مواطن العبرة، ويترك للفؤاد والعقل مطلق التأمل والتَّدَبُّر، فلا يكون هم القارئ أن ينتهي من السورة أوالجزء، بل يكون همه الأول فهم المعاني وتدبرها[١].

٣- الوقوف على قواعد النظم القرآني ولو إجمالاً:

من الأهمية بمكان أن يقف المتدبر علىٰ شيء من قواعد النظم القرآني، وأساليبه في التعبير عن مختلف القضايا؛ حيث إن الوقوف علىٰ شيء من ذلك يجعل القارئ علىٰ بيّنة من الأسلوب القرآني، فتندفع عنه الدهشة التي قد تعتريه أثناء تلاوته، كالوقوف علىٰ أسرار التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإطناب والإيجاز، والتوكيد...ونحو ذلك مما يعين علىٰ التَّدَبُّر.

وفي أهمية الوقوف علىٰ هذا العلم يقول صاحب البرهان: "اعلم أن هذا علم شريف المحل، عظيم المكان، قليل الطلاب، ضعيف الأصحاب، ليست له عشيرة تحميه، ولا ذوو بصيرة تستقصيه، وكيف لا يكون وهو الـمُطْلِع علىٰ أسرار القرآن العظيم، الكافل بإبراز إعجاز النظم المبين، ما أودع من حسن التأليف، وبراعة التركيب...مع سهولة كلمه وجزالتها وعذوبتها وسلاستها، ولا فرق بين ما يرجع الحسن إلىٰ اللفظ أوالمعنىٰ..."[٢].

ونحن لا نطالب المتدبر بالإلمام بهذه الخصائص الأسلوبية للقرآن الكريم، والوقوف عليها وقوف المتخصصين" إنما نطلب من أن يعلم ما يحتاجه من هذه العلوم، ويطلع علىٰ الضروري منها للتعامل مع القرآن،

---

(١) تدبر القرآن بين النظرية والتطبيق، د. رقية طاهر جابر العلواني ص(٥٦) بتصرف.

(٢) يراجع: البرهان للزركشي ٢/ ٣٨٢ بتصرف، وتدبر القرآن للشيخ/ سلمان السنيدي ص(١٣٢).

ويأخذ مجمل الموضوع بإيجاز يحقق الغاية، ويمكنه أن يكتفي بدراسة كتاب واحد من علوم القرآن التي عرضت هذه الموضوعات بإيجاز مجمل مفيد..."[١].

٤- الوقوف على معاني الآيات، وموضوعات السورة مجملة:

لا بدّ من معرفة معاني الآيات علىٰ الأقل محلّ التَّدَبُّر قبل البدء في التلاوة، وأن ينتقي القارئ تفسيراً مختصراً مفيداً مركّزاً خالياً من الإسرائيليات والحشو والاستطرادات...وما شاكل ذلك، مما قد يقطع علىٰ المتدبّر طريق تدبّره، ويبدأ بمثل هذه التفاسير المختصرة ثم يتدرّج إلىٰ ما فوقها بعد ذلك، كما أرىٰ أن يصطحب القارئ المتدبّر مصحفاً مطبوعاً علىٰ هامشه التفسير كالتفسير الميسر لمجمع الملك فهد...ونحوه من التفاسير الموجزة والإجمالية؛ لسرعة وسهولة الوصول إلىٰ معنىٰ ما يعنّ له أثناء التلاوة.

كما أنه من الأهمية بمكان أن يستعرض المتدبّر موضوعات السورة وخصائصها ومقاصدها قبل البدء في التلاوة "وسيكون حسناً لو وضعها في جدول، أوشجرة متَسلسلة تكون أمامه عند التلاوة، وعندها ستتجلّىٰ فوائد عظيمة لم تكن بالحسبان"[٢].

والمراد بموضوع السورة: أنه ما من سورة من سور القرآن إلا وتدور علىٰ موضوع أو أكثر، وقد تلتقي عدة موضوعات وهوما يعرف عند المعاصرين بـ «مقصود السورة»، وكلما كانت آيات السورة أقل، ظهر للمتأمل موضوعها، وإذا طالت السورة فقد تتعدد موضوعاتها، فعلىٰ المتدبر حينئذٍ أن ينظر في القواسم المشتركة بينها، فقد يخرج بمقصود واحد، وقد لا يظهر له

---

(١) مفاتيح التعامل مع القرآن د. صلاح الخالدي ص(١٤٢) بتصرف.

(٢) ليدبروا آياته لمجموعة من العلماء ٢/ ٣٢٦، ٥/ ١٠ بتصرف.

شيء من ذلك، فعليه أن يتوقف، لكن الخوض في هذا الباب لا يتأتى لكل أحد، بل لا بد أن يراعى فيه أمران:

أحدهما: الاطلاع والفهم لكلام السلف في معاني الآيات؛ ليخرج من مجموع ذلك بتصور جيد عن موضوعها.

ثانيهما: البعد عن التكلف في التماس المقصد أوالموضوع، فإن ظهر له المقصد وإلا فليمسك(١).

٥- إثارة التساؤلات حول الآية:

فمن أعظم وسائل التَّدَبُّر: مهارة السؤال، وهي: أن يستثير القارئ الأسئلة حول ما يقرأ، ويقف مع الآيات متسائلاً. وهي تتكون من شِقَّين:

الأول: صُلْب السؤال (تحديد الموقف).

الثاني: الأثر، هل هذا السؤال أثمر أم لم يثمر؟ هل له نتيجة أم ليس له نتيجة؟ فما لا نتيجة له يُترك، ويبحث عن سؤال آخر.

ومَفَاد السؤال وجُملته: **ما نصيبي من هذا الأمر؟**

فتحدد موقفك من المعنى العام المذكور في الآية أو الآيات، وتنظر مستوى عملك وعلمك فيه.

فإذا جاءت صفة مدح فتقول: ما نصيبي منها؟ وإذا جاءت صفة ذم تقول: ما نصيبي منها؟

فالتَّدَبُّر نظرٌ للعاقبة مباشرة/ **فتجعل الآية أو الآيات أمامك**، وتسأل نفسك مباشرة: ما نصيبي؟

---

(١) ينظر: المراحل الثمان لطالب فهم القرآن، ص(١٠٢).

ومن التساؤلات الأخرىٰ التي قد يثيرها المتدبر: لماذا قُدمت هذه السورة علىٰ تلك؟ ولماذا تميّزت هذه السورة عن تلك بافتتاحية ما؟ ولماذا تكررت آية بعينها في سورةٍ ما أكثر من مرة؟ ولماذا عُبر هنا بكذا بينما عُبّر في موضع آخر بكذا...ويحاول الإجابة عن ذلك بنفسه، أو ينظر في كتب التفسير، أو يسأل العلماء عنها، فإن ذلك مما يُثري ملكة التَّدَبُّر وينمِّيها.

وقديمًا قالوا: "العلم خزائن، ومفتاحه السؤال" وأي علم أوسع وأغزر من القرآن الكريم؟!

فهذه التساؤلات وغيرها تجعل القرآن الكريم يفتح للمتدبر أسراره الكامنة، وتجعله يستجلي من الآيات مالم يعهده من ذي قبل.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [الرعد: ٣١]، فجواب لو محذوف، قال العلماء: تقديره لكان هذا القرآن.

وحُذَف ليكون أبلغ في ذهن السامع والقارئ المتدبر، حتىٰ يتساءل: أين الجواب؟ لكان ماذا؟

وحذف الجواب أبلغ من ذكره كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من العلماء الذين أيضًا سبقوه علىٰ هذا[1]، فالمقصد: أنَّ شأن القرآن عظيم.

وهذا السؤال: **ما نصيبي من هذا الأمر؟** لا يعني تحديد الموقف وحسب! بل له ما يتبعه:

أين أنا من هذه الصفة؟ أين أنا من هذا الأمر؟ هل أنا من أهله؟ كيف أكون مستجيبًا؟

---

(١) ينظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني ضمن ثلاث رسائل ص(١٠٦)، وإعجاز القرآن للباقلاني ص(٢٦٢)، ومجموع فتاوىٰ ابن تيمية ١٣/ ٣١٦، وإعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية ص(٢٠٥).

ولا يشترط أن يكون الأثر عظيماً، فأولُ الأثر الذي يحصل من السؤال: **فرح قلبك وسعادته** بما ظهر له من نتيجةٍ، وتحديدٍ لموقفك، وأنك محتاجٌ لهذا الشيء، فهذا أول مكسبٍ.

وثاني مكسب: إنك تبدأ **تتفكر في مدلول الآيات**، فما تمرّ عليك آية إلا وتدبرت فيها.

وثالثها: **التفاعل العملي مع مضمونها، فإن كنت في خير فتزداد، وإن كنت مقصراً فتبدأ العلاج**، فتفاعلك العملي هذا نجاحٌ ولو كان يسيراً في تقديرك، **فهذا هو بداية المجاهدة والترقي**.

ومما يحصل للإنسان من الأثر: **البكاء والخشوع تبعًا للأمر الذي سمعه**.

ومن الآثار التي قد تحصل للإنسان بعد هذا السؤال مباشرةً: **السجود**، وصف الله عباده بأنهم إذا تليت عليهم آياته ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا﴾ [مريم: ٥٨]، سجدوا تعظيماً لله وإجلالاً وتقديراً له(١).

ومن الأثر الذي يحصل: **أن تنقل هذا المعنىٰ لغيرك**.

٦- العناية بفهم معنى اللفظة ودلالتها اللغوية في سياقها:

من المعلوم أن القرآن العظيم نزل بلغة العرب، فألفاظه أفصح الألفاظ، وتراكيبه أقوىٰ التراكيب، ولن يؤتي التَّدَبُّر أُكُلَه، ولن تنضج ثمرته حقاً، إلا إذا اعتنىٰ المتدبر باللغة التي نزل بها هذا القرآن، وذلك أن المفردة القرآنية تحتاج إلىٰ أمرين:

الأول: فهم معناها إذا كانت من قبيل الغريب، وهذا يستعان عليه بكتب غريب، أو تفسير القرآن.

---

(١) ينظر: الكشاف ٢/ ٦٩٩، والتفسير الكبير للرازي ٢١/ ٥٨، والجامع للقرطبي ١٤/ ٩٩، والبحر المحيط ٧/ ١٢٤.

الثاني: أنَّ لِـذَات المفـردة -وإن لـم تكـن غريبـة- سـرّاً في اختيارهـا، دون مـا سـواها مـن الألفـاظ التـي يُظـنُّ لأول وهلـة أنهـا مترادفـة مـن كل وجـه، يقـول شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة: «فـإن فهـم الكتـاب والسـنة فـرض، ولا يفهـم إلا بفهـم اللغـة العربيـة، ومـا لا يتـم الواجـب إلا بـه فهوواجـب»[١].

ويتبع ذلك الإلمام بقواعد اللغة العربية وأساليبها البلاغية والبيانية.

لكـون القـرآن الكريـم قد نـزل بلغة العرب ولسـانهم، قال تعالـىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥]، وقـال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، ولغـة العـرب مـن الديـن كمـا ذكـر الإمـام ابـن تيميـة في فتاويـه[٢].

والعناية بفهم السياق الذي وردت فيه الآية، أو اللفظة:

والمـراد بالسـياق هنـا: الغـرض الـذي تتابـع الـكلام لأجلـه، مدلـولاً عليـه بلفـظ المتكلـم، أو حالـه، أو أحـوال الـكلام، أو المتكلـم فيـه، أو السـامع، والناظـر في كلام المفسـرين يجـد أنهـم أَوْلَـوْا هـذا الموضـوع غايـة العنايـة؛ لعظيـم أثـره في بيـان المشـكل، وكشـف المتشـابه، والمقصـود هنـا تنبيـه المتدبـر الـذي يـروم الوصـول إلـىٰ المعنـىٰ عنـد اشـتباه الأمـر عنـده أن يعتنـي بالنظـر في السـياق.

٧- معرفة أسباب النزول وأحواله ومتعلقات ذلك كالنسخ ونحوه:

وذلـك مـن خـلال دراسـة كتـب التفسـير؛ بمدارسـه المختلفـة مـن فقهيـة ولغويـة وإشـارية، ذلـك لأن كثيراً من الآيات مرتبطة بوقائع ومناسبات وأحداث شـملت في كثير مـن جوانبهـا بعـض مـا تعانيـه الأمـة مـن تحديـات ومـا تواجهـه مـن

---

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٥٢٧.

(٢) ينظر: مجموع فتاوىٰ ابن تيمية ٣/ ١٤٦.

مؤامرات، فمثلاً إذا أخذنا الآيات التي تتحدث عن هزيمة المسلمين في معركة أحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقوله تعالىٰ عن المنافقين بُعيد غزوة بني المصطلق: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

إذا تأملنا تلك الآيات وفق معرفتنا لأسباب النزول نجد أن القاسم المشترك في عملية الكيد والتآمر هوعنصر النفاق والمنافقين، فهم دائماً وأبداً ينسجون خيوط المكر ويحيكون العداء للصف المؤمن من خلال المعية والوجود داخل الجماعة، ويعملون فيها خذلاناً وغدراً وتدميراً، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ يفضحهم ويحبط مخططهم ويكفي المؤمنين شرهم كما ورد في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٢، ١٣].

وقال: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٩].

ومن هنا تبرز أهمية هذه القاعدة في عملية التَّدَبُّر، وإذا ما طبق قارئ القرآن هذه القواعد الأساسية أدرك القيمة الحقيقية لعلاقته بكتاب ربه وظهرت عليه علامات التَّدَبُّر، ومن ثم انعكست علىٰ سلوكه وحياته، وبالتالي حصل له التغيير المنشود بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

المعيار الخامس: وسائل المحافظة على التدبر وتنميته:

١- شكر المؤمن ربه على ما هداه إليه من تدبر:

وهذا ديدن المؤمن دومـًا أن يكل الفضل لصاحب الفضل، وأن يبرأ من حوْله وطوْله إلىٰ صاحب الحوْل والطوْل عَزَّوَجَلَّ، فلولا الله ما فتح القرآن المتدبر، ولا تلا ولا تدبر، فشكره لربه عَزَّوَجَلَّ يزيده تدبراً، ويجعله يُقبل علىٰ القرآن بحُبّ ونَهَم، ولا غرو في ذلك فهو القائل سبحانه ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٨]، حيث وعد بالمزيد مع الشكر، ووَعْده لا يتخلّف أبداً.

والشكر «يكون بالقلب واللسان والجوارح، فأما **شكر القلب**: فيعني الاعتراف بالنّعم للمنعِم، وأنها منه وبفضله...ومن الشكر بالقلب محبة الله علىٰ نعَمِه، **والشكر باللسان**: يعني الثناء بالنعم وذكرها وتعدادها وإظهارها، **والشكر بالجوارح**: يعني ألا يُستعان بالنعم إلا علىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يحذر من استعمالها في شيء من معاصيه"[(١)]، والله أعلم.

٢- فرح القلب وسعادته بالتَّدَبُّر:

نعم حُقّ للقلب أن يفرح ويسعد بما منّ الله تعالىٰ علىٰ صاحبه من التلاوة والتَّدَبُّر؛ حيث إن سعادة المرء بذلك التَّدَبُّر يدفعه إلىٰ المزيد والمزيد، ويحمله علىٰ المواصلة بعزم أكيد، وهمّة تفّل الحديد، ولا أدلّ علىٰ ذلك من قوله تعالىٰ: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨]، فينبغي ألا يُنسِي الفرح دعاء الرب سبحانه بدوام التَّدَبُّر والتفكر، والابتهال إليه باستمرار لذة الاستنباط والتأمّل، فهو كريم سبحانه لا يَرد دعاء من ناداه.

---

(١) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب ١/ ٣٥٠ بتصرف.

٣- إبراز ثمرة التَّدَبُّر في التطبيق والتنفيذ:

وهذه ثمرة الثمار، وغاية الغايات، والمقصود الأهم للتَّدَبُّر، أن يُترجم ذلك كله إلىٰ واقع عمليّ، فنرىٰ للمتدبر خلقًا فاضلاً، وعملاً صالحًا، ومشاركة في الخير وبناء، وتأسيًا بالنبي ﷺ واقتداء...وإلا تحوّلت عنه نعمة التَّدَبُّر، وكان علمه وقراءته وبالاً عليه، نعوذ بالله من الخذلان.

ولا أدلّ علىٰ ذلك من قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢]
فتضمنت الآية حفظ الحقوق، وآليات ذلك، فتحتاج منَّا لتنفيذٍ.

وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "نزل القرآن ليُتدبر ويُعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً، فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلىٰ نجاته: من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجَمْع الفكر علىٰ معاني آياته"[(١)]، نسأل الله تعالىٰ أن نكون من العاملين المخلصين، اللهم آمين.

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٤٥١ بتصرف.

٤- المواظبة على حزب يومي للتَّدَبُّر:

لا بدّ للمسلم بعد أن تذوق حلاوة التَّدَبُّر أن يجعل له وِرْداً يوميـًا أو أسبوعيـًا أو شهريـًا حسب استطاعته، وإن كان قليلاً حتىٰ يداوم عليه، فأحب العمل إلىٰ الله تعالىٰ أدومه وإن قلّ.

"ومن الرائع ألا يُغلب الإنسان علىٰ وِرْده من التَّدَبُّر مهما كانت الظروف، والورد اليومي من القرآن كما يقول البعض في اليوم الأول كالجبل، وفي الثاني كنصف الجبل، وفي الثالث كلا جبل، وفي اليوم الرابع مثل الغذاء الذي تتألم لفقده"[١].

ويقترح في هذا المضمار أن يجعل المسلم لنفسه وِرِدَيْن بختمتين، الأولىٰ للمراجعة وتثبيت الحفظ حتىٰ لا يتفلّت منه القرآن، وتكون في أسبوع أو ثلاثة أيام، والثانية للتَّدَبُّر، يتأنّىٰ فيها ويتدبر، قد تكون كل شهرين أو ثلاثة، أو سنة... كلٌّ بحسبه، ويدوِّن ما يفتح الله تعالىٰ عليه به، فالعلم صَيْد والكتابة قَيده.

٥- البدء بمفصل القرآن:

لقد كان منهج النبي ﷺ في تعليم أصحابه القرآن هو تعليم الإيمان أولاً قبل تعليم الأحكام، وقد ورد في ذلك آثار مشهورة منها:

عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله ﷺ: «**إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة**»[٢]، قال ابن تيمية: الأمانة هي الإيمان، أنزلها في أصل قلوب الرجال[٣].

ولهذا كان الإيمان بدون قراءة القرآن ينفع صاحبه ويدخل به الجنة،

---

(١) الطريق إلىٰ القرآن د. إبراهيم السكران ص١١٦ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: رفع الآمانة، ح(٦٤٩٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، وعرض الفتن علىٰ القلوب ح(١٤٣).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوىٰ ١٢/ ٢٤٩.

والقرآن بلا إيمان لا ينفع في الآخرة، بل صاحبه منافق، وقيل في قوله تعالىٰ: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[النور: ٣٥] أي: نور القرآن علىٰ نور الإيمان، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

أما المنهج الذي اتبعه الصحابة في تعلم القرآن: فقد كان البدء بالمفصل أولاً، فكان عمر يأمر بنيه بتعليم القرآن، ويقول: «إن كان أحد منكم متعلماً فليتعلم من المفصل فإنه أيسر»[(١)].

وعن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «أوّل من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أمّ مكتوم، وكانوا يقرئون[(٢)] النّاس، فقدم بلال وسعد وعمّار بن ياسر، ثمّ قدم عمر بن الخطّاب في عشرين من أصحاب نبيّ اللّه ﷺ، ثمّ قدم النّبيّ ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول اللّه ﷺ، حتّىٰ جعل الإماء يقلن: قدم رسول اللّه ﷺ، فما قدم حتّىٰ قرأت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[الأعلىٰ: ١] في سُوَرٍ من المفصّل»[(٣)].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم»[(٤)].

وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «جمعت المحكم في عهد النبي ﷺ، فقيل له: ما المحكم؟ قال: المفصل»[(٥)].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣/ ٣٨١ رقم(٦٠٣٠)، تفسير القرآن من الجامع لابن وهب ١/ ١٤ (١٧).

(٢) وكانوا يقرئون الناس: هكذا وردت، ووجهها ابن حجر علىٰ أن أقل الجمع اثنان، وإما علىٰ أن من كان يقرأ بأنه كان يقرأ معهما أيضا، وفي رواية الأصيلي وكريمة «فكانا يقرئان الناس» قال ابن حجر: وهو أوجه. ينظر فتح الباري ٧/ ٣٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: مناقب الأنصار، باب: مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، ح(٣٧١٠) وينظر: (٤٦٥٧، ٤٧٠٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: تعليم الصبيان القرآن، ح(٥٠٣٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: تعليم الصبيان القرآن، ح(٥٠٣٦).

قال ابن كثير: «فيه دلالة على جواز تعليم الصبيان القرآن؛ لأن ابن عباس أخبر عن سنِّه حيث موت النبي ﷺ، وقد كان جمع المفصل وهو من الحجرات، وعمره إذ ذاك عشر سنين»(١).

وقال الحسن البصري: إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن، ثم أودع علوم القرآن في المفصل، ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة(٢).

وآخر المفصل سورة الناس بلا نزاع، «واختلف في أوله فقيل: ق، وقيل: الحجرات، وقيل: الضحى، وقيل غير ذلك.

وللمفصل طوال وأوساط وقصار: فطواله إلى عَمَّ، وأوساطه منها إلى الضُحَى، ومنها إلى آخر القرآن قِصَاره، وهذا أقرب ما قيل فيه»(٣)، وسُمِّيَ مفصلاً لقصر سوره، وكثرة فواصله(٤).

ولعل في البدء بالمفصل ميزات، أهمها: أنه هو الذي يغرس الإيمان في القلب كأمثال الجبال، وهذا هو الذي أشارت إليه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الحديث حين قالت: «لقد نزل أول ما نزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس للإسلام نزل الحلال والحرام»(٥).

فسور المفصل تجعل القلب يثوب ويطمئن بالإيمان، فإذا جاء الحلال والحرام بعد ذلك كان السمع والطاعة لرب العالمين ولرسوله الأمين ﷺ، وبين أيدينا شاهدٌ حيٌّ؛ وهم صحابة رسول الله ﷺ.

---

(١) فضائل القرآن لابن كثير ٢٢٥.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٥٠ (٢٣٧١)، والثعلبي في الكشف والبيان ١/ ٩١.

(٣) ينظر الإتقان ١/ ١٧٩-١٨١. مختصراً.

(٤) فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين ١٩/ ١١٥.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن، ح(٤٩٩٣).

وفي حزب المفصل تقرير ثلاث حقائق:

- توحيد الله في ربوبيته وألوهيته.
- إثبات البعث والدار الآخرة.
- الأمر بمكارم الأخلاق.

وهو أيسر في الفهم؛ لأنه محكمٌ ليس فيه متشابه إلا ما ندر، وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إن لكل شيء سناماً، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وإن لكل شيء باباً، وإن باب القرآن المفصل[1].

٦- التعوُّذ بالله من الشيطان خوفاً من العُجب:

إذا كان التعوُّذ من الشيطان الرجيم مأموراً به في بداية التلاوة والتَّدَبُّر، فإنه كذلك مأمور به في نهايتها، في قول مَنْ أخذ بظاهر قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]؛ وذلك أن القارئ حصّل بقراءته ثواباً، فحتىٰ لا يأتيه الشيطان بالعُجب، ويفوّت عليه ثواب التلاوة ينبغي أن يستعيذ بالله تعالىٰ منه.

وفي ذلك يقول الرازي عمن أخذ بظاهر الآية: «قالوا: يجب أن تكون الاستعاذة متأخرة عن قراءة القرآن، ثم قالوا: وهذا موافق لما في العقل؛ لأن من قرأ القرآن فقد استوجب الثواب العظيم، فلو دخله العُجْب في أداء تلك الطاعة سقط ذلك الثواب، فلهذا السبب أمره اللّه عَزَّوَجَلَّ بأن يستعيذ من الشيطان؛ لئلا يحمله الشيطان بعد قراءة القرآن علىٰ عمل يُحبط ثواب تلك الطاعة»[2]، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه ح(٣٣٧٧)، وابن الضريس في فضائل القرآن، ح(١٧٨) والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٣٨، ح(٨٦٤٤) والحاكم في المستدرك، ح(٢٠٦٠)، وحسنه الألباني في الصَّحيحة تحت ح(٥٨٨).

(٢) التفسير الكبير للرازي ١/ ٦٦.

المعيار السادس: بعض الأسباب المعينة على التَّدَبُّر:

أولاً: القراءة في صلاة:

فإن الصلاة صلة بين العبد وبين ربه، يتوجّه فيها إلىٰ الله وحده ويخلص له، وينقطع عن مشاغل الحياة الأخرىٰ، ولا شك أنه عندما تكون تلاوة القرآن في الصلاة فإن ذلك يعين علىٰ تدبر القرآن؛ وذلك أن العبد في صلاته يتعبد الله عَزَّوَجَلَّ بكل أفعاله وأقواله، فيستشعر وقوفه بين يدي الله سبحانه، ويزداد خشيته له، وقد وردت الأخبار الصحيحة عن طول قيام النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين لهم بإحسان، وإنما يكون القيام بقراءة القرآن، فجمعوا بين القيام والتلاوة.

وقد كانت قراءة النبي ﷺ للقرآن في كثير من الأحوال أثناء الصلاة، عملاً بقوله سبحانه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨، ٧٩].

وأخبر النبي ﷺ بأن من حق القيام بواجب القرآن القيام به آناء الليل وآناء النهار، فقال ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهويقوم به آناء الليل وآناء النهار**»(١).

فينبغي أن يجعل المسلم جزءاً من تلاوته في صلاته وبخاصة صلاة الليل؛ لارتباط الصلاة بالتلاوة، ولحضور القلب في الصلاة أكثر منه خارج الصلاة،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قول النبي ﷺ: «**رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار...**» ح(٧٥٢٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه، أو غيره فعمل بها وعلمها، ح(٨١٥).

كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ١-٦].

❁ ثانياً: تفريغ القلب من الانشغال بغير الله والبعد عن معاصيه(١):

فيلزم المسلم تفريغ القلب من الانشغال بغير الله، أو التفكير في غير كتابه، فإذا قرأ القرآن فرَّغ قلبه من كل شيء إلا من الله، ومحبته، والرغبة في فهم كلامه، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، ومن ذلك البعد عن الذنوب والمعاصي، لأن لها ظلمة في القلب تحجبه عن الاستنارة بنور الذكر.

❁ ثالثاً: التفكر في معاني الآيات(٢):

فمن عوامل التَّدَبُّر لكتاب الله تعالىٰ التفكُّر في معنىٰ الآيات، فيُعمِل القارئ فِكْره في معاني الآية ودلالاتها وما اشتملت عليه من وعْظ، أو ترغيب، أو ترهيب، أو دلائل علىٰ وحدانية الله تعالىٰ وعظمته، وقد ورد أن النبي ﷺ كان يتفكّر في بعض الآيات ويتأملها، بل ورد الوعيد لمن لم يتفكّر فيها.

إن التفكّر في آيات القرآن الكريم يعمّق المعنىٰ في نفس المسلم، ويفتح له آفاقاً إيمانية واسعة، فإذا تفكر المرء في خلق السماوات والأرض وما فيهما من المخلوقات العلوية والسفلية وتنوّعها وكثرتها، وسعة هذا الكون تجعل الإنسان يزداد يقيناً أن هذا الكون لم يُخلق عبثاً وإنما خلقه الله تعالىٰ لحكمة عظيمة، فلا يملك إلا أن يقول: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

---

(١) سبق ص ٢١٩.

(٢) وانظر ما سبق ص ٢٢٠ و ٢٣٠.

رابعاً: اختيار الوقت المناسب للتَّدَبُّر[(١)]:

فلكي يتأثر القلب بالقرآن ويُحسن تدبّره لا بد من اختيار الوقت المناسب للتَّدَبُّر، وهو الوقت الذي يختفي فيه ما يُشتِّت ذهن القارئ بحيث لا يكون هناك ما يشغل قلبه أويشوِّش عليه، وأجمل وقت وأنسبه هو وقت الليل، عندما تهدأ الحياة، ويسكن الناس، فلا ضجيج ولا إزعاج، فيتفرّغ القلب لسماع القرآن وتلاوته.

وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ بقيام الليل، وأمره بترتيل القرآن فيه، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ١-٦].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويعني بقوله: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾: ناشئة الليل أشد ثباتاً من النهار، وأثبت في القلب، وذلك أن العمل بالليل أثبت منه بالنهار»[(٢)].

وأخرج الطبري عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا في قوله: ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ قال: أدنىٰ من أن تفقهوا القرآن، وأخرج عن مجاهد: أثبت قراءة[(٣)].

وذلك لفراغ القلب عن سائر الأشغال التي يتعلق بها في النهار؛ ولهذا كان دأب الصالحين قيام الليل، كما قال سبحانه: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ [السجدة: ١٦].

وقد أمر الله تعالىٰ رسوله ﷺ أن يتهجد بالقرآن، والتهجد إنما يكون بعد

---

(١) وانظر ما سبق ص ٢٦٣.
(٢) جامع البيان ٢٣/ ٣٧٠.
(٣) المصدر السابق ٢٣/ ٣٧٤.

النوم، قال سبحانه: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨، ٧٩].

وقد كان النبي ﷺ يكثر من صلاة الليل وتلاوته، ويخلو بربه، فيتدبر القرآن ويخشع لله تعالىٰ.

ومن تأمَّل حال أصحاب النبي ﷺ والسلف الصالح؛ علم أن غالب أحوالهم أنهم إنما كانوا يقرؤون أحزابهم من القرآن بالليل، فيجعلون النهار لقضاء حاجاتهم، ويجعلون الليل لمناجاة ربهم، كما وصفهم الله تعالىٰ بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٦- ١٨].

وفي الصحيح عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنما قرأه من الليل»**(١).

وهذا دليل علىٰ أن الأصل في قراءة القرآن أن تكون في الليل، وذلك الوقت أجمع للقلب، وأصفىٰ للذهن، وأبعد عن الانشغال بسائر الملهيات، فهو أدعىٰ لتَّدَبُّر كتاب الله تعالىٰ.

❁ خامساً: استماع القراءة من الآخرين(٢):

فإنَّ للصوت الحسن طريقه إلىٰ القلوب، والتأثير علىٰ السامعين، وبخاصة إذا كان القارئ من أهل القرآن العارفين المُجوِّدين فإنه يسلب القلوب، ويجذبها لسماع القرآن والتأثر بها.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، ح(٧٤٧).

(٢) وانظر ما سبق ص ٢٣٣ و ٢٣٥.

قال النووي: «اعلم أن جماعات من السلف كانوا يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرؤوا وهم يستمعون، وهذا متفق علىٰ استحبابه، وهو عادة الأخيار والمتعبدين، وعباد الله الصالحين، وهو سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ»[١].

وقد استمع النبي ﷺ إلىٰ قراءة بعض أصحابه، بل وطلب من ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يقرأ عليه القرآن، وتأثر بالقراءة، ففي البخاري وغيره عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ عليّ القرآن**» قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**».

وفي رواية: «فقرأت سورة النساء حتىٰ أتيت إلىٰ هذه الآية: قال: «**حسبك الآن، فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان**»[٢].

وقد ثبت أن النبي ﷺ استمع إلىٰ قراءة أبي موسىٰ، فقال له: «**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**»[٣].

ولا مانع أن يستمع المفضول من الفاضل، والعالم ممن هو أقل منه علماً، كما فعل النبي ﷺ في استماعه لابن مسعود.

وعلىٰ المسلم أن يختار في استماعه من يجوّد القرآن ويترسّل في تلاوته، ويحسن الوقف والابتداء، ويقيم القرآن كما نُقل لنا عن رسول الله ﷺ.

۞ سادساً: التفاعل العملي مع القرآن[٤]:

من عوامل التَّدَبُّر التي كان النبي ﷺ يمارسها في تلاوته للقرآن: التفاعل

(١) المصدر السابق ص١١٢.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) وانظر ما سبق ص ٢٣٣ وص ٢٢٥ وص٢٢٨ – ٢٨.

مع القرآن الكريم، والإحساس بخطاب القرآن، والتأثر به، وكان النبي ﷺ يتفاعل مع تلاوة القرآن، وكذا الصحابة وتابعوهم تأسيًا به ﷺ.

فعلىٰ قارئ القرآن أن يتدبر آيات القرآن، وأن يتفاعل معها، فإذا مرّ بآية فيها ذِكر الجنة سأل الله الجنة، وإذا مرّ بآية فيها ذِكر النار استعاذ بالله من النار، وهكذا.

ومن التفاعل مع القرآن ما ثبت عن النبي ﷺ من قول (آمين) بعد قوله تعالىٰ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] فهو نوع من التفاعل مع القرآن بمعنىٰ: استجب يا رب.

ومن ذلك: مشروعية سجود التلاوة، عند تلاوة الآيات التي يذكر فيها حال المؤمنين الساجدين الراكعين؛ فإن ذلك نوع من التفاعل مع القرآن والاستجابة المباشرة لتوجيهاته، مع مراعاة المواضع التي يكون فيها سجود التلاوة، ولا شك أن لهذه الأفعال أثراً في تدبر القرآن وتعلق القلب به.

۞ سابعا: البكاء عند سماع القرآن[١]:

من الأسباب التي تعين علىٰ تدبر القرآن وفهْمه البكاء عند سماعه، وذلك بأن يتدبر المرء ما اشتملت عليه آيات القرآن الكريم من المعاني ويستحضرها، ويعيش معها بقلبه وكأنه يشاهد حقيقة ما يتحدث عنه القرآن، فيبكي متأثراً، مُوقنًا بحقيقة ما جاء في كتاب الله، طامعًا في وعد الله، حذراً من وعيده، وَجِلاً من خشية الله، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

والبكاء عند سماع القرآن علامة علىٰ إيمان العبد وتصديقه بما يسمع،

---

(١) وانظر ما سبق ص ٢٠٨ إعمال السمع حين الإنصات للقرآن.

وهو شأن أولي العلم العارفين بالله تعالىٰ، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧- ١٠٩].

وقد بكىٰ النبي ﷺ وهو يستمع إلىٰ ابن مسعود عندما قرأ عليه سورة النساء، فعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «قال لي النبي ﷺ: **«اقرأ عليّ»**، قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: **«نعم»** فقرأت سورة النساء حتىٰ أتيت إلىٰ هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، **قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان»**[١].

وفي رواية مسلم: «حتىٰ إذا بلغتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] **رفعت رأسي، أوغمزني رجل إلىٰ جنبي، فرفعت رأسي، فرأيت دموعه تسيل»**[٢].

فقد تأثر النبي ﷺ بسماع هذه الآية التي تذكر ذلك الموقف العظيم عند مجيء الأنبياء للشهادة علىٰ أممهم، ومجيئه ﷺ ليشهد علىٰ أمته.

وقد بوّب البخاري لهذه الأحاديث بقوله: **«باب البكاء عند قراءة القرآن»**، وبوَّب الإمام مسلم لهذه الأحاديث بقوله: «باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه، **والبكاء عند القراءة والتَّدَبُّر**».

قال الغزالي: «ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد، والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره فيحزن لا محالة

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

ويبكي، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبكِ علىٰ فقد الحزن والبكاء فإن ذلك أعظم المصائب»(١).

❁ ثامناً: المجاهدة والترقِّي:

لا شك أن المتدبر سيجد في طريقه بعض العقبات والآلام، وبخاصة إذا كان في بداية الطريق، فلا بد له حينئذ من المجاهدة وتحمّل المشاق لأمرين:

أولهما: أن القرآن ليس كتاباً من الكتب البشرية التي يحيط أي إنسان بها، ويتعرّف علىٰ أغراض مؤلِّفيها بمجرد تصفُّحها، بل إنه يحتاج إلىٰ العلم بمقاصد الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه، وهي غزيرة جمَّة.

ثانيهما: أن معظم القرآن عمليّ وليس نظرياً، ومن ثمّ فلا يمكن فهمه بطريقة نظرية فحسب، بل لا بد للفرد من تجارب يعيشها، وعمل يحققه في واقع الحياة، وهذه إحدىٰ ميزات الصحابة رضوان الله عليهم.

وعلىٰ هذا ينبغي للمتدبر أن يتصبّر لما قد يتعثّره، فيبدأ بتدبر آية، يحاول أن يقف معها، ويتفهّم دلالتها، وينظر أين هو منها؟ ثم بعد الآية آيات، ثم سورة وسُور... وهكذا حتىٰ يرقىٰ إلىٰ درجة عظيمة بالممارسة، وحسبه قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ونختم بجملة من الآداب القلبية ينبغي للمتدبر امتثالها، ذكرها الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: «أصل الوقوف علىٰ معاني القرآن: التَّدَبُّر والتفكُّر... وإذا كان العبد مُصغياً إلىٰ كلام ربه، ملْقِيَ السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطِبه، ناظراً إلىٰ قدرته، تاركاً للمعهود من علمه ومعقوله، متبرئاً من حوله وقوته، معظِّماً للمتكلِّم، مفتقراً إلىٰ التفُّهم بحال مستقيم، وقلب سليم

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٥٠٢.

وقوة علم وتمكُّن سَمْعٍ لفهم الخطاب، بدعاء وتضرع وابتئاس وتمسْكُنّ، وانتظار للفتح عليه من عند الفتاح العليم، وليستَعِن علىٰ ذلك بأن تكون تلاوته علىٰ معاني الكلام، وشهادة وصف المتكلم من الوعد بالتشويق، والوعيد بالتخويف والإنذار بالتّشديد، فهذا القارئ أحسن الناس صوتًا بالقرآن، وفي مثل هذا قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[البقرة: ١٢١]، وهذا هو الراسخ في العلم جعلنا الله من هذا الصنف»[(١)]، وجميع المسلمين، اللهم آمين.

---

(١) البرهان ٢/ ١٨٠، ١٨١ بتصرف.

المعيار السابع: مجالات تدبر القرآن:

المجالات هي: الأمور التي يمكن للمتدبر التفكير فيها لتساعده على التأثر المباشر.

وهي الموضوعات الكليّة الكبرىٰ التي تعتبر المقصد الأساس لقارئ القرآن، فهي أبواب وطرق تساعد المتدبر أن يحسن صياغة سؤاله: ما نصيبي من الآية؟ ومن ثَمَّ يحصل له الأثر بوجهٍ أفضل.

وفتح المجالات للتَّدَبُّر هو ما يسمونه بالإثراء، يعني: كيف أنك تُخرِّج المعانيَ وتفرِّعها، فهي: **إثراء التَّدَبُّر بمجالاتٍ مختلفة.**

ومنها على سبيل المثال(١):

أولًا: إعجاز القرآن وبلاغته: وذلك من جهتين أساسيتين:

جهة اللغة والبيان: (فهم اللفظة ودلالتها، وفهم السياق والأساليب).

وجهة المعاني والتجدد: (الربط بمقاصد القرآن الكليّة، وتنزيل الآيات علىٰ الواقع).

ثانيًا: السورة الكاملة: (موضوع السورة، والمناسبات: [العلاقة، والربط، الهدايات]).

ثالثًا: الموضوع في القرآن: (الوحدة الموضوعيّة، والتكامل، والهدايات).

رابعًا: أساليب القرآن، ومنها: (أقسام القرآن، أمثال القرآن، الخطاب، الاستفهام، الحصر والقصر، قصص القرآن: [الاعتبار، الثبات، الهدايات]).

خامسًا: آيات محددة: (أخوف / أعظم / فضائل/ يكررها...[موقف السابقين، الهدايات]).

---

(١) سيكون الكلام علىٰ جهة التمثيل والإشارة فقط، وقد أفرد العلماء هذه المسائل بمباحث ومؤلفات نافعة.

سادسًا: آيات متشابهة: (نـداءات القـرآن، الفـروق، الهدايـات)، (القرائـن التـي يقـرأ بهـا [المعـاني الإجماليـة، الهدايـات]).

وإليك تفصيلها:

المؤشر الأول: إعجاز القرآن وبلاغته:

وذلـك مـن جهتـي اللغـة والبيـان، بحيـث نلحـظ اللفظـة ودلالتهـا، ونفهـم السـياق والأسـاليب التـي جـاءت فيهـا.

ومـن جهتـي المعـاني والتجـدد، بحيـث: نلحـظ الربـط بمقاصـد القـرآن الكليّـة، ونتأمـل في تنزيـل الآيـات علىٰ واقـع الحيـاة اليـوم، شـخصيًا أو عمومـًا.

فـإذا قـرأ أحدهـم قولـه عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٦٣] فتسـاءل: مـا لـي نصيـبٌ في هـذه الآيـة؛ لأنـه ليس عنـدي مـالٌ أتصـدق منه، أو أَمُـنّ بـه، فهـو يقـول: إن هـذه الآيـة لا تشـملني، فنقـول لـه: لا، بـل تشـملك! ففـي الآيـة لـك أبـواب أخـرىٰ مـن التَّدَبُّـر يجـب أن تلاحظهـا، منهـا مثـلاً:

إعجـاز القـرآن، فالإعجـاز الحاصـل في هـذه الآيـة هـو نصيـبٌ لـك، فهـي في المعنـىٰ لا تشـملك، لكـن بقـي أشـياء أخـرىٰ تشـملك؛ فهـذه الآيـة فيهـا إعجـاز.

كيف أعرف الإعجاز؟

أولًا: انظـر إلى اللغـة والبيـان الـوارد في هـذه الآيـة، فافهـم اللفظـة، وافهـم دلالـة اللفظـة، وافهـم السـياق الـذي وردت فيـه اللفظـة، وافهـم الأسـلوب الـذي جـاء بالآيـة[١]، ولا شـك أن هـذا أَمْـرٌ عظيـم.

انظـر إلـىٰ قولـه: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ﴾ [البقـرة: ٢٦٣] ولاحـظ قـوة اللفظـة!

---

(١) إنما اقتصرت علىٰ هـذه الأوجه من الإعجاز لسـهولة النظر والتَّدَبُّر فيها في كل آية من القرآن، وإلا فشأن القرآن عظيم.

فأولًا بدأ بالاسم، والاسم يدل على الثبوت والاستقرار. ﴿خَيۡرٌ﴾ فبدأ بالتفضيل، ﴿مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ﴾، فهذا إنسانٌ قَدَّم عملاً؛ ولكنه أفسده بعد ذلك، كالذي ذكر النبي ﷺ عنه أنه يقع في المعصية والله عَزَّوَجَلَّ يستره ويريد أن يتوب عليه، ثم يخرج فيقول للناس: قد فعلت، وفعلت، وفعلت[1]، فهذا عكسه، هذا فَعَل الحسنة ثم ذهب يُدَمّرها ويمحوها بسبب ما ألحقه بها من الأذىٰ، نسأل الله العفو والعافية والمِنّة.

فلاحِظ ألفاظ هذه الآية، ولاحِظ ما تدل عليه، ولاحِظ السياق الذي سِيْقَت فيه، ولاحِظ الأسلوب الذي جاءت به؛ فإن هذا لا شك أنه شأن عظيم وعجيب.

وهو نصيبك من هذه الآية إن كنت لا تملك مالاً ولستَ من المتصدقين، لكن باعتبارٍ آخر؛ وهو أن لغة هذه الآية قوية، لا تساويها لغة العرب، ولا أساليبها، ولا بيانها، بل هي أعظم وأَشَدّ.

وفي باب ثانٍ من أبواب الإعجاز: لاحِظ **تَجَدُّد المعاني في الآية**، فإن النظر في تجدد المعاني التي تدل عليها الآية مما يساعد علىٰ تدبرها، وذلك بربطها بمقاصد القرآن الكلية، وربطها بالواقع[2].

فالله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ﴾ فإذا كنتَ الآن لا تملك مالًا

---

(١) لفظ الحديث: **«كل أمتي معافىٰ إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»** أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: ستر المؤمن علىٰ نفسه، ح(٥٧٢١)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق، باب: النهيٰ عن هتك الإنسان ستر نفسه، ح(٢٩٩٠).

(٢) للاستزادة ينظر: بحوث مؤتمر تدبر القرآن العالمي الأول ١٤٣٤هـ، ومقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات ص٢١٢-٢٢٦.

لتتصدق، لكنك تستطيع أن تَرُدّ هذا المسكين بكلمةٍ طيبة، ولذلك فسرها بعض السلف: «عِدةٌ جميلة»[1]، ومثلها أيضًا: الدعاء له بأن يرزقه الله عَزَّوَجَلَّ، وبأن يُفَرِّج هَمّه ويقضي دَيْنه، ونحو ذلك[2]، فهذا من القول المعروف.

فإذاً حِفْظ ماء وجه السائل أو المسكين أو الفقير[3]، وتطييب خاطره ولو بكلمةٍ طيبة، أو دعوةٍ صالحة يسمعها أفضل من أن تتصدق عليه وتؤذيه.

فإذاً هذه الآية فيها تَجَدُّد للمعاني، وفيها تبرز مقاصد الشريعة العامة، ومقاصد القرآن الكلية.

وهناك معانٍ أخرىٰ لم نلحظها في المرة الأولىٰ لمَّا قلنا: (إن هذه الآية لا تعنينا)، وذلك أنّا نظرنا إلىٰ المقاصد، أو نَزّلنا الآية علىٰ الواقع، مثل ما ذُكر قبلُ في سورة (لإيلاف قريش) وغيرها.

ثانيًا: مجال النظر إلى السورة الكاملة:

فما موقع ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗى﴾ في سورة البقرة؟ وما موقعها من الآيات التي كانت قبلها: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦١]؟ وما موقعها من الآية التي كانت قبل ذلك وهي آية الكرسي: **تستشعر تعظيم الله، وتوحيده عَزَّوَجَلَّ.**

فلاحِظ أن هذه المعاني عندما تبدأ ربط بعضها ببعض، أو تربطها بالسورة وما فيها من موضوعات، سواء فيما يتعلق بقضية اليهود وعنادهم لأنبيائهم

---

(١) أخرج ابن المنذر عن الضحاك في قوله: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ﴾، قال: رد جميل، يقول: يرحمك الله، يرزقك الله، ولا ينتهره ولا يغلظ له القول، الدر المنثور للسيوطي ٣/ ٢٤٢، وينظر: البسيط للواحدي ٦/ ٣٠٥، ومعالم التنزيل للبغوي ١/ ٣٢٥-٣٢٦، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٦٦٠-٦٦١.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم- ابن كثير ١/ ٦٩٣، والمصادر السابقة.

(٣) وهذه من محاسن الدين، ينظر: شرح الأربعين النووية للشيخ عطية سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ درس٣١ص٧.

ورسلهم عليهم الصلاة والسلام، أو عنادهم للنبي ﷺ، أو ما فيها من الأمر باستقبال القِبْلة، وصوم رمضان، وحَجِّ البيت، والدعاء لله عَزَّوَجَلَّ، وبيانٍ لنظام الأسرة: من أحكام النكاح، والطلاق، والنفقة، والإرضاع، والإحداد، والعِدّة، وبيانٍ للنظم المالية: كأنواع النفقات، وأحكام البيع والشراء، والديون وكتابتها وحِفْظها، وهي أمورٌ عظيمة، ثم تلحظ علاقة ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ بهذه الموضوعات، ولا شك أنها وثيقة؛ وأنت أيضًا تلحظ إعجاز القرآن العظيم من خلال هذا الباب.

ثالثًا: النظر إلى الموضوع في القرآن:

يأتي بعد ذلك باب آخر غير باب إعجاز القرآن: وهو باب الموضوع في القرآن، أو ما يُسَمَّىٰ بالدراسات الموضوعية(١).

فالإنسان حاله لا يخلو من أحد أمرين:

- إما أن يكون قادراً علىٰ النفقة.

- وإما ألا يكون قادراً علىٰ النفقة، حتىٰ مع أولاده ومع زوجته.

فلاحِظ أن الله عَزَّوَجَلَّ لَمّا أرشدنا هنا وقال: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ فهذا يدل علىٰ أن الإنسان ينبغي أن يتخذ القول الحسن في كل شيء، حتىٰ مع زوجته في نفقتها، حتىٰ مع أولاده، حتىٰ فيما يأمرهم به أو ينهاهم عنه من مسائل النفقة وغيرها، فمن المهم جدًّا أن يتخذ القول الحسن، وأن ذلك خيرٌ من أن يفعل ويعطيهم، ولكنه يَمُنّ عليهم أو يؤذيهم بالكلام فيما بعد ذلك، وهذه قاعدة تربوية عظيمة جدًّا، نَدَر أن تنتبه لها، وهي مأخوذةٌ من رَبْط الموضوع بعضه

---

(١) يراجع: أهمية التفسير الموضوعي في معالجة القضايا المستجدة والمعاصرة في كتب التفسير الموضوعي، التَّدَبُّر الموضوعي في القرآن الكريم: قراءة في المنهجين التجميعي والكشفي، علي آل موسىٰ، المدخل إلىٰ الدراسات القرآنية: مبادئ تدبر القران والانتفاع به، أبو الحسن الندوي، تدبر القرآن وأثره في تزكية النفوس، د. محمد بن عمر بن سالم بازمول.

ببعض، فلاحِظ آيات النفقة التي قبل قوله: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾، ولاحِظ آيات النفقة التي بعدها، إلىٰ أن قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ولذلك خَتمها عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣](١).

فشأن القرآن عظيم؛ ولذلك فإن التَّدَبُّر يساعدنا علىٰ هذه الأبواب الكثيرة، والذي يقول: أنا لم أجد ما أتدبره! نقول له: لأنك تركت الأرض التي فيها زراعة وراء ظهرك، وَالْتَفَتّ إلىٰ الجدار، وما الْتَفَتّ إلىٰ الأرض التي فيها الزراعة، والأرض التي فيها الزراعة -وهي ما نتحدث عنه الآن- هي القرآن، ففيها خيرٌ كثيرٌ، وفيها أشجار مثمرةٌ كثيرةٌ لكنك لم تلتفت إليها، وهذا هو السبب في أننا لا ننتفع بالقرآن ولا نهتدي بهَدْي القرآن(٢).

ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، فهو مُرشِد لكل شيء، والله عَزَّوَجَلَّ سماه فُرقانًا، فهو يُفرِّق بين الحق والباطل في كل شيء، حتىٰ في القضايا البسيطة السهلة التي بينك وبين زوجتك، أو بينك وبين ولدك، أو بينك وبين أخيك، أو بينك وبين أبيك، ما هي من الصعوبة بمكان، وفي القرآن هدايتها ظاهرة، لكن هل نبحث عن هذه الهدايات، وننظر فيها ونسأل عنها أم لا؟ هذا هو التحدي الذي يجب أن نعيشه(٣).

وأن يكون النظر في الموضوع القرآني ككلٍ، سواء في وحدته في القرآن، أو الهدايات والأحكام والفوائد من الموضوعٍ الواحد، مثاله: أسباب شرح

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(١١٢-١١٦).

(٢) ينظر: كتاب الفوائد للإمام ابن القيم ص (٥)، العودة إلىٰ القرآن لماذا وكيف، مجدي الهلالي.

(٣) من ثمرات تدبر هذه الآية كتب الشيخ عبدالعزيز السلمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا في مجلدين: الأنوار الساطعات لآيات جامعات، كان المجلد الثاني عن هداية القرآن للتي هي أقوم.

الصدر والحياة السعيدة في القرآن[١].

أو النظر في موضوع السورة، وذلك بالنظر لكل السورة، وربطها بما قبلها وما بعدها من السور، وربط آياتها بموضوعاتها[٢].

أو النظر في الهدايات والأحكام، وذلك بعمق الدراسة عن المعاني التي تدل عليها الآيات، مثاله: الحِكَم، وقواعد التعامل، أو التربية، أو اللغة، وغيرها[٣].

رابعًا: النظر في أساليب القرآن:

ومن الأمور التي تساعدنا كثيراً علىٰ مسألة التَّدَبُّر، وهي مجالات ربما أننا لا نُفَكِّر فيها أحيانًا: **هو أسلوب القرآن**، وهناك عددٌ من أساليب القرآن العظيمة في باب التَّدَبُّر والإعجاز[٤].

قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٨٩]، وتصريف الآيات يشمل تنويع الأساليب، فيؤتىٰ

(١) من ثمرات ذلك كُتبت رسائل علمية، منها: الحياة الطيبة في القرآن، د. صالح بن عبيد العبيد.

(٢) من ثمرات ذلك كتبت رسائل علمية في سور القرآن، وموسوعة التفسير الموضوعي ط. جامعة الشارقة.

(٣) من ثمرات ذلك كتبت رسائل علمية، منها: الحكم في العبادات، والحكم في المعاملات، رسالتان علميتان، قواعد قرآنية: خمسون قاعدة في النفس والحياة، د. عمر بن عبدالله المقبل، وغيرها.

(٤) ينظر في هذا ما كتب في علوم القرآن: كالبرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي، ومباحث في علوم القرآن للقطان ص(٢٩٠-٣٢٢)، وما كتب في أسلوب القرآن مثل: المعجزة الكبرىٰ لمحمد أبو زهرة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبدالخالق عضيمة، من أساليب القرآن لإبراهيم السامرائي، البديع في ضوء أساليب القرآن لعبدالفتاح لاشين السيد لاشين، بلاغة القرآن لمحمد الخضر حسين، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية لعبدالعظيم إبراهيم محمد المطعني، وعادات القرآن الأسلوبية: دراسة تطبيقية لراشد بن حمود بن راشد الثنيان، وخصائص الأسلوب القرآني لأبي بكر بن محمد فوزي البخيت، وغيرها، وما أفرد لكل أسلوبٍ منها علىٰ حدة.

بالدليل الواحد بأكثر من أسلوب: فتارة بالخبر، وتارة بالاستفهام، وأخرىٰ بالنفي والإثبات، وأحيانًا بضرب الأمثال أو القصص، ونحوها، وكل ذلك وارد في القرآن.

فأسلوب القَسَم في القرآن باب عظيم[(١)].

والْمَثَل في القرآن أسلوب عظيم[(٢)].

والخبر والقصص أسلوبان عظيمان[(٣)].

والخطاب في القرآن -الذي هو الأمر والنهي- أسلوب عظيم[(٤)].

---

(١) أفرده العلماء بمباحث ومؤلفات نافعة، مثل: التبيان في أقسام القرآن لشمس الدين ابن القيم، إمعان في أقسام القرآن لعبدالحميد الفراهي، أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم بلاغته وأغراضه د. سامي عطا حسن، جملة الجواب في أسلوب القسم تركيبًا ودلالةً لسامي عوض، وفاتن حجازي وخالد حمَدو، أسلوب القسم في القرآن دراسة بلاغية لعلي محمد الحارثي، أسلوب القسم في القرآن الكريم: دراسة إحصائية لـ وضحة عبدالكريم الميعان، أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط في رحاب القرآن الكريم لعلي أبو القاسم عون، أساليب القسم والشرط في القرآن لأحمد بن عبدالعزيز اللهيب.

(٢) أفرده العلماء بمباحث ومؤلفات نافعة، مثل: الأمثال في القرآن لشمس الدين ابن القيم، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله د. عبدالله الجربوع، ضرب الأمثال في القرآن لعبدالمجيد البيانوني، الأمثال في القرآن لمحمود بن الشريف، عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن لعلي أحمد الطهطاوىٰ، الأمثال في القرآن الكريم للشريف منصور بن عون العبدلي، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع تأملات وتدبر لعبدالرحمن حبنكه الميداني، الأمثال القرآنية دراسة وتحليل وتصنيف ورسم لأصولها وقواعدها ومناهجها له أيضًا، أمثال القرآن وأثرها في الأدب العربي إلىٰ نهاية القرن الثالث الهجري لنور الحق تنوير، الأمثال في القرآن الكريم دراسة موضوعية وأسلوبية الصديق بن محمد بن قاسم بو علام.

(٣) أفرده العلماء بمباحث ومؤلفات نافعة، مثل: الأسلوب الخبري وأثره في الاستنباط في القرآن الكريم لمحمد حبتر عسيري، أسلوب الخبر في القرآن الكريم دراسة بلاغية نقدية لأحلام موسىٰ حيدر الزهاوي، والقصص القرآني لعماد زهير حافظ، أدب القصة في القرآن الكريم لعبدالجواد المحص، وأباطيل الخصوم حول القصص القرآني لعبدالجواد المحص.

(٤) ينظر: أسلوب الأمر في القرآن الكريم ليحيىٰ خليل مراد، صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم

والاستفهام في القرآن أسلوب عظيم[(١)].

الحصر والقصر في القرآن أسلوب عظيم[(٢)]، وهكذا بقية أساليب القرآن[(٣)].

١ - أسلوب القسم:

أسلوب القسم في اللغة: طريق من طرق توكيد الكلام وإبراز معانيه ومقاصده علىٰ النحو الذي يريده المتكلِّم، إذ يُؤتىٰ به لدفع إنكار المنكرين، أو إزالة شك الشاكِّين.

وللقسم في القرآن الكريم مقاصد كثيرة، وفي طيَّاته مواطن للعظة والعبرة، ومجالات رحبة للتأمُّل والنظر، ولطائف خفية يكتشفها المؤمن بنور بصيرته، فيزداد بها يقيناً يسمو به إلىٰ معرفة الله جل جلاله وعز شأنه.

لمحمود توفيق محمد سعد، الأمر والنهي في النسق القرآني لسيد عبدالرحيم عطية، الأوامر القرآنية ودلالتها علىٰ الأحكام الشرعية لدياب محمد سليم محمد عمر، النواهي القرآنية ودلالتها علىٰ الأحكام الشرعية له أيضاً.

(١) أفرده العلماء بمباحث ومؤلفات نافعة، مثل: إمعان في أقسام القرآن، عبدالحميد الفراهي. التبيان في أيمان القرآن، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. القسم في القرآن الكريم، حسين نصَّار. أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم، د. سامي عطا حسن. أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية، د. علي الحارثي (رسالة ماجستير). القسم في القرآن، د. سليمان بن علي. آيات القسم في القرآن الكريم، أحمد كمال المهدي (رسالة ماجستير). القسم في القرآن الكريم تركيبا ودلالة، عبدالله الهتاري (رسالة ماجستير). ولا يخلو كتاب في علوم القرآن من مبحثٍ أو فصل عنه.

(٢) أفرده العلماء بمباحث ومؤلفات نافعة، مثل: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية لصباح عبيد، أسلوب القصر في محكم النظم لهشام الديب.

(٣) كالجدل: مناهج الجدل في القرآن الكريم لزاهر بن عواض الألمعي، والتكرار: أسرار التكرار في القرآن (البرهان في توجيه متشابه القرآن) لمحمود بن حمزة الكرماني، والتشبيه: الجمان في تشبيهات القرآن لعبدالله بن الحسين بن ناقيا البغدادي، والعطف: بلاغة العطف في القرآن دراسة أسلوبية لعفت محمد الشرقاوي، والالتفات: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية لحسن جاد عبدالجواد طبل، وغيرها مما يطول حصره وتتبعه.

والمقسَم بـه لا يكـون إلّا باسـم معظَّـم في ذاتـه أو لمنفعـة فيـه، أو للتنبيـه علىٰ كوامـن العـبرة فيـه[(١)].

وهـو سـبحانه يُقسِـم في القـرآن علـىٰ أصـول الإيمـان التـي يجـب علـىٰ الخلـق معرفتهـا، وتـارةً يُقسِـم علىٰ التوحيـد، وتـارة يُقسِـم علىٰ أن القـرآن حقٌّ، وتـارة علىٰ أن الرسـول حـقٌّ، وتـارة علىٰ الجـزاء والوعـد والوعيـد، وتـارة علىٰ حال الإنسـان[(٢)].

٢- أسلوب الأمثال:

«وأحسـن الأمثـال هـي أمثـال القـرآن الكريـم؛ لمـا حوتـه مـن المعـاني الحسـنة، والدلائـل العميقـة، المتضمنـة للحكمـة، ودلائـل الحـق في المطالـب العاليـة، وهـي: تشـبيه شـيء بشـيء في حكمـه، وتقريـب المعقـول من المحسـوس، أو أحـد المحسوسـين مـن اللآخـر، واعتبـار أحدهمـا بالآخـر.

والأمثـال في القـرآن الكريـم مـن تصريـف الآيـات الَّـذِي ورد في القـرآن الكريـم كمـا قَـال تعالـىٰ: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦]، وقـال سـبحانه: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ [الإسراء: ٨٩]، وتصريـف الآيـات يشـمل تنويـع الحجـج والبراهيـن علـىٰ قضيـة واحـدة، فيُؤتـىٰ للقضيـة الواحـدة بأكثـر مـن دليـل وبرهـان، فتتابـع عليهـم الحجـج، وتُصـرَّف لهـم الأمثـال والعـبر، والأمثـال يُفَصِّـل الله بهـا الحجـج والعـبر والمواعـظ، ونحوهـا.

وقـد أشـاد الله سـبحانه بأمثـال القـرآن، مبينـًا أنـه اشـتمل علـىٰ كل مَثَـلٍ مـن الحـق يحتاجـه النـاس، وأن السـبيل قـد اسـتبان بتلـك الأمثـال، ومـا بقـي علـىٰ النـاس إلا أن يتفكـروا بهـا ويتذكـروا، قـال تعالـىٰ: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ

---

(١) بتصرف من كتاب دراسات في علوم القرآن محمد بكر إسماعيل، ص(٤٠٣، ٤٠٧).

(٢) بتصرف من كتاب التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص(٣).

مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴾ [الكهف: ٥٤]. وقال: ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

والتمثيل القرآني اعتمد التشبيه وتراكب معه، فكل تمثيل قرآني يعقبه تشبيه، ومن خصائص التشبيه القرآني: إبراز المعنىٰ في صورة رائعة لها وقعها في النفس، فالتمثيل القرآني في غالبه مصرح بلفظ التشبيه؛ سواء «الكاف»، أو «مثل»، والتشبيه أنجع وسيلة أسلوبية يتخذها المثل لتحقيق مراميه في الكشف عن المعنىٰ الذي يحيل إليه، فالتوظيف المكثف له في المثل القرآني لم يأت إلا لكونه عنصراً ضرورياً لأداء المعنىٰ القرآني متكاملاً من جميع الوجوه»[(١)].

والنظر في أمثال القرآن مهمٌّ للمتدبر في القرآن، ولا سيما الأمثال الصريحة، وقد عَدَّ منها شيخ الإسلام ابن تيميّة (٦٧) مثلاً صريحاً[(٢)].

٣- أسلوب الخبر والقصص:

نوقن أن القرآن كلام الله، وكله صدق، لأنه لا أحد أصدق حديثاً وقولاً من الله، ولا يجوز أن نبحث عن مصدر بشري لما يذكره القرآن، ويكفي ذكر الخبر في القرآن دليلًا علىٰ تصديقه.

والخبر في القرآن الكريم أسلوب غني بالمعاني والصور البلاغية المتعددة، فالله يخبر في القرآن «إما عن نفسه، وإما عن مخلوقاته، خبره عن نفسه بأسمائه وصفاته، وخبره عن مخلوقاته بالقصص، والخبر عن ملائكته وأنبيائه، ومن تقدم من الأمم المؤمنين والمكذبين، وعما يكون في القيامة من الثواب والعقاب، والوعد والوعيد، بل ما تبلغه الرسل من خبره أكثر ممّا

---

(١) مختصراً من بحث: التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم عبدالمحسن الجزائري، ملتقىٰ أهل اللغة: http://ahlalloghah.com.

(٢) ينظر رسالته فيها ضمن مجموع الفتاوىٰ ١٤/ ٦٥-٦٧.

تبلغه من أمره، والخبر في القرآن أكثر من الأمر»[١]، وقد يتكرر الخبر في القرآن لأهميته وعظيم دلالته[٢].

ومن أنواع الخبر القصص: والقصص كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١].

ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾[هود: ١٢٠] فهو تثبيت لفؤاد النبي ﷺ، فمن باب أَوْلَىٰ أن يكون تثبيتًا لأفئدتنا[٣].

ولذلك إذا جاءتكم الأمور التي تزلزل، وتجعل الحليم حيرانَ، فاقرأ قصص القرآن، حتىٰ لا تُفاجئكم أحداث الدنيا وابتلاءات الله عَزَّوَجَلَّ التي يبتلي بها عباده ليرجعوا إليه، ويعودوا ويُنيبوا إليه، اقرأوا القصص ففي القصص التثبيت وقوة اليقين والتعلق بالله، والتوكل علىٰ الله والالتجاء إليه، وطَرْح الحول والقوة من النَّفْس، وهنا تقوىٰ العزائم، ويشعر الإنسان بلذة لا يشعر بها إذا هو جلس يُجاري تلك الأحداث، وتلك الأخبار التي ربما أضعفته، بل ربما فتحت بابًا للشيطان ليُوصله إلىٰ اليأس من رحمة الله والقنوط، نسأل الله العفو والعافية.

وكم رأينا ممَّنْ لم يثبت في تلك المصائب والمِحَن التي أصابته، والسبب:

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص(١٠٣) باختصار.

(٢) وتميز «البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديثه عن أغراض الخبر مع الإيجاز، فهو يفسر الآية أحيانًا بالغرض البلاغي وبلفظ واحد، في حين نجده في مواضع أخرىٰ يفصل وينَّوع في تفسيره بين النحو والبلاغة والمعاني وفصاحة الآية»، الأساليب البلاغية في تفسير نظم الدرر خالد العزاوي ص(٢٦)، وينظر أغراض الخبر: الصاحبي لابن فارس ص(١٣٣)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ٣١٧.

(٣) يجب «التوجه إلىٰ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ الذي كان يثبت قلب محمد ﷺ، فينزل برداً وسلامًا علىٰ ذلك القلب المؤمن؛ ليزيده تماسكًا وثباتًا، ونحن أحوج والله إلىٰ هذه المسألة أن نقبل علىٰ كتاب الله بالتلاوة، والحفظ، والتَّدَبُّر، والتأمل، لنعرف عوامل الثبات عند الفتن». مختصرًا من الثبات في الفتن لمحمد المنجد https://almunajjid.com/8129.

هو أنه لم يعالج نفسه من تلك المصيبة التي أصابته بقراءة قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ به أيضًا حتىٰ عن أتباع الأنبياء.

٤- أسلوب الخطاب (الأمر والنهي):

يقول الإمام الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن، يأتي علىٰ نحو من أربعين وجهًا»(١)، ثم شرع يذكرها ويمثل لها.

لاحظ حين يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، فهو حدَّد الصراط المستقيم بصراط الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام والذين اتبعوهم، لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول في سورة النساء: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء: ٦٩]، فلا زال الباب مفتوحًا، يعني وأَحْسِن لِمَنْ كان رفيقًا لهؤلاء.

فهل نتسابق لنكون رفقاء لهؤلاء الذين أنعم الله عليهم أم لا؟ فنلحق بمنهج الأنبياء والصالحين الذي مَدَحه الله عَزَّوَجَلَّ في هذه السورة وأَمَرنا بأن نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن نكون عليه.

أو إن لم نكن علىٰ صراط الذين أنعم عليهم فهي الأخرىٰ، فهنا حَصْر، ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾، فإننا إن لم نكن من الذين أنعم عليهم فإما أن نكون من المغضوب عليهم، وإما أن نكون من الضالين.

والمغضوب عليهم: هم اليهود، والضالون: هم النصارىٰ(٢).

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢١٧-٢٥٣.

(٢) وهو نص حديث عدي بن حاتم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ المرفوع، وهو في مسند الإمام أحمد ٤/ ٣٧٨-٣٧٩، والترمذي في جامعه أبواب: التفسير، باب: ومن سورة فاتحة الكتاب (٢٩٥٤)، وغيرهما، وصححه بمجموع طرقه الألبانيُّ في الصحيحة ح(٤٦٢٤).

وسبب غضب الله على اليهود: أنهم عندهم عِلْمٌ لم يعملوا به، فتركوه وراءهم ظهريًّا، واشتروا به ثمنًا قليلًا، كما ذَكَر الله عَزَّوَجَلَّ في سورة البقرة وفي غيرها عنهم.

وضل النصارى كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[الحديد: ٢٧]؛ فعَبَدوا الله عَزَّوَجَلَّ على جهل.

وهما طريقان لا ثالث لهما؛ فإما أن يكون عندك علمٌ وتعمل به؛ فأنت من الذين أنعم الله عليهم، وإما أن يكون عندك علمٌ وتُعرِض عنه؛ فأنت من المغضوب عليهم، وإما أن تكون تعمل من غير عِلْم فأنت من الضالين، هي قِسمة عقلية منطقية.

فالله عَزَّوَجَلَّ حَصَر لك الطرق كلها بهذه الثلاثة لا غير؛ فإما أن تكون من الْمُنعَم عليهم، وإما أن تكون من المغضوب عليهم، وإما أن تكون من الضالين(١).

فالأساليب الخبرية تختلف باختلاف غرض المتكلِّم وحال المخاطب:

- فإذا كان المخاطَب خالي الذهن، جاءه الخبر من المتكلم من غير توكيد بالقسم ولا بغيره.
- وإذا كان المتكلم قد رأى أن المخاطب يشك في كلامه؛ أكَّدَ له القول بنوع من أنواع التوكيد، وأهمها: القسم، المثل، الاستفهام، وهكذا بقية الأنواع، كلٌّ منها في سياقه.
- وإذا كان قد رأى المخاطَب ينكِرُ قوله، كان التوكيد أولى وألزم.

---

(١) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم، فقد أجاد وأفاد في الفاتحة ومضامينها ١/ ١١٠، تفسير الفاتحة والبقرة لابن عثيمين ج١، وتفسير سورة الفاتحة ويليه المسائل المستنبطة منها لعبدالله إبراهيم القرعاوي، وتفسير الفاتحة مثالا على تدبر القرآن منشورٌ بملتقى أهل الحديث: http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=56899&d=1211367310.

ومن هنا قسَّم علماء البلاغة أسلوب الخبر إلىٰ ثلاثة أقسام:

أ- ابتدائي، ويُلْقَىٰ لخالي الذهن من غير توكيد.

ب- طلبي، ويلقىٰ لمن داخله الشك مؤكداً بأداة من أدوات التوكيد.

ج- إنكاري، ويلقىٰ لمن أنكر القول مؤكداً بأكثر من توكيد.

الأمر في لسان العرب: ما أوجب طاعة الآمر، وإذا لم يفعله المأمور كان عاصياً، كما عقل ذلك من عادتهم إذا أمر السيد عبده، ومعناه عندهم: الاستدعاء والطلب، وسواء كان بصيغة افعل، أو ليفعل، أو غيرهما، وما ليس معناه الطلب فليس بأمر حقيقة، وإن كان بصيغة افعل.

والكلام فيه يتم في فصلين: أحدهما: في مقتضىٰ الأمر عند أهل العلم، **والثاني**: في كيفية تصرف العرب في استعماله، ولذلك وجوه كثيرة، وكلها تعرف بمخرج الكلام وسياقه، وبالدلالة القائمة من قرائن الأحوال ومناسبات المقام[(١)].

٥- أسلوب الاستفهام:

لاحظ الاستفهام في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

والاستفهام نوعان:

- إما أن يكون استفهام إنكار.

- وإما أن يكون استفهام تقرير.

فهذا استفهام تقرير؛ فالله عَزَّوَجَلَّ يَمُنّ علىٰ عبده ورسوله، ومُصطفاه وحبيبه، ومُجتباه محمد ﷺ بأن شَرَح له صدره[(٢)].

---

(١) ينظر: تيسير البيان لأحكام القرآن للموزعي ١/ ٨٣ وما بعدها، مختصراً.

(٢) ينظر: البحر المحيط ١/ ٢٤٢، واللباب لابن عادل ١/ ٥٢٤، والعذب النمير للأمين الشنقيطي ٢/ ٢٦٥، و٤/ ١٦٧، والحروف العاملة في القرآن الكريم ص٦٣٤.

والسؤال الذي يجب أن نسأله أنفسنا: نحن ما نصيبنا من شَرْح الصدر هذا[(١)]؟

فهنا أسبابٌ لشَرْح الصدر، وللأسلوب المستعمل في الآية اعتبارٌ ومعنىٰ، وللمعنىٰ المذكور في الآية علاقةٌ بغيره -مما هو بمعناه من الآيات الأخرىٰ، أو ما هو متعلقٌ به كسبب أو ثمرة-، وهو استفهام التقرير؛ لأن استفهام التقرير يعني: الامتنان، والامتنان يعني ماذا؟ تعظيم تلك النعمة، واستنزالها للشكر الواجب، فضلاً عن الشكر المندوب.

ويلحظ أن الله عَزَّوَجَلَّ في آخر السورة التي بعدها، سورة التين والزيتون، قال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، وهو استفهام تقرير[(٢)].

«قال بعض الأئمة: ما جاء علىٰ لفظ الاستفهام في القرآن فإنما يقع في خطاب الله تعالىٰ علىٰ معنىٰ أن الخَاطَبَ عنده عِلْمُ ذلك الإثبات أو النفي حاصِلٌ فَيَسْتَفْهِمُ عنه نَفْسَهُ تُخْبِرُه به؛ إذ قد وضعه الله عندها، فالإثبات كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، والنفي كقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤] ومعنىٰ ذلك: أنه قد حصل لكم العلم بذلك، تجدونه عندكم إذا استفهمتم أنفسَكم عنه، فإنَّ الرب تعالىٰ لا يستفهم خلقَه عن شيء، وإنما يستفهمهم ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء؛ فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن»[(٣)].

---

(١) عقد لها فصلًا في الضوء المنير علىٰ التفسير ٣/ ٩٢-٩٥، وينظر: زاد المعاد لابن القيم ٢/ ٢٣-٢٨، والوسائل المفيدة للحياة السعيدة للسعدي، ومن أسباب شرح الصدر لعبدالعزيز السدحان.

(٢) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني ٦/ ٢٥٤، البحر المحيط ١/ ٥٥٢، وتفسير الحجرات - الحديد لابن عثيمين ص١٣٩.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ٣٢٧.

ومثال استفهام الإنكار قول المشركين كما أخبر عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾[ص: ٥]، فهذا استفهام إنكار[١] وهكذا.

«قال الله جل وعلا: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ [النحل: ٢٧] فنسب إلىٰ نفسه الشركاء ﴿شُرَكَآءِىَ﴾ وليس له شريك جل وعلا؛ ليقرِّعهم ويوبِّخهم، كأنه يقول: هذا ربي علىٰ التسليم الجدلي والتنزل، وفرض المُحال، وتسليم المُحال، علىٰ قولكم الكاذب الفاسد، فكيف يكون الربُّ وهو يأفل ويسقط؟ فمقصوده بهذا ليفحمهم»[٢].

«ومن الاستفهام في القرآن ما يكون لبيان الاستحالة، وهو يقارب في معناه نفي وإنكار الوقوع إلىٰ حدِّ أنه يكون احتمالاً غير معقول، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ [الزخرف: ٤٠] بمعنىٰ: إنَّك تخلق فيهم بصراً يبصرون به، وأن هذا فيه استفهام إنكاري، وفيه استعارة تمثيلية، فقد مُثِّلت حالُهم بحال الأصمِّ الذي لا يسمع، أو في آذانه وقرٌ، وبحال من فقد البصر، وأن يطلب هدايتهم كمن يطلب السمع من الأصم، أو يطلب الإبصار ممن فقد البصر، فالاستفهام لاستحالة موضوع السؤال وأنه لا يقع»[٣]، فشأن أسلوب الاستفهام في القرآن عظيم.

٦- أسلوب الحصر والقصر:

والحصر والقصر يأتي لفائدة ومعنىٰ، وهو: إثبات الحكم في المذكور، ونفيه عما عداه، وهو من الإشارات والدلالات في القرآن التي هي مفاتيح لما أغلق علىٰ الأفهام، والحصر والقصر لهذا البعض دليلٌ علىٰ انعدام غيره.

---

(١) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني ٤/ ١٠٨، والوسيط ٣/ ٣٨٢، ومعالم التنزيل ٣/ ٤٢٥، وتفسير ابن أبي العز لشايع الأسمري، مجلة الجامعة الاسلامية ١٢١/ ٢٤.

(٢) العذب النمير ١/ ٤١٨.

(٣) المعجزة الكبرىٰ، محمد أبو زهرة ص١٦٠.

مثاله: لَمّا يقول الله سبحانه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾[العصر: ١، ٢]، فالله عَزَّوَجَلَّ الآن جَعَل جنس الإنسان خاسراً، ثم استثنىٰ الأقل: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، فَحَصر الأقل فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [العصر: ٣]، ثم قصر هؤلاء الذين آمنوا بأربع صفات: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾.

وقدّم ربنا الجار والمجرور في موضعين بآية واحدة: ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾[الرعد: ٣٠]، ولم يقل توكلت عليه ومتابي إليه؛ ذلك لإفادة الحصر والقصر، فعلىٰ الله التوكل لا علىٰ غيره، وإليه الرجوع والتوبة لا إلىٰ غيره؛ فهو المتوحِّد بالألوهية والمتفرد بالربوبية؛ فلا يحسن التوكل علىٰ غيره ولا الرجوع إلىٰ من سواه.

فهذا الباب -أساليب القرآن- من أبواب التَّدَبُّر.

ونَدَر أنك تقرأ آيات وما يكون فيها واحد من هذه الأساليب، لا أقول: ممكن تقرأ ولا يكون فيها، لكن علىٰ الأقل يكون فيها خطاب، فأسلوب القرآن المستعمل في الآية هو محل التَّدَبُّر، إذا كان تقول: المعنىٰ لا يعنيني هنا، ونَدَرَ أن يكون المعنىٰ لا يعنيك.

فنحتاج فتح المجالات حتىٰ يكون الإنسان لا عُذر له، فما من آية ليس لك مجال أن تتدبر فيها.

فإما أن يكون المعنىٰ، وإما أن يكون الإعجاز وما يتعلق به، وإما أن يكون الموضوع الذي تتحدث عنه الآية، وإما أن يكون الأسلوب الذي جاءت به الآية.

خامسًا: النظر في آيات محددة:

هذا باب آخر مختلف عن هذه الأبواب كلها؛ وهو باب: **آيات معينة**،

فيقولون: هذه أخوف آية في كتاب الله[١]، مثال ما ذكروه في أخوف آية، قالوا: إنَّ قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣]: هذه أخوف آية في كتاب الله؛ أن الله عَزَّوَجَلَّ سيجازينا بأعمالنا، وإذا جازانا الله عَزَّوَجَلَّ بأعمالنا سنهلك بلا شك.

وأرجى آية[٢] -أيّ مُقابلها-: قالوا: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[الزمر: ٥٣].

وهكذا لَمّا يقولون: أعظم آية: آية الكرسي[٣] مثلًا، أو أعظم سورة: الفاتحة[٤]، وسورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٥] مثلًا، أو لَمّا يقولون: إن هذه لها فضيلة، مثلما ورد في سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أنها تعدل ربع القرآن[٦]، وأنها براءةٌ من الشرك[٧].

---

(١) تناول هذه الأنواع: الزركشي في البرهان ١/ ٤٤٢-٤٤٨، والسيوطي جمع فيه أكثر الأقوال: في مفردات القرآن ٤/ ١٤٨-١٥٧، وقبله.

(٢) يراجع المصادر السابقة، ومعترك الأقران ١/ ٣٥٨-٣٦١.

(٣) لحديث أُبيّ بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي ح(٨١٠).

(٤) لحديث أبي سعيد بن المُعلَّى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: التفسير، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب ح(٤٤٧٤، ٤٦٤٧).

(٥) لحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٥٠١٣).

(٦) حديثان أخرجهما الترمذي، أبواب: ثواب القرآن، باب: ما جاء في إذا زلزلت، (٢٨٩٣-٢٨٩٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٣/ ٥٨.

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ح(٢٣٨٠٧)، والترمذي أبواب: الدعوات باب منه ح(٣٤٠٣) ٩/ ٣٤٨، وأبو داود في سننه كتاب: الأدب، باب: ما يقول عند النوم ح(٥٠٥٥) ٥/ ٣٠٣، وصححه ابن حجر في تغليق التعليق (٤/ ٤٠٨)، وصحح إسنادَه الألبانيُّ في الصحيحة تحت ح٩٣٨.

وعن سورة الملك: أنها الْمُنجِية[١]، وغير ذلك.

فما يذكره النبي ﷺ من فضائل الآيات أو السُّور، أو ما يذكره الصحابة، أو ما يسمونه باسم معين مثل أعظم آية، أخوف آية، أرجىٰ آية...إلىٰ غير ذلك، فهذه الأشياء تحتاج لتَّدَبُّر مخصوص بهذا الاعتبار.

وكذلك الآيات التي كان يكررها النبي ﷺ أو يكررها الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم، أو حتىٰ بعض التابعين[٢].

فهذه الآيات التي تميزت بهذه الأشياء نلحظ أنها لا علاقة لها ببيان المعنىٰ في التفسير، لكنها تهمنا كثيراً في مسألة التَّدَبُّر؛ لأن هذا بابٌ من أبواب التَّدَبُّر، ومجالٌ من مجالاته نغفل عنه غالبـًا.

وأختصر هذا كله بعنوانٍ مقترحٍ: مواقف السابقين مع الآيات، أو الهدايات التي استنبطها السابقون من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين والعلماء رحمهم الله تعالىٰ من هذه الآيات.

فهذه كلها تحتاج إلىٰ نوع من التَّدَبُّر والنظر والاعتبار، وهي تُحَقّق جزءاً كبيراً من السؤال: ما نصيبي أنا من هذا الأمر؟

سادسًا: النظر في الآيات والسور المتشابهة:

ومثل الآيات المحددة: **الآيات المتشابهة**، مثل: نداءات القرآن، فلو سألت: كم آية فيها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾؟ كم آية فيها جاءت بنداء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) أخرجه الترمذي، أبواب: ثواب القرآن، باب: ما جاء في فضل سورة الملك ح(٢٨٩٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١١٤٠)، وفي صحيح الترغيب والترهيب ٢/ ١٩٣، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٩٨ عن عبدالله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ موقوفـًا بلفظ: (فهي المانعة تمنع من عذاب القبر)، وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، قال الألباني: «وهو في حكم المرفوع».

(٢) عقد الإمام النووي في كتابه التبيان بابـًا سماه: استحباب ترديد الآية للتَّدَبُّر ص٨٥، فيراجع، ومقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات ص٢٤٣-٢٤٤.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾(١)؟ وبنداء ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾(٢)؟

كم آية فيها ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾(٣)؟

كم آية فيها: ﴿وَمِنْهُمْ، وَمِنَ...﴾(٤)؟ كم آية فيها دعاء(٥)؟ وهكذا.

هذه آيات متشابهة، أي: كل مجموعة من هذه الآيات في بابٍ واحد.

وأيضًا منها مسألة الفروق:

مثلًا: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقوله: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[الزمر: ٧].

وفي مثل قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]،

---

(١) وقد عدّها بعضهم (٨٨) موضعًا، في البقرة ١١ مرة - آل عمران ٧ مرات - النساء ٩ مرات - المائدة -١٦ مرة - الأنفال ٦ مرات - التوبة ٦ مرات - الحج مرة واحدة - النور ٣ مرات- الأحزاب ٦ مرات - محمد ٦ مرات - الحجرات ٥ مرات - الحديد ٥ مرات - المجادلة ٣ مرات - الحشر مرة واحدة - الممتحنة ٣ مرات - الصف ٣ مرات - الجمعة مرة واحدة - المنافقون مرة واحدة - التغابن مرة واحدة - التحريم مرتان.

(٢) وقد عدّها بعضهم عشرون موضعًا: في سورة البقرة مرتان - النساء ٣ مرات - الأعراف مرة واحدة - يونس ٤ مرات - الحج ٤ مرات - النمل مرة واحدة -لقمان مرة واحدة-فاطر ٣ مرات - الحجرات مرة واحدة.

(٣) وقد عدّها بعضهم عشرة مواضع: في سورة البقرة ٤ مرات- الحج ٣ مرات- العنكبوت مرة واحدة- لقمان مرة واحدة- فاطر مرة واحدة.

(٤) وقد عدّها بعضهم (٨٤) موضعًا، منها في المؤمنين ٣١ موضعًا، وفي الكافرين ٢٢ موضعًا، وفي عموم الناس١٧ موضعًا، وفي المنافقين ٩ مواضع، وفي اليهود ٥ مواضع.

(٥) الدعاء الوارد في القرآن نوعان: **عامٌ**؛ وقد كتب فيه رسالتي ماجستير: الدعاء في القرآن الكريم أساليبه ومقاصده وأسراره، بهية بنت حامد اللحياني، والمفاهيم المستمدة من آيات الدعاء في القرآن الكريم ودلالتها التربوية، روضة سليم إسماعيل المدهون. **ودعاء الأنبياء**؛ وقد كتب فيه رسالة ماجستير: دعاء الأنبياء في القرآن الكريم، وداد طاهر محمد نصر. منشورة على الشبكة، والموضوع جدير بالاطلاع والقراءة والتَّدبُّر.

[لقمان: ٣١]، [سبأ: ١٩]، [الشورىٰ: ٣٣]، وردت في أربعة مواضع[(١)]...وهكذا.

فتجد أن هذه الفروق تشتمل علىٰ فوائد، مثلاً: ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ٢٠]، ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٠٧]، [الشعراء: ٣٢]؛ ما الفرق بين الحية والثعبان؟[(٢)].

فملاحظة **هذه الفروق من التَّدَبُّر**، وهو سهل، وليس صعبًا.

كذلك أيضًا من الأبواب التي يكون فيها التَّدَبُّر: **القرائن.**

وهي السور التي كان يقرن الرسول ﷺ بينها في قراءته عمومًا، أو غالبًا كما في الجمعة مثلاً، والصبح والمغرب والعِشاء، وغيرها.

فمثلاً: ما هي الآيات أو السور التي كان يقرأ بها النبي ﷺ في صلاته[(٣)]؟

فعن أبي وائل قال: غدونا علىٰ عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال رجل: قرأتُ المفصّل البارحة، فقال: (هَذًّا كَهَذِّ الشّعر! إنّا قد سمعنا القراءة وإنّي لأحفظ القرناء الّتي كان يقرأ بهنّ النّبيّ ﷺ: ثماني عشرة سورة من المفصّل وسورتين من آل حم)[(٤)].

فعَدّ منها ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عشرين سورة، فهذه السُّوَر التي كان يقرن بها النبي ﷺ في صلاته أحيانًا لها معنىٰ، وهي باب من أبواب التَّدَبُّر.

---

(١) قال السعدي: «الذي لا صبر عنده، ولا شكر له علىٰ نعم الله؛ فإنه معرض أو معاند لا ينتفع بالآيات». تيسير الكريم الرحمن ص(٧٥٩).

(٢) ينظر: التفسير الكبير للرازي ٢٢/ ٢٧، واللباب في علوم الكتاب ١٥/ ٢٢، وتفسير ابن عرفة ٣/ ٢٥١.

(٣) وقد جمع رواياتها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في كتابه صفة صلاة النبي ﷺ (١٠٢-١٢٢)، وأصل صفة صلاة النبي ﷺ ص(٣٩١-٥٥٢).

(٤) سبق تخريجه. والقرناء: السور التي كان يقرنها رسول اللّه ﷺ ببعضها في قراءته، وينظر شرحه في التبيان في آداب حملة القرآن ص(٥٨)، وفتح الباري: ٩/ ٨٨.

وكثيراً ما كان يقرأ ﷺ: (والسماء والطارق)، و(والسماء ذات البروج)[١]، ويقرأ مثلاً: (سبح اسم ربك الأعلىٰ)، و(هل أتاك حديث الغاشية) في العيدين والجمعة[٢]، ويقرأ: (والشمس وضحاها)، ويقرأ (والليل إذا يغشىٰ)، ويأمر بذلك[٣]، وكان يقرأ في العيد: بـ(ق) و(اقتربت)[٤]، وقالت الصحابية: وما أخذت (ق والقرآن المجيد) إلا علىٰ لسان رسول الله ﷺ، كان يقرؤها كل يوم جمعة علىٰ المنبر إذا خطب الناس[٥]، وهكذا.

وهذه السُّوَر التي كان يقرأ بها النبي ﷺ في صلاته أحيانًا، هي باب من أبواب التَّدَبُّر، ولذا قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقصد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، كالعيد والجمع، لاشتمالها علىٰ ابتداء الخلق والبعث والنشور، والمعاد والقيام، والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب»[٦].

ملاحظة المعاني الموضوعية: إن الله عَزَّوَجَلَّ مثلاً يأمرنا بالصبر[٧]، إن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٢٦، وفي رواية بلفظ: (أمر أن يقرأ بالسماوات في العشاء) ٢/ ٣٢٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: ما يقرأ في صلاة الجمعة، ح(٨٧٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، باب: من شكا إمامه إذا طول، ح(٧٠٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: القراءة في العشاء، ح(٤٦٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة العيدين، باب: ما يقرأ به في صلاة العيدين، ح(٨٩١).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، ح(٨٧٣).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٣٩٣ و٤٧٠.

(٧) ذُكر الصبر ومشتقاته في القرآن الكريم (١٠٣) مرات، في (٤٥) سورة، والسور التي تكرر فيها ذكر الصبر: البقرة (٩) مرات، آل عمران (٨) مرات، الكهف (٨) مرات، النحل (٧) مرات. تحتوي ٩٣ آية علىٰ كلمة (الصبر)، و(١٩) مرة كلمة (اصبر)، و(اصبروا) خمس عشر مرة، و(الصابرين) خمس عشر مرة.

الله عَزَّوَجَلَّ يأمرنا بالرحمة[١]، إن الله عَزَّوَجَلَّ يأمرنا بالتقوىٰ[٢]، إن الله عَزَّوَجَلَّ يأمرنا بالبر[٣]، يأمرنا بالإحسان[٤]، ففي كم آية وردت؟ وما المعاني التي تدلُّ عليها؟...إلخ.

فلَمّا تأخذ معنًىٰ من هذه المعاني وتنظر فيه، وفي دلالاته، ستجد أشياء كثيرة جدًّا، وستحصِّلُ ما يتكلم عنه العلماء -رحمهم الله تعالىٰ- في قضية الهدايات والأحكام التي تُستخرَج من هذه الآيات.

سابعاً: الجمع بين النصوص لاستنتاج معانٍ جديدة:

إن القرآن الكريم بما اختص به من دقة وجودة في التناسب والسبك مع تفاوت أحوال وأوقات النزول، يسمح بجمع نصين أوأكثر من نصوصه التي ينتج عنها معنىٰ جديد وذلك أعظم برهان في تصديق القرآن بعضه لبعض، ولذا فإنه إن صحت طريقة استخراج المعاني فلا شك حينئذ أن المعنىٰ المستنبط صحيح ومُراد، والله تعالىٰ يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] فالآية فتحٌ لباب الاستنباط بجميع طرقه، وكل معنىٰ صحيح مستنبط من القرآن سواء من دلالة آية مفردة أومن جمع نصيْن فأكثر فستجده في تمام التناسب، ولن تجد فيه أي اختلاف، وهذا أحد أسباب تجدد المعاني، وقد عدّ ابن القيم هذه الطريقة في استخراج

---

(١) ذُكرت الرحمة في القرآن الكريم نحو (٢٦٨) موضعًا، وقد ورد في أكثر مواضعه بصيغة الاسم، وفي (١٤) موضعـًا بصيغة الفعل.

(٢) ذُكرت التقوىٰ في القرآن الكريم (٢٥٨) موضعًا، منها: (١٨٢) بصيغة الفعل، وبصيغة الاسم (٧٦) موضعـًا.

(٣) ذكر البِرُّ ومشتقاته (٢٠) مرة، منه ستة مواضع في البقرة.

(٤) ذكر الإحسانُ ومشتقاته في القرآن الكريم (١٦٥) مرة، تتصرف علىٰ (٣٠) وجهـًا لغويـًا، منها (حسن) و(أحسن) و(إحسان) و(الإحسان) و(أحسنوا) و(المحسنين) و(الحسنىٰ).

المعاني من ألطف طرق فهم النصوص وأدقها[١].

وقال في معرض حديثه عن طرق فهم النصوص وتفاوت الناس في ذلك: «وأخص من هذا وألطف، ضمّه إلىٰ نص آخر متعلق به فيفهم من اقترانه به قدرٌ زائدٌ علىٰ ذلك اللفظ بمفرده، وهذا باب عجيب من فهم القرآن لا يتنبه له إلا النادر من أهل العلم، فإن الذهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا وتعلقه به»[٢]، وبهذه الطريقة في جمع النصوص بيّن النبيّ ﷺ معنىٰ الظلم للصحابة، فعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، شقّ ذلك علىٰ أصحاب النبي ﷺ وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه:** ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»[٣]، ففهم الصحابة أنهم هم المعنيّون، فسألوا النبي ﷺ فبيّن لهم أن الظلم المراد به في الآية هو الشرك، فهان الأمر عليهم.

وبهذه الطريقة -في جمع النصوص- فهم عليٌّ وابنُ عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أنَّ أقلَّ مُدَّةِ الحَمْلِ ستَّةُ أشهرٍ، وذلك بالجمع بين قوله تعالىٰ ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ﴾ [لقمان ١٤]، وقوله ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهًا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهًاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا﴾ [الأحقاف ١٥] قال السيوطي: «أخرج ابنُ أبي حاتم عن معمر بن عبدالله الجُهَنيِّ، قال: تزوَّجَ رجلٌ منَّا امرأةً، فولدتْ لتمامِ ستَّةِ أشهرٍ، فانطلقَ إلىٰ عثمان، فأمرَ برجْمِها، فقال عَلِيٌّ: أمَا سمعتَ اللهَ يقولُ:

---

(١) ينظر: إعلام الموقعين ١/ ٦٦.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٦٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: استتابة المرتدين، باب: ما جاء في المتأولين ح(٦٩٣٧).

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ وقال ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ فكم تَجِدُ بَقِيَ إلاَّ ستَّةُ أشهرٍ، فقالَ عثمانُ: والله ما تفطَّنْتُ لهذا»[1].

ثامناً: الجمع بين معنى قراءتين أو أكثر لإبراز معانٍ جديدة:

فكما أن الجمع بين نصين أو أكثر طريقة من طرق تدبر القرآن، فكذلك ما يكون في تنوع المعنىٰ الناتج عن اختلاف القراءة، بجمع حاصل المعنىٰ من القراءتين أو القراءات المختلفة في اللفظ، وهذا لون جميل ومظهر بديع من مظاهر تجدد المعاني، الأمر الذي يتطلب معه الكشف عن الروابط والتناسب بين هذه الألفاظ.

كما أن هذه الطريقة تعد مسلكًا من مسالك التناسب قل التطرق إليه في باب المناسبات، فإذا كان التناسب بين آيتين أو بين أوّل السورة وخاتمتهما من بديع أسلوب القرآن، فما ظنّك بالتناسب في اللفظ الواحد الذي اختلف فيه نوع من أنواع التغاير، لا شك أنه آكد وأقوىٰ.

وذلك أن المتدبر يجتهد في الربط بين القراءتين ومعرفة وجه المناسبة بينهما، كما يجتهد في بيان وجه مناسبة كل قراءة مع سياق الآية.

خذ مثلاً علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧] فقد ورد فيها قراءتان: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ لنافع وأبي جعفر وابن كثير وعاصم، و﴿يقضِ الحق﴾ لباقي القراء[2]، ومعناها: أنه جل وعلا يقضي القضاء الحق، ولما كان القضاء هو الفصل في الحكم والقطع به ذيّل الآية بقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾، أما القراءة الأخرىٰ ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ فهي

---

(١) الإكليل في استنباط التَّنْزيل ص(١٩٤)، وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٢٨٠، وقد ذكر ابن كثيرٍ مثله عن ابن عباسٍ ٦/ ٣٣٦، ٧/ ٢٨٠.

(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٥٨.

من قصّ الحديث وتتبّع الأثر، وهذا القص متناسب مع تذييل الآية بقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾؛ لأنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾، وهكذا تنوع المعنيان وتغايرا في دلالتهما علىٰ فعل الله جل وعلا دون تعارض بينهما، فإذا ما تطلبنا المناسبة بين القراءتين وحاصل المعنيين، ظهر لنا معنىٰ آخر وهو أن الله تعالىٰ يبيّن لنا منهجًا ربانيًا في قضائه جل وعلا، وكيف أنه قص لنا حال الشاكرين والمجرمين وفصّله، وهو في غنىٰ عن ذلك جل وعلا، فهو أحكم الحاكمين، ولكن حتىٰ يستبين الطريق وتتضح الحجة، ثم يكون قضاؤه تبارك وتعالىٰ بتعجيل العذاب أو إمهاله ولا معقِّب لحكمه تبارك وتعالىٰ.

وهكذا القاضي لا يفصل في القضية حتىٰ يقص الأثر ويتتبعه، ويستفصل منه، فإذا استبان له فصَل في القضية وحكم بما ظهر له، فهذا التناسب بين القراءتين وجهٌ من أوجه تجدد المعاني وثرائها.

والخلاصة: أن هذه مجالاتٌ من مجالات التَّدَبُّر، مختلفٌ بعضها عن بعض، وقد توجد في الشيء الواحد، مثلاً حين أقرأ: (والسماء والطارق)، فهي من القرائن، وفيها قَسَم، وفيها الحديث عن اليوم الآخر، ومناسبةٌ للسُّوَر التي قبلها، وفيها إعجازٌ، وفيها أساليبُ متنوعةٌ بديعةٌ.

فلاحِظ سورة واحدة قصيرة، وفيها أبواب متعددة كبيرة، ناهيك عن المعاني التي نحن مأمورون بالنظر إليها، والاعتبار بها.

فما من آية من الآيات إلا وفيها أكثر من مجالٍ من مجالات التَّدَبُّر.

المعيار الثامن: ضبط تدبر القرآن:

لقائلٍ أن يقول: كيف أضمن ألَّا أُخطِئ فيما تَدَبّرت فيه؟ وكيف أثق فيما تَدَبّرته من كلام الله؟

وضبط التَّدَبُّر يكون من جهتين: ضبط المقاصد، وضبط الإجراءات، وإليك بيانهما:

الأول: ضبط التَّدَبُّر من خلال سمات مقاصد القرآن الكريم الأساسية:

وذلك من خلال الأمور التالية:

١- انضباط التَّدَبُّر من خلال سمة الربانية:

لمقاصد الكتاب العزيز سماتٌ متنوِّعةٌ، وأوصافٌ متميزةٌ، تلوح في أفق سمائه، فتعطيه من المهابة شكلاً فخمًا ومكانةً عظيمةً، وإنَّ استصحاب هذه السمات البارزة عند تدبر كتاب الله جلَّ وعلا، فيه العصمة عن الانزلاق في مهاوي النهايات المخالفة للشرع؛ الشيء الكثير.

فإنَّ المتدبر لكتاب الله عندما يلحظ ربانية القرآن الكريم ومقاصده؛ ينشأ لديه تصوُّرٌ لما يتدبره، ويتنبَّه لما يصل إليه، وذلك أن ربانية القرآن الكريم يراد بها مراعاة جانب الهيبة والتوقير للقرآن الكريم، علىٰ أنه كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ومحفوظٌ بحفظ الله جلَّ وعلا، من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان، وهذا مما يراعيه المتدبر لكتاب ربه ابتداءً.

ويتنبَّه لأن العقائد والأحكام والأخلاق المنثورة في أرجائه منزَّلةٌ من عند

الله جلَّ وعلا، فيُجيل نظره في القرآن الكريم وهو معظمٌ لما فيه من شرائع وتشريعات، ومنزِّه لكلام ربه عن كل زيغٍ فكريٍّ أو انحرافات.

ويكون معظِّمًا لمقاصد القرآن الكريم، ومبجلاً لغايات الذكر الحكيم، فإنَّ التعامل مع كتاب الله بهذه المنزلة في القلب، يورث العلم به، ويوصل إلىٰ الغاية المرجوَّة منه، وذلك منتهىٰ ما يطلبه أهل التَّدَبُّر(١).

٢- انضباط التَّدَبُّر من خلال سمة الشمولية:

يُستمدُّ الشمول في مقاصد القرآن الكريم من شمولية القرآن الكريم لكل مناحي الحياة؛ في الاعتقاد والتعبد والتعامل، وتتضح هذه الشمولية كذلك في مخاطبة هذا القرآن للإنسان فقد «خاطب عقله بالتَّدَبُّر والتأمل، وخاطب قلبه بالموعظة والتذكير، وخاطب جوارحه بتعليمها ما أراد الله عَزَّوَجَلَّ منها، من البصر وغضِّه، والسمع وكفِّه عن الحرام، وفي هذا القرآن ذِكرٌ للجبال الساجدة، والألسن الذاكرة، كلُّ ذلك مذكورٌ في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فهو شاملٌ لكل شيءٍ في حياة الإنسان»(٢).

فإذا كانت مقاصد الكتاب العزيز بهذه المثابة في شموليتها لجميع المناحي في حياة الإنسان، فهذا يفتح الباب للعقل في التجوُّل بالفكر في ميادين التَّدَبُّر، مع مراعاة ألا يخالف ذلك ما نصَّ عليه الشرع، فلا يحكم علىٰ جواز ولاية المرأة بما جاء في قصة ملكة سبأ مثلاً، لمخالفته للسياق وهو مجيء ذلك للخبر لا التشريع، ولأنها وردت علىٰ سبيل استنكار ولايتها عليهم(٣)،

---

(١) للاستزادة ينظر: كيف نتعامل مع القرآن الكريم ص(٢١)، منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع ص(٣٧٥).

(٢) أفلا يتدبرون القرآن ص(٢٢٠).

(٣) الاستدلال الخاطئ بالقرآن والسنة علىٰ قضايا الحرية ص(٦٤٤).

ولمصادمته صريح السنة في ذلك(١)، فمراعاة الشمول في المقاصد القرآنية أمرٌ مهمٌ، ولكن بالانضباط بالأصول التي يقوم عليها التَّدَبُّر.

٣- انضباط التَّدَبُّر من خلال سمة الواقعية.

المقصود بواقعية المقاصد القرآنية؛ إمكانيةُ بلوغها والوصول إليها علىٰ أرض الواقع، وذلك أنَّ منهج القرآن الكريم قد اتسم بالربط بين الأسباب ومسبباتها، والوسائل وغاياتها، في كل مناحي الحياة، وهذا الربط هو الذي أعطىٰ المقاصد القرآنية هذه السمة البارزة، فإنَّ العباد لم يطالبوا بما يستحيل عليهم تحصيله، وإنما طولبوا بما في مقدورهم، وما تقدر عليه نفوسهم، ولا أدلَّ علىٰ ذلك في أمر العبادة من قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، فالإنسان مأمورٌ بالعبادة أينما حلَّ، وإنْ تعسرت عليه في مكانٍ ما، فأرض الله واسعةٌ، فهو غيرُ مقيدٍ بالتعبُّد في موضعٍ بعينه، فالبساطة والمثالية الموجودة في دين الإسلام، هي ما تجعله يتماشىٰ مع واقع الناس، أيّـًا كانت أحوالهم وظروفهم.

فواقعية القرآن الكريم هي قابلية تحقيقه في الحياة، ومن هذا المنطلق؛ فإن التَّدَبُّر لكتاب الله تعالىٰ لا ينبغي أن ينفكَّ عن تقرير هذا المفهوم، وإلا لم يكن له ثمرةٌ واضحةٌ.

فإنَّ واقعية مقاصد القرآن الكريم تستوحي أصولها من المجالات الثلاثة التي يدور عليها النظام الإنساني، في العقيدة والتشريع والأخلاق(٢)، ولذلك كان هذا هو أساس قوة الإسلام وانتشاره، لأنه تحقيق ما يتناسب مع جميع

---

(١) لحديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لن يفلح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأةً» أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الفتن، باب: الفتن تموج كموج البحر ح(٦٦٨٦).

(٢) واقعية المنهج القرآني ص(٥٣، ٢٤٠، ٣٨٥).

الخلق، وذلك لرسوخ اعتداله، واستقامة منهاجه، وتلبيته لحوائج كل البشر، ومعالجته لجميع مشكلاتهم، بشتىٰ صورها.

فلا غرو أن ينعقد التَّدَبُّر علىٰ مثل هذا المفهوم، وينطلق منه لتجلية حقائق القرآن ومحاسن الإسلام، في أبهىٰ حللها وأحسن صورها.

٤- انضباط التَّدَبُّر من خلال سمة الوسطية:

ومعنىٰ وسطية القرآن «كونه وسطًا جامعًا لحقوق الروح والجسد، ومصالح الدنيا والآخرة»[(١)]، فالقرآن الكريم قد جاءت الوسطية فيه ناصعة الملامح في معظم آياته، وهذه الملامح تتجلىٰ في خيرية هذه الأمة علىٰ غيرها من الأمم، وفي قيام العدل أساسًا لمنهجها، وفي التيسير علىٰ العباد ورفع الحرج عنهم، وفي اعتبار الحكمة في تشريعاتها، وفي الاستقامة والثبات علىٰ مبادئها، وفي توسطها جانبي الإفراط والتفريط[(٢)].

فإذا كانت هذه أبرز ملامح الوسطية، التي تعتبر من أوضح سمات مقاصد القرآن الكريم، فإن هذا يعطي مؤشراً علىٰ أهميَّة اعتباره عند تدبر الكتاب العزيز، فإنه بالعدل تنال الحقوق وترفع المظالم، وبالتيسير تنشط النفس علىٰ فعل الطاعات، وتستهل الاستمرار لمداومة العبادات، وبمعرفة الحكمة تتضح الغايات وتسعىٰ الهمم للنهايات، وبحصول الاستقامة تصلح المجتمعات، وتسعد الجماعات، وبالتوسط يزول التقصير والتفريط، وينعدم الجفاء والغلو.

والمتدبر إن انضبط بهذه المعاني وأجالها علىٰ آيات القرآن الكريم،

---

(١) الوحي المحمدي ص(٢٦٧).

(٢) الوسطية في القرآن الكريم ص(٦٥، ١٦٣).

سيقف علىٰ معان متعددة الفوائد جمَّة الفرائد، وهذا من بركة القرآن الكريم علىٰ المشتغل به، والمطالع له.

۞ الثاني: ضوابط إجرائية:

إذا لاح لك معنىٰ من القرآن فكل الذي عليك أنك تُصححه قبل أن تتحدث به مع الناس، وهذا المبدأ ذكره الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]، وقبله ذكره الدهلوي في الفَوْز الكبير[٢]، وغيرهما.

وهناك طرق كثيرة نذكر منها خمس طرق تختبر ما توصلتَ إليه، وتستطيع الوصول إلىٰ غيرها.

١ - رَبْط المفاهيم القرآنية ببعضها:

ذلك أنَّ القرآن لا يتناقض، فإذا وجدت مثلاً أنَّ هذا المعنىٰ الذي بدا لك أو ظَهَر لك: أنه موافق للمعاني التي في القرآن فهذا دليل علىٰ أنه صحيح، وإذا كان مخالِفًا لها فهو إذاً غير صحيح، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، فإذا وجدت أنَّ هذا المعنىٰ الذي ظهر -الآن- لي يُعارِض معانٍ أخرىٰ في القرآن، فإمَّا أنه خطأ، وإما أنه صحيحٌ، ولكن يحتاج إلىٰ أن أعرف ما العلاقة بين هذين المعنيين اللذيْن وجدتُ من هذه الطريقة ومن هذا الإجراء أن المعنىٰ بينهما متعارض أو متناقض؟

---

(١) يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في لقاء الباب المفتوح(٨٦) ص(٢٥): «ولهذا نقول: ابدأ بالتفسير قبل كل شيء...وطريقة ذلك: أن تفكر أنت أولاً في معنىٰ الآية، قبل أن تراجع الكتب، فإذا تقرر عندك شيء فارجع إلىٰ الكتب، وذلك لأجل أن تمرن نفسك علىٰ معرفة معاني كتاب الله بنفسك، ثم إن الإنسان قد يفتح الله عليه من المعاني ما لا يجده في كتب التفسير، خصوصًا إذا ترعرع في العلم وبلغ مرتبة فيه؛ فإنه قد يفتح له من خزائن هذا القرآن الكريم ما لم يجده في غيره». باختصار.

(٢) ينظر: الفوز الكبير ص(١٨٨).

فانظر دائماً إلىٰ المعاني الكلية في القرآن الكريم[(١)]، ومثاله: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وهذا المعنىٰ الذي لاح لي فيه نوع من المشقة، أو نوع من الحرج، أو نوع من الشِّدّة علىٰ النَّفْس؛ فإذاً هنا أتوقف، وأنظر: هل هذا فيه شِدّة منهي عنها فعلاً؟ أو أنه لا زال في الشيء الذي تحتاج النَّفْس إلىٰ التدريب عليه، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، **وهذا تطبيق للمقاصد المذكورة في أولاً.**

٢- التصحيح للمفهوم من الكتب والعلماء:

فمثلاً تذهب لتفسير السعدي؛ وتنظر هل هذا المعنىٰ موجود أو ليس موجوداً، فإذا كان موجوداً وضعت (صح)، انتهينا، هذا المعنىٰ ليس موجوداً ما زال الخط الأحمر موجوداً؛ إذاً يحتاج إلىٰ مراجعة.

إذا ما كان مثلاً عندك دُرْبة في استعمال الكتب، طبعاً ليس فقط تفسير السعدي، بل غيره من كتب التفاسير وهي كثيرة وواسعة كما هو معروف[(٢)].

وإن لم تكن عندك القدرة، أو كان الوقت لا يسمح بذلك؛ فيجب أن تتصل علىٰ عالِم من العلماء وتسأله، فتقول: يا شيخ قرأت هذه الآية وظهر لي المعنىٰ كذا، فهل هذا معنىٰ صحيح؟

فالمراجعة مهمةٌ، فإن خلصت بنتيجة صحيحةٍ فالحمد لله، وإن كانت غير صحيحة فلا زال الخط الأحمر موجوداً.

---

(١) ينظر: العزفُ علىٰ أنوار الذِّكر ص(١١٦)، ومقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات العليا ص(٣٦٦-٣٦٧).

(٢) ينظر: لقاء الباب المفتوح (٨٦) ص٢٥.

٣- المُدَارسة:

اجلس مع إخوانٍ لك، وقُل لهم: يا إخوان، أنا قرأت هذه الآية وظهر لي هذا المعنىٰ، ما رأيكم؟ هذا المعنىٰ صحيح أم خطأ؟

فتبدأون تتدارسون، وفي الغالب أن المدارسة ينتج منها أكثر من فِكْر، فإن وافقوك علىٰ الرأي؛ فكِفّة صحته أكثر، وإن خالفوك فقولك خطأ، وإن ترددتم فيه فلا زال الإشكال موجوداً.

٤- التكرار وإمعان النظر:

وذلك أن تعيد النظر فيما بدا لك في الآية أو السورة، مرة ثانية، ومرة ثالثة، ومرة رابعة؛ حتىٰ يلوح لك أنَّ المعنىٰ صحيح، فلا ينبغي القول بما خطر في ذهنك لأول مرة.

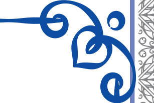
وفائدة التكرار أنه لا يمكن أن يستقر الخطأ مع التكرار، وغالباً أن الخطأ إنما يكون في بادئ الرأي، وهو ما يُسمىٰ الرأي الفطير، فإذا تَخَمّر بشكل صحيحٍ فإنه في الغالب يكون صحيحاً[(١)].

٥- المواظبة على التَّدَبُّر بالمنهجية الصحيحة:

وأن نواظب علىٰ هذه الإجراءات؛ وذلك يساعد الإنسان علىٰ تصحيح ما وقع فيه من خطأ، ويكتسب الخبرة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، وهنا يَقِلُّ الخطأ في التَّدَبُّر، ويكثر الصواب منه.

---

(١) ينظر: نظرية المحاولة والخطأ، لثرونديايك.



الوحدة الرابعة

موانع تدبر القرآن

وأسباب الخطأ فيه وعلاجها

ويتضمن أربعة معايير



المعيار الأول: موانع التَّدَبُّر:

تمهيد:

الناظر في دنيا الناس يجد أن بعضًا من الأمور الشخصية، نفسية، أو خُلقية، أو عقدية مذهبية، أو بيئية اجتماعية تشكل حجابًا حاجزاً بين أصحابها وبين تعاملهم مع كتاب ربهم عَزَّوَجَلَّ تدبراً وفهمًا؛ لذا من الأهمية بمكان أن نقف هنا مع هذه الموانع للتعرّف عليها وتفاديها أو التخلص منها، وتقديمنا إياها علىٰ منهجية التَّدَبُّر من باب «التخلية قبل التحلية» وهذا ما سنعرضه فيما يأتي:

أولاً: الموانع الشخصية:

يقصد **بالموانع الشخصية**: الأمور النفسية أو الصفات الخُلقية التي يتّسم بها الشخص، أو الآراء والمذاهب التي يعتقدها وتؤثر سلبًا علىٰ تعامله مع كتاب الله تعالىٰ، وهي عديدة متنوعة، وأبرزها ما يأتي:

١ - أمراض القلب:

إنَّ من أعظم ما يمنع القارئ عن الانتفاع بمواعظ القرآن وحِكَمه وأحكامه أن يكون قلبه مصابًا ببعض الأدواء التي تحجب أنوار القرآن عنه، فالقلب هو أساس الجوارح كلها، وصلاحها بصلاحه.

ولقد نعىٰ القرآن الكريم علىٰ قوم عايشوا نزول القرآن، واستمعوا إليه ممن نزل عليه ﷺ لكنهم ما استفادوا وما انتفعوا، وفيهم يقول تعالىٰ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٦].

هذا ومن الأمراض القلبية المانعة من التَّدَبُّر: الحسد والحقد والنفاق والرياء والعُجب والكِبْر... ونحوها، وفي الكِبْر يقول الله تعالىٰ: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] وكذلك تُحجَب أنوار القرآن عن قلْب صاحب البدعة، والمصرّ علىٰ ذنب أو معصية، أو المتمذْهِب بمذهب يتبع فيه هواه أو عقيدة باطلة، أو المـُقبِل علىٰ القرآن بخلفيات فكرية سابقة... وكلُّها حجب كثيفة تتفاوت فيما بينها في منع التَّدَبُّر والانتفاع بالقرآن.

وفي ذلك يقول صاحب البرهان: «واعلم أنه لا يحصل للناظر فَهْم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة، أو إصرار علىٰ ذنب، أو في قلبه كبر أو هوىٰ، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقّق الإيمان، أو ضعيف التحقيق... وهذه كلها حُجُب وموانع بعضها آكد من بعض»[١].

٢- انشغال القلب أو الجوارح بغير المتلوّ:

من أعظم الصوارف: أن يكون القلب منشغلاً بغير القرآن من التفكير أثناء التلاوة في أمور الدنيا والمال والولد، أو حلّ مشكلة ما، أو قضية من القضايا تشغل بال القارئ، فتصبح العين والأذن عاملتيْن، ويصير القلب والذهن شارديْن، أو أن يكون في مكان ذي ضوضاء، غير مُهيَّءٍ للتلاوة فتنشغل الجوارح هي الأخرىٰ، ومن ثمّ فلا فهْم ولا تدبّر ولا عمل.

يؤكّد لنا هذه المعاني الإمام ابن القيم معلّقًا علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴾ [ق: ٣٧]، ومقسّمًا

(١) البرهان للزركشي ٢/ ١٨٠.

الناس إلىٰ ثلاثة أصناف قائلاً: «والناس ثلاثة: **رجل** قلبه ميت، فذلك الذي لا قلب له، فهذا ليست هذه الآية ذكرىٰ في حقه، **والثاني**: رجل له قلب حي مستعد لكنه غير مستمع للآيات المتلوّة: إما لعدم ورودها، أو لوصولها إليه ولكن قلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضراً...**والثالث**: رجل حيّ القلب مستعد، تُليت عليه الآيات فأصغىٰ بسمعه، وألقىٰ السمع، وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهْم ما يسمعه، فهو شاهد القلب، ملق السمع، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة...»(١).

٣- قَصْر حضور القلب على أوقاتٍ أوآياتٍ معينة:

من أعظم الخطأ أن يعتقد بعض الناس أنه لا يمكن أن يتدبر المسلم القرآن إلا في أوقات محددة أو أحوال معينة كرمضان، أو القنوت، أو التراويح، أو عند خشوع الإمام، أو عند ذكر آيات العذاب، أو الجنة والنار وأهوال القيامة....ونحو ذلك، ثم تكون بقية الأوقات خلو من هذه الفوائد والمنافع، وهذا تحجّرٌ لما هو واسع، وتحكُّم ليس في محله، ولعل هذا مدخل من مداخل الشيطان لمن يريد التَّدَبُّر ليثني عزيمته عنه؛ لأن التَّدَبُّر به حياة القلوب والنفع، وهو ما لا يريده الشيطان للقارئ أبداً.

وحضور القلب في هذه الأوقات طيّب، لكن الأطيب منه أن يدوم التَّدَبُّر في كل قراءة وتلاوة لكتاب الله تعالىٰ، في جميع الأوقات والأحوال، حيث إن رسول الله ﷺ سئل أي العمل أحب إلىٰ الله؟ قال: «**أدومه وإن قَلّ**»(٢)، وأحواله ﷺ مع القرآن كانت كلها تدبر وتفكّر، ولم يُقصِر التَّدَبُّر علىٰ آيات دون آيات، أو أحوال دون أحوال، وهو المعلِّم الأول فوجب اقتفاء أثره، واتباع نهجه.

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٤٤٢ بتصرف.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضيلة العمل الدائم ح(١٨٦٤).

٤ - توهُّم عدم تنزيل الواقع على القرآن، وقَصْره على أحوالٍ انتهت:

من عظيم الصوارف عن التَّدَبُّر بل عن التلاوة أصلاً توهُّم البعض أنَّ القرآن كان لأناس خلوا، وظروف وأحوال مضت، وأنَّ الواقع لا يدخل تحت ما في القرآن من الهدي والإرشاد؛ ولذا كان هذا حاجباً لكثير من الناس عن إمعان النظر في القرآن والبحث عن هداياته وبيّناته، وتنزيل آياته علىٰ أرض الواقع، وإيجاد الحلول القرآنية للمشاكل الحياتية المعاصرة وغيرها، حيث إنه صالح لكل زمان ومكان، وعصر وآن، ويكفي أنه تعالىٰ وصفه بقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ١-٥].

وفي ذلك يقول ابن القيم: «أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته [أي: القرآن] وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوْا من قبل ولم يُعْقِبوا وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولعمر الله! إن كان أولئك قد خلوْا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، وتناوُل القرآن لهم كتناوُله لأولئك...»[1]، ولَحَقٌّ ما قال، ولصِدْقٌ ما وصف.

٥- ترْك التَّدَبُّر تورعاً عن القول في كلام الله بغير علم:

من أعظم موانع التَّدَبُّر أيضاً: ظنُّ البعض أنَّ فهم القرآن وتدبّره قاصر

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٤٣.

علىٰ قوم مضوا من السلف الصالح والعلماء المخلصين، «ويعتقد أنه لا معنىٰ لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عنهم، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي، ومن فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[(١)]، ويعتقد أنه ليس في الإمكان الآن أحسن مما كان، أو يترك البعض التَّدَبُّر والتأمّل في القرآن بحجة التدين والتورّع عن القول في كلام الله بغير علم، واعتقادهم أن مهمة القارئ تنحصر في القراءة دون التَّدَبُّر، فيصرف القارئ همته إلىٰ القراءة فقط، ولا يُعنَىٰ بالتَّدَبُّر والوقوف مع الآيات أمراً ونهياً وحلالاً وحراماً، ويخرج من التلاوة كما دخل.

وفي ذلك يقول الحافظ ابن رجب: «من مكايد الشيطان: تنفيره عباد اللّه من تدبر القرآن لعلمه أن الهدىٰ واقع عند التَّدَبُّر، فيقول: هذه مخاطرة، حتىٰ يقول الإنسان: أنا لا أتكلم في القرآن تورعًا»[(٢)].

وهو بالفعل مدخل عظيم من مداخل الشيطان علىٰ بني الإنسان، فقد يفتح الله تعالىٰ علىٰ متدبّر بما لم يكن لأحد من العلماء السابقين، فعِلْم القرآن ليس حِكراً علىٰ قوم دون قوم، وكم سمعنا وقرأنا تدبّرات وتأمّلات أكثر من رائعة لأناس لا علاقة لهم بالتخصص القرآني، وربما لا يحملون شيئًا من الشهادات إلا شهادة التوحيد وحُبّ مطالعة القرآن وتدّبره، ورُبّ صغير مفضول يفتح الله تعالىٰ له بما لم يفتح به لكبير فاضل.

٦- الوقوف عند جمال الصوت، وانصراف الهمّة إلى تكثير عدد الختمات فقط.

دبّ في أمتنا منذ زمن ليس بالقصير داء خطير يتعلّق بتعاملهم مع كتاب ربهم سبحانه، وهو الوقوف عند جمال صوت القارئ وحسن ترنيماته، دون التعلق

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ٢٨٥ بتصرف.

(٢) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ٢/ ١٥٦.

بأدنىٰ شيء من معاني الآيات وفقهها، وكثيراً ما تسمع أحدهم يصيح بأعلىٰ صوته مادّاً إياه بقوله: اللّه اللّه، طرباً لعذوبة صوت القارئ، في حين أن القارئ قد يقرأ آيات تتعلق بالنار أو العذاب أو أهوال القيامة...ونحوها، وغاب عقل الأكثرين تماماً عن المعاني والتَّدبُّر، وما ينبغي أن يكون في مثل هذه المواطن.

وتجد آخرين يُقبِلون علىٰ كتاب ربهم قراءة وتلاوة، ويحدو بهم الشوق نحو **الإسراع في التلاوة**، وتكثير عدد الختمات، وليس لأحدهم هَمّ إلا آخر السورة ولا شيء سواه، دون وقوف مع الفوائد والعوائد، والاتعاظ بالأوامر والزواجر...

وكلا المسلكيْن علىٰ غير صواب؛ حيث إنَّ ذلك يخالف المقصود الأسمىٰ لنزول القرآن، ويخالف كذلك منهج النبي ﷺ والسلف الصالح في تعاملهم مع القرآن الكريم.

نعم حضّ النبي ﷺ علىٰ تحسين الصوت عند تلاوة القرآن[١]، لكن ليس مع التطريب والتغنّي المتكلّف والمخرِج عن حدّ الخشوع والوقوف مع الآيات تدبراً وفقهاً.

وكان السلف يقفون مع الآيات ويكررونها مرات ومرات، وربما أمضىٰ أحدهم ليلة كاملة مع آية واحدة، فهذا تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقوم بآية يردّدها حتىٰ أصبح، وهي قوله تعالىٰ: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، وغيره الكثير، حتىٰ قال القرطبي عن هذه الآية: «كانت هذه الآية تسمىٰ: مَبْكاة العابدين»[٢].

---

(١) وذلك في مثل ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن»** أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ ..﴾ ح (٧٠٨٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٦٦.

٧- قصْر الهمّة على تحقيق الحروف والمخارج:

وهـذا أيضـاً داء ينخـر في جسـد أمـة القـرآن منـذ فـترات، حيـث إنـك تجـد القـارئ تنصـرف كلّ همّتـه، ويتجّـه جُـلّ تركيـزه أثنـاء التـلاوة علـىٰ الحـروف ومخارجهـا، وأحـكام التجويـد وإتقانهـا...دون أدنـىٰ تعلّـق بالمعـاني والتَّدَبُّـر.

فقـد يُعـاب الإنسـان أيّ عيـب إذا رَقّـق المفخّـم، أو فخّـم المرقـق، أو لحـن جليّـاً أو خفيـاً، ولا يُعـاب إذا لـم يـدرك بدهيـات قضايـا القـرآن الكريـم، أو المعاني الظاهـرة المتبـادرة؛ لأنَّ طريقـة التعلّـم غرسـت فينـا هـذا الجانـب، ولا يقـول أحـد بـأن جـودة الأداء ليسـت غرضـاً ولا هدفـاً، لكـن هنـاك فـرق بيـن غـرض هـو مقدمـة لغيـره، وغـرض هـو المقصـود الأسـمىٰ للقـرآن الكريـم.

ولْيعلـم المسـلمون عمومـاً والقَـرَأة خصوصـاً أن هـذا مدخـل مـن مداخـل الشيطان علىٰ بني الإنسـان فليحذروه، وفي ذلك يقـول الغزالي في معـرض حديثه عن موانـع فهـم القـرآن، ومنهـا: «أن يكـون الهـمّ منصرفـاً إلـىٰ تحقيـق الحـروف بإخراجهـا مـن مخارجهـا، وهـذا يتولـىٰ حفظـه شـيطان وُكِّل بالقـرّاء ليصرفهـم عـن فهْـم معـاني كلام الله عَزَّوَجَلَّ، فـلا يـزال يحملهـم علـىٰ ترديـد الحـرف، يخيّـل إليهـم أنـه لـم يخـرج مـن مخرجـه، فهـذا يكـون تأمّلـه مقصـوراً علـىٰ مخـارج الحـروف، فأنّـىٰ تنكشـف لـه المعـاني، وأعظـم ضحكـة للشـيطان ممـن كان مطيعـا لمثـل هـذا التلبيـس»[١].

والسبب في ذلك: عـدم الترتيـب بيـن الغايـة والوسـيلة، فالقـراءة التـي هـي وسيلة الفهـم أصبحـت هـي الغايـة والمبتغـىٰ وصـار مبلـغ علمنـا إلا مـن رحـم الله أن نجـوّد الحـروف، ونحقّـق صفاتهـا ومخارجهـا، فـكان الاهتمـام بالشـكل علـىٰ حسـاب المضمـون.

---

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٢٨٤بتصرف.

والعلاج سهل وميسور، حيث تُراعىٰ أحكام التجويد مع الفهم والتَّدَبُّر والوقوف علىٰ المعاني، والله أعلم.

٨- تقديم مادون التَّدَبُّر من العلوم والمعارف:

والمقصود من ذلك: أن يتجه البعض إلىٰ حفظ القرآن، ثم لا يتجه بعده إلىٰ تحصيل علم تفسيره وتدبره والوقوف علىٰ معانيه، بل ينصرف إلىٰ غيره من العلوم التي تكون قليلة النفع، أو عديمة الجدوىٰ بالنسبة لفهم القرآن وتدبره، وهذا لا شك صارف عظيم من الصوارف عن التَّدَبُّر.

سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية أيهما أفضل طلب القرآن أو العلم؟

فأجاب: «أما العلم الذي يجب علىٰ الإنسان عينًا كعلْم ما أمر الله به وما نهىٰ الله عنه، فهو مقدّم علىٰ حفظ ما لا يجب من القرآن، فإن طلب العلم الأول واجب، وطلب الثاني مستحب، والواجب مقدّم علىٰ المستحب.

وأما طلب حفظ القرآن: فهو مقدّم علىٰ كثير مما تسميه الناس علمًا، وهو إما باطل أو قليل النفع، والمشروع في حق مثل هذا أن يبدأ بحفظ القرآن فإنه أصل علوم الدين... **والمطلوب من القرآن** هو فهْم معانيه وتدبره والعمل به، فإن لم تكن هذه همّة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين، والله سبحانه أعلم»[(١)].

وعلىٰ هذا فينبغي علىٰ المسلمين عامة، وطلاب العلم خاصة أن يتجهوا نحو كتاب ربهم أولاً فيحفظوه ويفهموه ويتدبروه ويطبّقوه... فهو أصل لكل العلوم، ومفتاح لغيره من الفهوم.

وهذا ليس بالمستحيل أو المستصعب، فالله عَزَّوَجَلَّ وَعَد بالتيسير والفتح في مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، ووعده عَزَّوَجَلَّ لا يتخلف أبداً.

---

(١) الفتاوىٰ الكبرىٰ لابن تيمية ٢/ ٢٣٥ بتصرف.

٩- الذنوب والمعاصي:

فالمعاصي كلها أضرار في الدين والدنيا، وهي من أكبر أسباب الطبْع على القلب، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين: ١٤]، قال الحسن، ومجاهد: «الران: هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشاه فيموت القلب»[١]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] قال السعدي: «أي: هذا العمى الضار في الدين، عمى القلب عن الحق، حتى لا يشاهده كما لا يشاهد الأعمى المرئيات»[٢].

وصاحب القلب المريض بالمعاصي أبعد الناس عن تدبر القرآن؛ لأنه حُجب عن طريق العلم وهي التقوى، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[البقرة: ٢٨٢]، فالتَّدَبُّر في كتاب الله وتفهّمه عِلمٌ من الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يُنال العلم بمعصية الله؛ لأنَّ حقيقة العلم نور يقذفه الله في القلب، والذنوب والمعاصي سبب الحرمان من هذا العلم.

وقال الزركشي: «واعلم أنه لا يحصل للناظر فهْم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة، وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كِبر، أو هوى، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان»[٣].

١٠- الغفلة عن سماع القرآن:

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١-٣]، فلو

---

(١) مفاتيح الغيب ٣١/ ٨٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٥٤٠).

(٣) البرهان في علوم القرآن، ٢/ ١٨٠.

تأملنا الآية لوجدنا أن أعظم مانع من تدبر القرآن هو الغفلة، فالقلب الغافل بسبب اللهو والانشغال بالدنيا لا يتدبر، فصاحب هذا القلب يستمع القرآن بأذنه، ولا يصل إلىٰ قلبه؛ لأن حضور القلب وصفاءه يجعل صاحبه يرىٰ معاني القرآن بوضوح، ويحيا بها عملاً وسلوكًا ودعوة وتربية.

ثانيا: الموانع الأُسْرية والاجتماعية:

من المعلوم أن الأسرة والبيئة التي ينشأ فيها الفرد لها أثر فاعل في تكوين ثقافته والتأثير عليه سلبًا وإيجابًا، فإن كانت البيئة المحيطة مستقيمة دينيًا وعقديًا، ناضجة علميًا وثقافيًا، ومتزنة فكريًا وخُلقيًا، أنتجت أفراداً أسوياء ناضجين، والعكس بالعكس.

«ولا يخفىٰ أن طريقة حفظ القرآن وتعلّمه وتعامل المجتمع معه، تكون ذا أثر فعّال في استجلاء مكنونات النص، والوقوف علىٰ معانيه وأسراره، وقد تكون مانعة من الوصول إلىٰ ذلك، صابغة العقل بصبغة تحجبه عن روح النص، إما بلَيّ عنقه، أو بإخراجه عن سياقه، أو بحشو تفسيره بالأباطيل والإسرائيليات...وغير ذلك مما يجعل تفسير القرآن وتدبره أمراً شاقًا علىٰ العامّة، خاصّاً بطائفة معينة من العلماء»[(١)]، ومن هنا تبرز أهمية البيئة، وبيان دورها في كونها صارفة من صوارف التَّدَبُّر، ويتلخص هذا الدور فيما يلي:

١- تقصير الأسرة بجانب التَّدَبُّر، وعدم إذكائه وضبطه بين أفرادها:

الأسرة هي المحضن الأول للأفراد، فإن كان رب الأسرة مصليًا، قارئًا متدبراً، خلوقًا ملتزمًا بآداب الإسلام عقيدةً وسلوكًا، مطبِّقًا ذلك علىٰ نفسه وأبنائه وأهله؛ أنبتت هذه الأسرة نباتًا حسنًا، وكانت في طلائع الأسر المؤمنة.

---

(١) صوارف فهم القرآن وعلاجها أ. سامية حرب ص(١١٥)بتصرف.

وإن أهمل قائدها كان ما نراه الآن من البعد الحقيقي عن القرآن وتلاوته، فضلاً عن تفهمه وتدبره وتطبيقه والعمل به، ومن ثمّ ينبغي للأسرة المسلمة أن تدرك قيمة التَّدَبُّر، وتعقد مجلساً خاصاً كل أسبوع أو شهر علىٰ الأقل لتَّدَبُّر القرآن وتدارسه، وإن تم هذا اللقاء بين رب الأسرة وأفرادها ستجني ثماراً يانعة، كتوطيد العلاقة بكتاب الله تعالىٰ، وتأصيل منهج التَّدَبُّر فيها، وترابط أفرادها، وبُعدها عن التيارات الجارفة، فضلاً عن تحصيل الأجر والمثوبة، وهذا مجرّب بالفعل من كثير من الأُسر، وله الأثر البالغ بإذن الله تعالىٰ.

٢- قَصْر اهتمام المجتمع بحفظ القرآن دون فهم معانيه وتدبّره:

وهذا الأمر يتجلىٰ واضحاً لكل ناظر في طريقة تلقّي القرآن وتعليمه لدىٰ الأشخاص أو المؤسسات التعليمية القرآنية، فتجد معظمها إلا من رحم ربك لا تُعنىٰ بهذا الجانب علىٰ الإطلاق، بل لا نكاد نجد له ذِكْر أو في خططهم أو مناهجهم في مختلف مراحل التلقي الأولّية أو النهائية، وجُلّ عنايتهم منصبّ علىٰ حفظ النص وتثبيته، وهذا شيء طيب إلا أنه لا ينبغي الاكتفاء به وحده، بل لا بد من ضميمة الفهم والتَّدَبُّر؛ حتىٰ يكون للقرآن أثره البالغ علىٰ الفرد والمجتمع.

ولمعالجة هذا الموضوع والتغلّب عليه، المقترح أمران:

أولهما: الرجوع إلىٰ طريقة السلف رضوان الله عليهم في تلقّي القرآن وتعلّمه، وذلك بحفظ قدر من الآيات، وعدم مجاوزتها إلىٰ غيرها إلا بعد معرفة معانيها وتدبرها، والوقوف علىٰ ما فيها من العلم والعمل، وما المانع أن يُطبق هذا المنهج في دور القرآن وحلقاته، علىٰ الأقل مع كبار الناشئة، بعد دراسة الموضوع ووضْع خطته، وإعداد المعلمين، واختيار الطرق المناسبة، والله الموفّق والمعين.

ثانيهما: استغلال المرحلة العمرية الأولىٰ للطفل في حفظ الحروف وإتقانها، وبعد ختم القرآن يتم توجيهه إلىٰ المعاني والتَّدَبُّر، وعدم اعتماد الحفظ إلا مع المعاني، وإقامة المسابقات التىٰ تُعنىٰ بالجانبين معًا دون أحدهما، مع تنوّع الحوافز المادية والمعنوية المشجِّعة علىٰ ذلك، وبإذن الله تعالىٰ سنجني الخير الكثير من هذا المنهج.

٣- ضعف اللغة العربية وشيوع العاميّة بين أفراد المجتمع:

من أهم الصوارف عن التَّدَبُّر اليوم: شيوع العاميّة وغلبتها في التخاطب، دون الفصحىٰ لغة القرآن، ولعل الخطب يعظم حين تجد بعض المعلّمين في دور العلم، والأساتذة في الجامعات... يتخاطبون مع طلابهم بالعامية، مما أعظم غربة هذا الجيل عن الفصحىٰ وصعوبة التحدث بها، مما نتج عنه غرابة كثير من ألفاظ القرآن، ومن ثمّ صعوبة الوقوف علىٰ معانيه وتدبرها تلقائيًا، بخلاف الجيل الأول الذي لم يحتج إلىٰ شيء من ذلك، ولم تكثر لديه الألفاظ الغريبة التي تحتاج إلىٰ التفسير والشرح.

وعلاج ذلك ميسور، وهو الالتزام بالفصحىٰ علىٰ الأقل داخل قاعات الدرس والأسرة للتعوّد علىٰ لغة القرآن، وسهولة التخاطب بها، مما ييسِّر عملية التَّدَبُّر والوقوف علىٰ أسرار القرآن، كتاب العربية الأول.

٤- تقليص المجتمع لدور القرآن الكريم:

الناظر اليوم في حال أمتنا وتعاملها مع القرآن يجد سلوكًا خطأ وأمراً عجبًا، حيث يلحظ أن كثيراً من أفراد المجتمع قلّصوا دور القرآن في التبّرك...ونحوه من الأغراض قليلة الجدوىٰ، فجعلوه في بيوتهم وحوانيتهم وسياراتهم لجلب البركة والخيرات، ودفع الشرور والمضرات، بل علّقوه في

رقاب صبيانهم لدفع الأذىٰ عنهم، وفي بعض رقاب بناتهم لجلْب الخُطّاب والأزواج...وافتتحوا به مجالسهم وأحفالهم لأجل هذه الأغراض أو ما يقترب منها، بالإضافة إلىٰ «الصورة التي طُبعت في أذهاننا في مراحل الطفولة للقرآن أنه: لا يُستدعىٰ للحضور إلا في حالات الاحتضار والنزع والوفاة، أو عند زيارة المقابر، أو نلجأ لقراءته عند أصحاب الأمراض المستعصية، وهي قراءات لا تتجاوز الشفاة"[(١)].

وجُلُّ السامعين -إلا من رحم ربي- أبعد ما يكون عن التفكّر في الآيات والوقوف معها ومعرفة معانيها، ومن ثم تطبيقها وتنفيذها.

وشاع هذا السلوك في التعامل مع القرآن؛ حتىٰ تكاد الناشئة وجيل اليوم لا يعرفون عن التعامل معه إلا هذا الأسلوب الجزئي القاصر، وإلا فأين الفهم والتَّدَبُّر، والعمل والتطبيق، والاستشفاء...وغير ذلك من أنواع الهجر التي أشار إليها ابن القيم[(٢)] في التعليق علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠].

والعلاج أيضًا ميسور بإذن الله تعالىٰ، ويتلخّص في حُسن عودة الأمة إلىٰ هذا المنهج الخالد، وإعادة صياغة تعاملها معه، والبعد عن هذه النظرة الجزئية في التعامل مع القرآن، والتركيز علىٰ الفهم والتَّدَبُّر والعمل.

٥- الأميّة العقليّة، وشيوع روح التقليد والتبعيّة:

نقصد بالأمية العقلية هنا: سطحية العلم والمعرفة المتعلقة بالقرآن، والاكتفاء بالحفظ وظاهر المعنىٰ، دون التَّدَبُّر والتطلع والغوص عما سواها من الكنوز والأسرار.

---

(١) كيف نتعامل مع القرآن للشيخ/ محمد الغزالي ص(١٥).

(٢) ينظر: كتاب الفوائد له ص(٨٢).

ولعل هذه العقلية هي التي تغلب علىٰ كثير من أفراد مجتمعنا الآن في تعاملهم مع القرآن الكريم، وهذا ما نعاه القرآن علىٰ أقوام في تعاملهم مع كتابهم، حيث قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

ونرىٰ أن هذا الداء مما سرىٰ ودبّ في جسد أمتنا تأثراً بأدواء الأمم السابقة» والأميّة العقليّة هذه، تسود الأمة فى حال التقليد، والغياب الحضارىّ، والعجز عن تدبّر القرآن، والتعامل مع الأحداث، واتخاذ المواقف، واكتشاف سنن الله فى الأنفس والآفاق، وحسن تسخيرها، ومعرفة كيفية التعامل معها، والنفاذ من منطوق النص وظاهره إلىٰ مقصده ومرماه...»[١].

وهذا لعمر الله هو القائم بالفعل، حيث إن أمتنا الآن وبخاصة الشباب -إلا من رحم الله- تتّبِع كل سَنَن، وتلبي نداء كل ناعق، دونما وعي أو إدراك، ناهيك عن التبعية الفكرية والثقافية، حيث يصير القارئ للقرآن أسيراً لتفسير سابق قرأه، أو رواية ضعيفة في سبب النزول اعتقدها، أو قصة دخيلة من القصص الإسرائيلي الـمُخرّق...ونحو ذلك مما يقبع الفرد المسلم في تبعيته عقوداً تلو عقود، لا يفكر مرة في سبيل للتحرر من هذا الأسر الفكري، ليقبل علىٰ القرآن متدبراً من دون خلفيات سابقة، أو أفكار بذهنه عالقة.

وهذا بلا شك صارف عظيم من صوارف التَّدَبُّر؛ إذ كيف للعقل أن يتدبر وهو مقود، وكيف له أن ينطلق وهو أسير، أو كيف يبدع وهو مقلِّد متبِّع، ولن ينطلق إلا إذا فُك من إساره، وتحرر من عقاله.

٦-التلهّي بوسائل التقنية والإعلام عن القرآن وتدبّره:

من تكريم الله تعالىٰ للإنسان أن سيّده علىٰ الكون، وجعله مُسخّراً

---

(١) كيف نتعامل مع القرآن للشيخ/ محمد الغزالي ص(١٢).

لخدمته؛ تصديقاً لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، ومن تمام إنعام الله تعالىٰ ما أفاء به علينا من تقدّم علميّ، وتقنية عصريّة مذهلة، حتىٰ غدا سكان العالم جميعاً كأنهم يعيشون في بيت واحد.

لكن للأسف تجد كثيراً من مجتمعاتنا تسيء استخدام هذه النعم، وتتلهّىٰ بها حتىٰ عن الفرض كالصلاة ونحوها، فضلاً عن قراءة القرآن وتدبره، وصار الواحد منهم يطالع صفحته الإلكترونية علىٰ أحد المواقع أكثر مما يطالع كتاب الله، وغدت الأمة تنفق علىٰ ذلك أثمن وأنفس لحظات حياتها، فضلاً عن أموالها، وحوّلت هذه النعم إلىٰ نقم، وصار ينطبق علىٰ أمثالهم قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، وتفاقم الأمر حتىٰ تقطعت العلائق بين أبناء الأسرة الواحدة، إنك لتجد في البيت الواحد كل فرد يقيم علىٰ جهازه، يقلّب الصفحات تلو الصفحات، ويُضيّع في ذلك الساعات تلو الساعات، وإذا ما ناداه مناد حتىٰ رب العالمين فلا مجيب ولا مغيث.

ونسأل الله تعالىٰ أن يوفّق المخلِصين من أبناء الأمة لنشر ثقافة التَّدَبُّر، وحُسن التعامل مع كتاب الله تعالىٰ، والإفادة من هذه التقنيات في خدمة القرآن، مع تنويع أساليب العرض، وتحديثها بما يحمل طابع التشويق والجِدّة والإثارة، فلكل مقامٍ مقالٌ، ولكل جيل ما يناسبه.

❁ ثالثا: موانع منهجية:

١- عدم التصور الصحيح للقرآن الكريم:

من الظاهر أنه لا يمكن لمن لا يتصور ما هو القرآن الكريم حقاً أن يتدبره حق التَّدَبُّر؛ كما أن عدم تصور ماهية القرآن الكريم هي إضافة إلىٰ التقصير

العلمي البحث أمارة علىٰ نقص تعظيمه؛ ومما يبين عدم تصور أفراد مدارس القراءات المعاصرة للنص ماهية القرآن الكريم علىٰ التحقيق قول د. هشام جعيط معرفًا القرآن، حيث قال: «ومفهوم القرآن ذاته أكثر أهمية، ويصعب تفسيره، إلا أنني ألفت النظر إلىٰ تباينه مع عبارة الكتابات المقدسة أو الكتاب المقدس، المحتوية علىٰ التراث اليهودي المسيحي، والمشيرة إلىٰ فكرة المكتوب في صحف، بينما القرآن يشير إلىٰ ما هو شفوي يتلىٰ بالرغم من أنه أيضًا كتاب ليس علىٰ شكل المكتوب ولا حتىٰ علىٰ شكل الوحي المكتمل، إذ يصف نفسه بأنه الكتاب من الأول تقريبًا، لكن مفهوم الكتاب في العربية القديمة يعبر عن الكتابة والمكتوب معًا، كما ورد في حديث بخصوص معاوية: «اللهم علمه الكتاب والحساب»[1]، فإما أن يكون القرآن كلامًا سرمديًا وأركتيبًا[2]، وإما أن أي جزء منه يمثل الكتاب كله وهو الكتاب كله»[3].

والحقيقة أن هذه المقابلة وإن كانت صحيحة لسنا بحاجة لها في معرفة معنىٰ القرآن الكريم، فهي سلوك للطرق الضعيفة؛ توصلاً إلىٰ ماهية القرآن الكريم مع وجود أوصاف ظاهرة للقرآن تغني عن هذه الطرق، كونه معجزاً، متعبداً بتلاوته، كلامًا لله تعالىٰ، منزلاً.

وممن عرف القرآن د. محمد شحرور، حيث يقول: «القرآن هومجموع الآيات المتشابهات التي تتحدث عن القوانين الكونية التي تحكم النجوم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٨/ ٣٨٢ ح(١٧١٥٢)، وفي فضائل الصحابة ٢/ ٩١٤ ح(١٧٤٩)، وابن خزيمة في صحيحه ٣/ ٢١٤ ح(١٩٣٨)، وضعف إسنادَه الألبانيُّ في تعليقه علىٰ صحيح ابن خزيمة.

(٢) تستخدم هذه الكلمة بمعنىٰ سرمدي وأبدي عند هشام جعيط، ولم أتمكن من معرفة لغتها الأصلية.

(٣) الوحي والقرآن، ص(١٧).

والكواكب والزلازل والرياح والمياه في الينابيع والأنهار والبحار، وعن قوانين التاريخ والمجتمعات التي تحكم نشوء الأمم وهلاكها، وعن غيب الماضي من خلق الكون وخلق الإنسان وأنباء الأمم البائدة القصص القرآني، وعن غيب المستقبل كقيام الساعة والنفخ في الصور والحساب والجنة والنار»[(١)].

وهذا التعريف فيه مآخذ متعددة، وهي:

الأولىٰ: د. محمد شحرور يفرق بين لفظي القرآن والكتاب، فيجعل الكتاب هو الآيات المحكمة والمتشابهة معًا، والقرآن هو الآيات المتشابهة[(٢)]، فيكون القرآن أخص من الكتاب عنده، ويكفي في بيان بطلان بعض الآراء حكايتها، ومع هذا فإنه يقال: إن العلماء لم يعرفوا القرآن بهذا التعريف، ولا يوجد في المعنىٰ اللغوي للقرآن ما يفيد صلته بالتشابه لنعدها شبهة للدكتور محمد شحرور.

الثانية: ما ذكره د. محمد شحرور تعريفًا للقرآن هو عبارة عن الإشارة لبعض موضوعات القرآن[(٣)]، مع إغفاله لأمور مهمة يذكرها العلماء في التعريف، منها أنه كلام الله تعالىٰ، وأنه معجز، وأنه متعبد بتلاوته.

ولنقرأ محاولة أخرىٰ لتعريف القرآن، يقول محمد أركون: «إن القرآن هو عبارة عن مجموعة من الدلالات والمعاني الاحتمالية المقترحة علىٰ كل البشر، وبالتالي فهي مؤهلة لأن تثير أو تنتج خطوطًا واتجاهات عقائدية متنوعة بقدر

---

(١) موقع د. محمد شحرور، التعريفات والمصطلحات، علىٰ الرابط/
http://www.shahrour.org/?page_id=12

(٢) ينظر: الكتاب والقرآن، ص(١٧، ٥١).

(٣) مع ملاحظة أن ما أورده د. محمد شحرور من موضوعات قرآنية في تعريفه للقرآن هناك ما هو أولىٰ منها في موضوعات القرآن الكريم، كالعناية بالتوحيد، وتقريره، وبيان الأحكام، والثواب والعقاب، ولكن الذي يلاحظ أن تخصص د. محمد شحرور الأصلي في الهندسة المدنية يعلم سراً من أسرار عنايته بإيراد ما أورده من موضوعات في تعريف القرآن.

تنوع الأوضاع والأحوال التاريخية التي تحصل فيها أوتتولد فيها»[١].

وهذا التعريف تلحقه بعض الملاحظات السابقة، فهو يُغفل أموراً كثيرة حقها أن يشار إليها عند محاولة تعريف القرآن الكريم، هذا من جانب، ومن جانب آخر ففيه هدم للغاية التي جاء القرآن الكريم لدعوة الناس لتحقيقها، وهي توحيد الله تعالىٰ، إذ دلالات القرآن كما يقول محمد أركون: «مؤهلة لأن تثير أوتنتج خطوطاً واتجاهات عقائدية متنوعة بقدر تنوع الأوضاع والأحوال التاريخية التي تحصل فيها أوتتولد فيها» وهذا مؤداه أن كل الاعتقادات الباطلة نابعة من دلالات القرآن، وهذا قول لم تقله فرقة من الفرق الضالة أصلاً، إذ كل فرقة حرصت علىٰ أن تدعي دلالة القرآن الكريم علىٰ اعتقاداتها وإبطاله ما سواها[٢].

٢- التعبيرعن القرآن الكريم بغير أسمائه وأوصافه:

يعبر محمد أركون في كثير من كتاباته عن القرآن بالمدونة النصية المغلقة[٣]، وعن الآيات بالوحدات[٤]، وهذا التعبير مناف لأسماء القرآن وأوصافه، ولا شك أن تسمية القرآن أو وصفه بما لم يسم به أو يوصف من أبلغ الإساءة في الأدب.

ويجعل محمد أركون القرآن هو المقابل لاعتقادات النصارىٰ في المسيح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فيقول: «الشيء الذي يقابل يسوع المسيح في الإسلام هو القرآن بصفته الكتاب المقدس الذي يحتوي علىٰ كلام الله الموحىٰ به»[٥].

---

(١) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص(١٤٥).
(٢) ينظر كلام الفِرَق في القرآن الكريم: مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام مجلد ١٢، وكتب الملل والفرق.
(٣) ينظر: القرآن من التفسير الموروث إلىٰ تحليل الخطاب، ص(٨٢).
(٤) ينظر: القرآن من التفسير الموروث إلىٰ تحليل الخطاب، ص(١٤٦).
(٥) القرآن من التفسير الموروث إلىٰ تحليل الخطاب، ص(٢٤).

وفي هذا الكلام مغالطة ظاهرة مع ما فيه من سوء الأدب مع القرآن الكريم، ذلك أن جعل اعتقاد المسلمين في القرآن الكريم يساوي اعتقاد النصارىٰ في عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ظاهر البطلان، فالنصارىٰ يعتقدون أن عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إله أو ابن إله علىٰ خلاف بين طوائفهم في ذلك(١)، ولا أحد من المسلمين يرىٰ مثل ذلك في القرآن، وعليه فلا وجه أصلاً لمثل هذه المقابلة.

وفي موضع آخر يعتبر محمد أركون أن الآيات القرآنية في قصة أصحاب الكهف بأنها مجرد عبارات لغوية ومعنوية مبعثرة! حيث يقول: «إذا ما وصفنا كل ما سبق بأنه مجرد تجاور بين عبارات لغوية ومعنوية متبعثرة، فإن ذلك يعني أننا نؤكد ضمنيًا علىٰ أولوية المعايير البلاغية والمنطقية»(٢).

ووصف آيات القرآن الكريم بالعبارات المبعثرة غاية في سوء الأدب مع كتاب الله تعالىٰ.

أما هشام جعيط فإنه يعتبر القرآن سببًا لحدوث الأهواء والفرق، فيقول: «لولا القرآن ولولا محمد وبناؤه للدولة الإسلامية وتشجيعه الضمني علىٰ الفتوحات، وبالتالي بناء الإمبراطورية ودخول السياسة وأهوائها في اللعبة، لما وُجدت هذه الأهواء والفرق»(٣).

ومثل هذا الكلام البالغ السوء فيه وصف للقرآن الكريم وللنبي ﷺ أنهما سبب وجود الأهواء والفرق، وإذا كان القرآن الكريم والنبي ﷺ سببًا في وجود الأهواء والفرق، فمن هو السبب في اجتماع الأمة؟

---

(١) ينظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتىٰ ظهور الإسلام، ص ٨٨، المسيح عند اليهود والنصارىٰ والمسلمين، ص ١١١، النصرانية في الميزان، ص(٢٧٣).

(٢) القرآن من التفسير الموروث إلىٰ تحليل الخطاب، ص(١٤٩).

(٣) الوحي والقرآن، ص(٩).

وإنما أدرج مثل هذا الكلام لأبين موقف هؤلاء من القرآن الكريم، ومقدار أدبهم معه، وإلا فمثل هذا القول مما يتحرج المرء من مجرد حكايته، والله المستعان.

والحاصل أن أمثال هذه التصورات عن القرآن الكريم التي يحملها أفراد مدارس القراءات المعاصرة للنصوص، لا شك أن لها أثرها المانع من تدبرهم للقرآن الكريم.

٣- قلة العلم بعلوم القرآن، واللغة وسائر العلوم الخادمة للتفسير:

وتتبين قلة العلم هذه من خلال عدة مظاهر:

المظهر الأول: الخلط الكبير في منهج التعامل مع النصوص في مجال علوم القرآن:

ومنه ذلك: اعتبار الأخبار التاريخية مما يزكي قبول الروايات المتعلقة بالوحي:

يعد محمد عابد الجابري أن النصوص الواردة في السنة النبويّة ولو كانت في الصحيح لا تكفي وحدها في موضوع الوحي، وإنما يقبلها لأن الأخبار التاريخية وردت مؤيدة لها، وموافقة لمضمونها، وفي ذلك يقول متحدثاً عن روايات نزول الوحي: «تلك روايات[1]، لا بد أن يكتنفها ما يكتنف الروايات

(١) أشار الجابري في الحاشية إلى بعض مصادر هذه الروايات، فذكر سيرة ابن هشام، والبداية والنهاية لابن كثير، والطبقات الكبرى لابن سعد، وأغفل كثيراً من كتب السنة، بل والصحيحين، إذ فيها روايات كثيرة في الوحي، وأول كتاب في البخاري هو كتاب بدء الوحي، فهل الجابري لم يقف على هذه المصادر التي تعتبر هي المصادر الأصلية في موضوع الوحي، وهذا ما أستبعده على رجل في مثل اطلاع الجابري، وإذاً فلم يبق إلا أنه ساق تلك المصادر من كتب السيرة وأغفل المصادر الأصلية ليتسنى له الكلام في نقد هذه الروايات دون معارض.

عادة من نقص أو زيادة وما أشبه، ومع ذلك فليس من الجائز تكذيبها جميعها خصوصًا ويزكي مضمونها ما سبق أن عرضناه في الفصل الأول عن انشغال الناس بانتظار نبي جديد، وتناقل أخبار ظاهرة الحنفاء، وتوقعات الأحبار والقساوسة، وغير ذلك»[(١)].

وهذا الكلام باطل من وجوه:

الأول: وصف الروايات بأنها يكتنفها النقص والزيادة في العادة كلام باطل يقوله من لا يعرف القواعد التي وضعها العلماء للحكم بصحة الحديث أوحسنه[(٢)]، وتطبيقها ينفي الزيادة أو النقص في الروايات.

الثاني: تقوية الروايات الواردة في السنة النبويّة بالأخبار التاريخية هو من تقوية القوي بالضعيف؛ ذلك أن السنة النبويّة يشترط لقبولها شروط متعددة في السند والمتن[(٣)] لا تشترط في الأخبار التاريخية.

الثالث: تقوية الروايات بتوقعات الأحبار والقساوسة لم يقل به أحد، فإنَّ هذه الأقوال إن كانت مما نقله هؤلاء عن شرعهم فمردها إلىٰ الإسرائيليات[(٤)]، وحاصل القول فيها أنها إن وافقت شرعنا فعملنا إنما هو بالشرع لا بهذه الروايات، وإن كانت من أقوال الأحبار والقساوسة التي قالوها دون أخذٍ لها من شريعتهم فهذه لم يقل أحد إنها تقوي الروايات الواردة في السنة النبويّة، وإنما اعتد بقول الأحبار والرهبان أتباعهم ممن أخبر الله تعالىٰ عنهم بقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١].

---

(١) مدخل إلىٰ فهم القرآن، ص(١٠٢).

(٢) وقد بينها علماء مصطلح الحديث، ينظر: تدريب الراوي، ١/ ٦١، فتح المغيث ١/ ٢٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الاسرائيليات هي: كل ما تطرق إلىٰ التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلىٰ مصدر يهودي أو نصراني، ينظر: الاسرائيليات في التفسير والحديث، ص(١٣).

أما هشام جعيط فيذهب إلىٰ ما هو أبعد من مجرد تقوية الروايات الواردة في السنة النبويّة بغيرها، إذ يرىٰ أنها غير معتمدة أساساً لإثبات الوحي، وفي هذا يقول: «نحن كعلماء[(١)] نتبع ما يقوله كل دين عن نفسه: القرآن، وهو الكتاب المقدس لدىٰ المسلمين، يقول: إنه وحي من الله وكلام الله وأن محمداً رسول الله أنزل عليه القرآن، القرآن يقول كذا وكذا عن تجربة الرؤية والوحي، وهي وثيقة رائعة لصحتها التاريخية ومعاصرتها للبعثة، ونحن لا نعتمد علىٰ ما أكمل به الإسلام فيما بعد من سيرة وتاريخ وطبقات وحديث، لأن القاعدة أن كل ما دُوِّن بعد مئة سنة من الحدث فاقد لثقة المؤرخ»[(٢)].

وتأمل كيف ذكر د. هشام جعيط السيرة والتاريخ والطبقات في سياق واحد مع الحديث ليسهل التوصل إلىٰ نقد الحديث.

المظهر الثاني: قلة العلم بما يتعلق بجمع القرآن:

يقول محمد أركون متكلماً عن جمع القرآن: «يطيب للتراث المنقول أن يذكر أنه في حالات معينة فإن بعض السور كان قد سجل كتابة فوراً علىٰ جلود الحيوانات وأوراق النخيل أو العظام المسطحة، الخ...واستمر هذا العمل عشرين عاماً»[(٣)].

وهذا الأمر الذي نقله د. محمد أركون مشككاً فيه هو الذي تدل عليه الأدلة، ومنها:

قول زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع[(٤)]

---

(١) هذه دعوىٰ وهي بحاجة إلىٰ إقامة الدليل، وما سنعرضه من كلام د. هشام جعيط في هذه الرسالة في المباحث القرآنية لا يتفق والمنهج العلمي الذي يسلكه العلماء.

(٢) الوحي والقرآن، ص(٩٤).

(٣) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص(٢٨٨).

(٤) الرقاع جمع رقعة، وهي ما يكتب به، ينظر: لسان العرب ٨/ ١٣١، القاموس المحيط ٣/ ٣٠.

واللخاف[١] والعسب[٢] وصدور الرجال"[٣]، ففي هذا الأثر أن القرآن الكريم كان مكتوباً قبل جمع أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويحاول محمد أركون أن يلخص النتائج المترتبة في زعمه على جمع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للمصحف حيث يقول: «لقد نجم عن جمع عثمان عدداً[٤] من القراءات المؤسفة:

القضاء على المجموعات الفردية السابقة وعلى المواد التي كانت بعض الآيات قد سجلت عليها، التعسف في حصر القراءات في خمس، حذف مجموعة ابن مسعود المهمة جداً، وهو صحابي جليل، وقد أمكن الحفاظ على مجموعته بالرغم من ذلك في الكوفة حتى القرن الخامس، أضف إلى ذلك أن النقص التقني في الخط العربي يجعل من اللازم اللجوء إلى القراء المختصين، أي إلى شهادة شفهية»[٥].

وعند تأمل هذه النتائج المزعومة التي رتبها د. محمد أركون على جمع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للقرآن نجد فيها عدداً من الأخطاء العلمية، وقد ذكر أربع نتائج، وسأذكرها مع التعليق عليها، وهي:

أولاً: قول أركون في النتيجة الأولى: «القضاء على المجموعات الفردية السابقة وعلى المواد التي كانت بعض الآيات قد سجلت عليها».

---

(١) قال ابن فارس رحمه الله تعالى: «اللام والخاء والفاء كلمتانِ، إحداهما اللِّخاف، وهي حجارة بيض رقاق، واحدتها لَخْفَة» مقاييس اللغة ٥/ ٢٤١، وينظر: تهذيب اللغة ٧/ ١٦٨.

(٢) العسب: جمع عسيب، والمراد جريد النخل، ينظر: تاج العروس ٣/ ٣٦٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: سورة براءة التوبة، ٤/ ١٧٢٠ ح (٤٤٠٢).

(٤) هكذا!، والصواب: عددٌ بالضم لأنها فاعل.

(٥) الفكر العربي، ص(٣٠-٣١).

والحق أن هذه النتيجة ليست مؤسفة كما عبر أركون، بل اتفق الصحابة الحاضرون زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عليها، كما دل عليه أثر مصعب بن سعد قال: «أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك، وقال: لم ينكر ذلك منه أحد»[(١)].

ثانيًا: قول محمد أركون: «التعسف في حصر القراءات في خمس» هذه النتيجة ظاهرة الغلط إذ إن كان مراده بالقراءات القراءات المعروفة فليست خمسًا، ولم يحدد عددها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا أحد من الخلق، لأنها وحي من الله تعالىٰ، وإن كان المراد بالقراءات هنا نسخ المصاحف فلا حصر أصلاً؛ لأن المراد اتخاذ هذه المصاحف[(٢)] أصولًا ينسخ منها الناس لا الاكتفاء بها.

ثالثًا: قول محمد أركون: «حذف مجموعة ابن مسعود المهمة جداً، وهو صحابي جليل، وقد أمكن الحفاظ علىٰ مجموعته بالرغم من ذلك في الكوفة حتىٰ القرن الخامس».

ويناقش هذا الكلام بأن مصاحف الصحابة ومنهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأصل أنها لم تكن تخالف المصحف الذي جمعه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولو حصل ذلك لنقل لنا إنكار الصحابة بعض ما في المصاحف العثمانية[(٣)].

رابعًا: قول محمد أركون: «أضف إلىٰ ذلك أن النقص التقني[(٤)] في

---

(١) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص(١٢).

(٢) في عددها خلاف بين العلماء، قيل: سبعة، وقيل: أربعة، وقيل: خمسة، ينظر: كتاب المصاحف ١/ ٢٣٨، الإتقان ٢/ ٣٩٣، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير ٢/ ٩١.

(٣) أما المروي عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أنكر كون سورتي المعوذتين من القرآن فقد أنكره بعض العلماء كالنووي، وبينوا: أن ذلك باطل مكذوب عليه، ليس بصحيح، ينظر: المجموع ٣/ ٣٦٣، مناهل العرفان ١/ ٢٢٤.

(٤) الحق أن وصف الرسم العثماني بالنقص التقني جهل بحقيقة هذا الرسم، وقد امتدح العلماء

الخط العربي يجعل من اللازم اللجوء إلىٰ القراء المختصين، أي إلىٰ شهادة شفهية".

هذا الذي ذكره محمد أركون مبني علىٰ الظن أن كتابة المصاحف تعني الاستغناء عن نقل القرآن الكريم مشافهة ولم يقل به أحد من أهل العلم، لذا فإن تلقي القرآن بالمشافهة والسماع من الشيوخ ظل هو الأصل حتىٰ مع كتابة المصاحف العثمانية، وعليه فلا إشكال في الرجوع إلىٰ القراء المختصين.

المظهر الثالث: القول بالزيادة والنقص في القرآن:

تحدث د. بسام الجمل عما زعمه من وقوع الزيادة والنقص في القرآن ومما قال: «وما استقر في الوجدان الإسلامي أن ما جمع من القرآن هو الوحي برمته لم يضع منه شيء، ولم يطرأ عليه أي تغيير بالزيادة أو النقصان، وهذا التصور تناقضه أخبار عديدة تناقلتها المصادر السنية نفسها، فما قيل في سورة الأحزاب معروف ومشهور بين الدارسين، وإذا ما صحت هذه الأخبار، فإن ذلك يحوج إلىٰ إعادة النظر في حقيقة الوحي وتاريخ المصحف والأسس التي قام عليها مفهوم النسخ في القرآن»(١).

وهكذا نلحظ أن د. بسام الجمل قام بتكرار التشكيك في حصول نقص أوزيادة في القرآن الكريم، دون تقديم حجة صحيحة، وأما الاستدلال بما قيل في سورة الأحزاب فهو يشير إلىٰ أثر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمان النبي ﷺ مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم

المحققون هذا الرسم، وبينوا إتقان كتبة المصحف من الصحابة لكتابته، وكيف أن هذه الكتابة تحملت أوجه القراءة المختلفة، ينظر: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ص(٧٤١)، رسم المصحف وضبطه، ص(٤١).

(١) أسباب النزول، ص(٣٠٨).

يقدر منها إلا علىٰ ما هو الآن)[١].

وأثر زر بن حبيش قال: قال لي أبي بن كعب: يا زر، كأين تعد؟ أو قال: كأين تقرأ سورة الأحزاب؟ قلت: اثنتين وسبعين آية، أوثلاثا وسبعين آية، فقال: «إن كانت لتعدل سورة البقرة، وإن كنا لنقرأ فيها آية الرجم»، قلت: وما آية الرجم؟ قال: (إذا زنا الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله. والله عزيز حكيم)[٢].

وهذان الأثران ضعيفان لا تقوم بهما حجة، وعلىٰ فرض صحتهما يجاب بأن المراد أنها كانت مئتي آية قبل أن يقع فيها نسخ، ثم نسخت نسخ تلاوة حتىٰ بقيت علىٰ ما هي عليه اليوم، وقد أورد السيوطي رحمه الله تعالىٰ هذه الآثار في منسوخ التلاوة والحكم[٣].

المظهر الرابع: الجهل العظيم بطرق نقل القراءات القرآنية:

يقول د. محمد أركون: «كان الطبري لا يزال قريباً من عهد الاختلاف فيما يخص نقل النصوص القرآنية أو الصياغات النصية، ولذلك نجد لديه إشارات متكررة إلىٰ قراءات مختلفة، ولكن مع الحرص المستمر علىٰ شيئين اثنين: الأول: هو أنه يرفض القراءات المختلفة أكثر من اللازم والتي تصعب مصالحتها مع المعايير اللاهوتية الأرثوذكسية[٤]، أما القراءات الأخرىٰ التي

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن، ٢/ ١٤٦ ح (٧٠٠)، وفي إسناده ضعف، ومتنه باطل إذ يوهم وجود تلك الآيات، وإنما منع من كتابتها عدم مقدرة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ جمعها، وهذا باطل مناف لحفظ الله تعالىٰ للقرآن، ينظر: الإتقان ٤/ ١٤٥٦.

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن، ٢/ ١٤٦ ح(٧٠١)، وفي إسناده ضعف، وينظر: الإتقان ٤/ ١٤٥٧.

(٣) ينظر: الإتقان ٤/ ١٤٥٦ - ١٤٥٧.

(٤) وصف الأمور الشرعية باللاهوتية والأرثوذكسية فيه سوء أدب في العبارة.

لا تختلف كثيراً فإنه يهضمها ويدمجها داخل البنية العامة للخطاب القرآني، بتعبير آخر: إن عمل الطبري يفرض نفسه كجهد مبذول من أجل تحقيق الانسجام والتوفيق والعقلنة والتثبيت اللغوي والأدبي لنص نقل شفهيًا وكتابيًا في آن معًا طيلة ثلاثة قرون، أما بعد الطبري فقد أصبحت الروايات المختلفة مندمجة جداً إلىٰ درجة أنها نقلت بشكل مغفل عن طريق استخدام صيغة الفعل المبني للمجهول، فيقولون: قرئ»[١].

وفي كلام د. محمد أركون عدد من الملاحظات:

الأولىٰ: يعتبر محمد أركون أن هناك عصراً حدث فيه الاختلاف في نقل النصوص القرآنية، ولذا نرىٰ أنه يقول: «كان الطبري لا يزال قريبًا من عهد الاختلاف فيما يخص نقل النصوص القرآنية»، هكذا كأن هذه القضية من المسلمات، مع أنَّ الناظر في تاريخ جمع القرآن الكريم لا يجد أي خلاف قد حدث يتعلق بالنصوص القرآنية أصلاً، ووجود تردد من بعض الصحابة أول الأمر في قضية جمع القرآن الكريم لا يعني أنهم يخالفون في النصوص القرآنية! لذا فكلام د. محمد أركون هنا فيه خللٌ ظاهرٌ.

الثانية: يجعل د. محمد أركون إشارة الطبري للقراءات نتيجة لقربه من عصر الاختلاف في نقل النصوص، وهذا أمر يبطله أنَّ العلماء والمفسرين ممن جاء بعد الطبري بقرون متعددة ينقلون في كتبهم اختلاف القراءات، وعناية الطبري رحمه الله تعالىٰ بذكر القراءات المختلفة في الآية راجعة إلىٰ ما يترتب علىٰ هذه القراءات من اختلاف في المعنىٰ[٢].

---

(١) القرآن من التفسير الموروث إلىٰ تحليل الخطاب، ص(١٥٥).

(٢) وهذا أمر أبرزه من اعتنوا ببيان منهج الطبري في تفسيره جامع البيان، ينظر: التفسير والمفسرون ١/ ٢١٤.

الثالثة: القول بأن الطبري رحمه الله تعالىٰ «يرفض القراءات المختلفة أكثر من اللازم والتي تصعب مصالحتها مع المعايير اللاهوتية (الأرثوذكسية)»هو جهل بمنهج الطبري رحمه الله تعالىٰ في التعامل مع القراءات، فلا علاقة لما يرده الطبري من القراءات بالاختلاف مع المعايير اللاهوتية كما يزعم أركون، ولكن للطبري رحمه الله تعالىٰ موقف من القراءات قائم علىٰ منهج علمي يسلكه[1].

والحاصل أن من موانع تدبر القرآن الكريم عند مدارس القراءات المعاصرة للنص ما سبق بيانه من الجهل بعلوم القرآن الكريم؛ وما هذه النقاط السابقة إلا غيضٌ من فيضٍ من قلة علمهم بعلوم القرآن وأصول التفسير.

٤- الزهد والتزهيد في كتب التفاسير:

من طرق فهم كتاب الله تعالىٰ وتدبره: القراءة في كتب التفسير، ومعرفة أقوال المفسرين، ومن يزهد في كتب التفسير والمفسرين؛ فهو في مؤدىٰ الأمر يزهد في طريقة فهم القرآن الكريم في زمننا، وبالتالي فهو من أبعد الناس عن تحقيق التَّدَبُّر.

وهذه نقول تبين حال أفراد مدارس القراءة المعاصرة للنص مع المفسرين وكتب التفسير؛ ومن ذلك قول محمد أركون عن الإمام الطبري رحمه الله تعالىٰ: «كان الطبري -مثلاً- يستطيع أن يسبق بكل سذاجة كل

---

(١) وردت عن الطبري في جامع البيان عدة عبارات توهم الرد لبعض القراءات المتواترة ووصفها بالشذوذ، وقد دفعت هذه العبارات الباحثين لتتبع منهج الطبري في ذلك، ولعل أبرز ما يمكن قوله هو أن الطبري رحمه الله تعالىٰ لم يثبت عنده تواتر ما رد من القراءات، ولذا فهو لم ينكر قراءة متواترة ثبت عنده تواترها، وإن كان رأيه هذا مرجوحاً، وقد بين العلماء أن ما رده الطبري متواتر أيضاً، ولا تعارض بين القراءات أصلاً، ينظر: هل أنكر الطبري قراءة متواترة أوردها، مقال للدكتور مساعد الطيار، موقع ملتقىٰ أهل التفسير
http://www.tafsir.net/vb/showthread.php?s=&threadid=991

تفسير من تفاسيره بالعبارة التالية: يقول الله، لكأنه يستطيع أن يعرف بالضبط مقصد الله من كلامه ويشرحه حرفيًا»[١].

وهكذا يتحول الأدب العظيم الذي يتحلىٰ به الطبري رحمه الله تعالىٰ مع القرآن الكريم إلىٰ محل انتقاد عند محمد أركون يستحق به أن يوصف صنيعه هذا بالسذاجة، وما فهمه محمد أركون من أن قول الإمام الطبري رحمه الله تعالىٰ: يقول الله تعالىٰ، يتضمن ادعاءه معرفة المراد الكامل من القرآن الكريم يدل علىٰ جهله بأسلوب هذا الإمام في التفسير، حيث يستخدم هذه العبارة كثيراً في تفسيره بعد عبارة: القول في تأويل قوله تعالىٰ[٢]، وهذا يفيد بوضوح أنه يرىٰ ما يقوله تأويلاً وتفسيراً للآية لا أنه المراد الكامل من الآية.

وأشد من ذلك: الطعن في مفسري السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم:

يقول د. بسام الجمل متحدثًا عن جهد التابعين في نقل أسباب النزول والبحث عنها: «ولم يكن بحثهم ههنا بمنأىٰ عن ضغوط واقعهم التاريخي وإكراهاته الخفية والمعلنة من ناحية، وعن آفاقهم المعرفية ونفسياتهم، وانتماءاتهم الأيديولوجية، ونزعاتهم المذهبية من ناحية أخرىٰ»[٣].

وهكذا لا يترك د. بسام الجمل الكلام عن عصر التابعين دون أن يطعن في نياتهم في نقل أسباب النزول، وأنهم لم يكونوا «بمنأىٰ عن ضغوط واقعهم التاريخي، وإكراهاته الخفية والمعلنة من ناحية، وعن آفاقهم المعرفية، ونفسياتهم، وانتماءاتهم الأيديولوجية، ونزعاتهم المذهبية من ناحية أخرىٰ».

---

(١) الفكر الاسلامي نقد واجتهاد، ص(٩٠).

(٢) ينظر علىٰ سبيل المثال: جامع البيان ٢/ ٥٤، ٧٥، ١٣٠، ١٥١، ١٥٢، والأمر أكثر من أن يحصىٰ.

(٣) أسباب النزول، ص(١٤٧-١٤٨).

٥- الفهم الخاطئ لمعاني كلام الله تعالى:

من عوائق التَّدَبُّر الكبيرة: الجهل بمعاني كتاب الله تعالىٰ؛ وهو إما عدم العلم بمعناها، أو العلم به علىٰ غير وجهه، وكلاهما متحقق في أفراد مدارس القراءات المعاصرة للنص، علىٰ المستوي النظري **بانتقاد فهم القرآن الكريم من خلال لغة العرب في الجاهلية**، فهم يرون أن لغة العرب لم تعد كافية في فهم القرآن الكريم، وفي هذا يقول د. محمد شحرور: «لا يمكن فهم التنزيل الحكيم من خلال فهم الشعر الجاهلي ومفرداته، فللجاهليين أرضيتهم العلمية التي جاءت مفردات شعرهم عاكسة لها ومعبرة عنها ومقيدة بها، ونحن لا نجد كلمات أو مفردات عند العرب وقتها، تدل علىٰ الجاذبية الأرضية أو علىٰ كرويتها، لأنهم لم يعرفوها أصلاً، ولو حصرنا فهم التنزيل الحكيم بها، لما حق لنا أن نقول إن المكتشفات الحديثة العلمية أكدت مصداقية القرآن.

ومن هنا قلنا إن المجتمعات هي التي تشارك في صنع المعاني حسب تطور معارفها، لكن هذه التطورات نفسها محسوبة في التنزيل، بحيث مهما امتدت واتسعت، فسيجد الإنسان أنها منسجمة مع النص القرآني، مصدقة له، ودائرة في فلكه.

إضافة إلىٰ ما ورد في الفقرة السابقة، فقد جاء التنزيل يحمل في ذاته تطويراً لغوياً لم يعرفه الجاهليون في لسانهم قبله، ففيه مفردات أتىٰ بها من لغات أخرىٰ غير العربية، وفيه أسلوب متميز بالنظم يخرجه كلية من دائرة الشعر أو الخطابة التي عرفها العرب قبله، وفيه مصطلحات مستحدثة انفرد بها، لم تكن موجودة قبله، وهذا وأشباهه كثير كثير، يؤكد استحالة اعتبار مفردات الجاهلية كافية بذاتها لفهم التنزيل الحكيم»(١).

---

(١) الدولة والمجتمع، ص(٤٠-٤١).

وهكذا نرى أن د. محمد شحرور يعلل عدم صلاحية لغة العرب وحدها لفهم القرآن الكريم بعدد من العلل، ومردها إلى أمور، وهي:

الأمر الأول: أن لغة العرب في الجاهلية لا تعبر عن الاكتشافات الحديثة، ولو قصرنا فهم القرآن عليها «لما حق لنا أن نقول إن المكتشفات الحديثة العلمية أكدت مصداقية القرآن».

وهذا لا يؤثر على اعتبار لغة العرب هي طريق فهم القرآن الكريم؛ إذ المكتشفات الحديثة التي يُدَّعىٰ دلالة القرآن عليها أحد نوعين:

النوع الأول: ما يدل عليها القرآن الكريم بطريق تقبله اللغة العربية ولا يخالف أساليبها، فهذا النوع لا ينافي اعتبار لغة العرب طريق فهم القرآن الكريم.

النوع الثاني: ما استفاده أصحابه من القرآن الكريم بطرق لا تساعد عليها لغة القرآن الكريم نفسه، وهذا النوع نسبته إلىٰ القرآن الكريم باطلة.

وأصل الإشكال إنما نشأ عند بعض الباحثين حين اعتبر القرآن الكريم كتاب علوم عصرية يتطلب فيه المكتشفات والمخترعات ويعتبر وجودها فيه دليل كماله، وعدم وجودها فيه دليل نقص يسعىٰ إلىٰ دفعه! وليس الأمر كذلك، والقرآن الكريم كتاب هداية وتقرير عقيدة وعبادة ودين لا كتاب علوم.

الأمر الثاني: يرىٰ د. محمد شحرور أن لغة العرب عند نزول القرآن الكريم لم تعد كافية لفهم القرآن الكريم لأنها تعرضت لما أسماه تطويراً لغويًا، وهو حسب كلامه يقع في أمور ذكر منها:

- مفردات أتىٰ بها القرآن الكريم من لغات أخرىٰ غير العربية.
- أسلوب متميز بالنظم يخرجه كلية من دائرة الشعر أو الخطابة التي عرفها العرب قبله.
- مصطلحات مستحدثة انفرد بها لم تكن موجودة قبله.

وهذه الأمور الثلاثة المذكورة بحاجة إلى وقفات فيما يلي:

الأمر الأول: القول بأن في القرآن الكريم ما هو بغير لغة العرب قول ناقشه العلماء رحمهم الله تعالىٰ في كتبهم، عند بحثهم هل في القرآن معرب أو لا؟ وحاصل الأمر أن قوله تعالىٰ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] دليل أنه لا يوجد في القرآن الكريم ما هو غير عربي، قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالىٰ: «وإنما ذكر تعالىٰ ذكره أنه نزل هذا القرآن بلسان عربي مبين في هذا الموضع، إعلامًا منه مشركي قريش أنه أنزله كذلك، لئلا يقولوا إنه نزل بغير لساننا، فنحن إنما نعرض عنه ولا نسمعه، لأنا لا نفهمه، وإنما هذا تقريع له»[(١)].

وما كان من الألفاظ في لغة من اللغات فهي من الألفاظ التي اتفقت فيها أجناس الأمم، وليس القول بأن العرب أخذوا هذا اللفظ من غيرهم بأولىٰ من العكس[(٢)].

الأمر الثاني: وجود الأسلوب المتميز عن الشعر والخطابة هو نوع من إعجاز القرآن الكريم، ولا علاقة لاختلاف الأسلوب القرآني عن الشعر والخطابة بعدم إمكان فهم هذا الأسلوب بلغة العرب زمن نزول القرآن الكريم، ولو كان ذلك لكان هذا من متمسكات الجاهليين في الطعن بالقرآن.

الأمر الثالث: المصطلحات القرآنية مبنية علىٰ اللغة العربية، فأصلها مفهوم في اللغة، وإن وقع التمييز لها بالمقدار أو الصفة، ومرد مثل هذا إلىٰ مباحث المجمل والمبين عند الأصوليين[(٣)]، فما كان في لغة العرب معروفًا علىٰ طريق الإجمال ثم جاء في القرآن مبين الصفة أو القدر فلا يعني هذا إخراجه عن عربيته.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧/ ٦٤٣.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١/ ١٨، لغة القرآن لغة العرب المختارة، ص(١٩)، علوم القرآن في مقدمات التفاسير ٢/ ٣٦٤.

(٣) ينظر: قواطع الأدلة ٢/ ٥٠، إرشاد الفحول ٢/ ٧٢٠، أضواء البيان ١/ ٥-٤٦.

أما بالنظر إلىٰ الأثر المعاصر للفهم الخاطئ لكتاب الله تعالىٰ فهو كثير عند أفراد مدارس القراءات المعاصرة للنص، ولا عجب فالتنظير الخاطئ لطرق فهم كتاب الله تعالىٰ يوصل إلىٰ التطبيق الخاطئ؛ ومن أمثلة ذلك[(١)]: تفسير محمد شحرور لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر ٣]؛ حيث يقول د. محمد شحرور: «لك أن تذهب بكلمة شهر إلىٰ أنها من الشهرة والإشهار القانوني الملزم للبيع والشراء، ولا يلزمك أن تفهم «الألف» علىٰ أنها عدد، بل جاءت من فعل «ألف» وهو ضم الأشياء بعضها إلىٰ بعض بشكل منسجم، ومنه جاءت الألفة والتأليف، أي: أن إِشهار القرآن خير من كل الإشهارات الأخرىٰ مؤلفة كلها بعضها مع بعض»[(٢)].

ولك أن تتأمل هذا الخلط العجيب في المعاني، حيث يتحول الشهر إلىٰ الإشهار! والألف إلىٰ الألفة!!

ولا شك أن الظاهر من الآية الكريمة، وهو أن الشهر هو أحد الشهور القمرية، والمقصود به شهر رمضان، وأن الألف هي العدد المعروف، وأن هذا هو المقصود، وبه فسَّر الآية عامةُ المفسرين[(٣)].

وهكذا يتبين لنا أن هذا الفهم الخاطئ لكتاب الله تعالىٰ علىٰ الجانبين النظري والتطبيقي من أبرز موانع تدبر القرآن الكريم عند مدارس القراءات المعاصرة للنص.

---

(١) الأمثلة كثيرة في كتب محمد شحرور؛ ومحمد أركون؛ ويمكن الوقوف علىٰ بعضها عند محمد شحرور في: الكتاب والقرآن؛ ص٦٠٤ عندما فسَّر الجيوب بالسوءتين! أو عند محمد أركون في القرآن بين التفسير المأثور وتحليل الخطاب؛ ص١٧٠ يوم جَعَل القصص الواردة في سورة الكهف من قبيل الأساطير!

(٢) الكتاب والقرآن، ص(١٥٣).

(٣) ينظر: جامع البيان ٢٤/ ٥٤٥، زاد المسير ٩/ ١٩١، الجامع لأحكام القرآن ٢٢/ ٣٩٣، مفاتيح الغيب ٣٢/ ٣٠، روح المعاني ٣٠/ ١٨٩.

۞ المعيار الثاني: أسباب الفهم الخاطئ في تدبر القرآن ونتائجه:

أ/ أسباب الفهم الخاطئ:

۞ أولاً: الزيغ والانحراف العقدي:

فمن كانت عقيدته منحرفة ودخل في فهم القرآن، فإنه لا بد أن يضل في القرآن؛ ولذلك تجد طوائف كثيرة ممن انتسبوا إلىٰ الإسلام عندما دخلوا في القرآن وعندهم قواعد سابقة من الضلال في العقيدة، انحرفوا انحرافًا كبيراً، ولا أدل علىٰ ذلك من استدلال كافة الفرق المنحرفة لصحة مذاهبهم بالقرآن، حتىٰ ولو كانت استدلالات شاذة، فمثلاً يستدل المعتزلة علىٰ صحة مذهبهم بأن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قال: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨]، قالوا: بما أن إبراهيم اعتزل إذاً الاعتزال هو الصحيح، وهذا هو الضلال البعيد في فهم القرآن الكريم.

۞ ثانياً: اتباع الهوى يعمي ويصم عن فهم القرآن:

فمن الناس من يكون اتباعهم للهوىٰ في فهمهم للقرآن ناتجًا عن التهجم علىٰ كتاب الله والجرأة عليه بغير علم، كل واحد يظن نفسه أنه سيفتي في القرآن حسب رؤيته ونظرته هو، فيدخل ويفسر مشرقًا ومغربًا، فتجده يقع في التخبط الشديد والضلال البعيد، ومنهم من يحمله الهوىٰ علىٰ محاولة تبرير أخطائه لتشهد الآيات عليها، وفي ذلك يقول ابن تيميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صاحب الهوىٰ يعميه الهوىٰ ويصمّه، فلا يستحضر ما للّه ورسوله في الأمر ولا يطلبه أصلاً، فليس قصده أن يكون الدّين كلّه للّه، وأن تكون كلمة اللّه هي العلياء، بل قصده الحميّة لنفسه وطائفته أو الرّياء»(١).

---

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٥/ ٢٥٥- ٢٥٦.

ويبين الشّاطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن اتباع الهوىٰ سبب للفهم الخاطئ الذي وقع فيه أهل البدع، فقال وهو يذكر علامات أهل البدع، منها: الفرقة الّتي نبّه عليها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾[الأنعام: ١٥٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، أي: أنّهم صاروا فرقًا لاتّباع أهوائهم، وبمفارقة الدّين تشتّتت أهواؤهم فافترقوا ثمّ برّأ اللّه نبيّه منهم بقوله: ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾[الأنعام: ١٥٩]، ثمّ ذكر أنّ اتّباع الهوىٰ طريق إلىٰ الضلال والحياد عن طريق الحق، مؤكداً ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ [آل عمران: ٧]، وهو الميل عن الحقّ اتّباعًا للهوىٰ، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ﴾[القصص: ٥٠]، وقوله: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾ [الجاثية: ٢٣][(١)].

❁ ثالثاً: الكبر من موانع الفهم الصحيح:

إن المتأمل في أحوال المعرضين عن فهم كتاب الله وتدبر آياته، سيجد أن اتباعهم للهوىٰ وإعراضهم عن كتاب الله، إنما هو نتيجة من نتائج الكبر الذي هو مانع كبير من موانع الفهم والتَّدبُّر، يقول المولىٰ عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾[الأعراف: ١٤٦].

قال سفيان ابن عُيَينة في تفسير هذه الآية: «أنزع عنهم فهم القرآن، وأصرفهم عن آياتي»[(٢)]، وقال بعض السلف: «لا ينال العلم حيي ولا مستكبر»[(٣)].

---

(١) ينظر: الموافقات للشاطبي ٤/ ١٠٤- ١٠٧ بتصرف.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٤٧٥.

(٣) المصدر السابق. وعن مجاهد بلفظ «لا يتعلم العلم» علّقه البخاري في صحيحه كتابَ العلم،

رابعاً: التعصب والتقليد الأعمى لطائفة أو مذهب بعينه:

إن من موانع الفهم الصحيح لكتاب الله تعالىٰ التقليد الأعمىٰ من غير إعمال للعقل والرجوع لأقوال أهل العلم في ذلك، فالتعصب والتقليد الجامد تعطيل للفكر وجعل العقل تابع لغيره؛ وقد تحدث عن هذا الغزالي وهو يذكر موانع الفهم لكتاب الله، فقال: «أن يكون مقلِّداً لمذهب سمعه بالتقليد، وجمد عليه، وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة، فهذا شخص قيَّده معتقده عن أن يجاوزه، فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده، فصار نظره موقوفًا علىٰ مسموعه، فإن لمع برق علىٰ بعد، وبدا له معنىٰ من المعاني التي تباين مسموعه؛ حمل عليه شيطان التقليد حملة، وقال كيف يخطر هذا ببالك، وهو خلاف معتقد آبائك؟ فيرىٰ أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله»(١).

خامساً: اتباع المتشابهات وترك المحكم من كتاب الله:

فلقد حذَّر النبي ﷺ من اتباع المتشبهات وعدم ردها إلىٰ المحكم من كتاب الله، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»(٢)، وقال الخطَّابي: «المتشابه علىٰ ضربين، أحدهما: ما إذا

باب الحياء في العلم، مجزومًا به، ووصله أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢٨٧، وغيره، وصححه ابن حجر في فتح الباري ٢/ ٤١٠.

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ٢٨٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾، ح٤٥٤٧، وأخرجه

رد إلىٰ المحكم واعتبر به عرف معناه، والآخر ما لا سبيل إلىٰ الوقوف علىٰ حقيقته، وهو الذي يتبعه أهل الزيغ، فيطلبون تأويله، ولا يبلغون كُنْهَه فيرتابون فيه، فيفتتنون»(١).

وقال ابن الحصَّار: «قسَّم الله آيات القرآن إلىٰ محكم ومتشابه، وأخبر عن المحكمات أنها أم الكتاب؛ لأن إليها ترد المتشابهات، وهي التي تعتمد في فهم مراد الله من خلقه في كل ما تعبدهم به من معرفته، وتصديق رسله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وبهذا الاعتبار كانت أمهات، ثم أخبر عن الذين في قلوبهم زيغ أنهم هم الذين يتبعون ما تشابه منه، ومعنىٰ ذلك: أن من لم يكن علىٰ يقين من المحكمات، وفي قلبه شك واسترابة، كانت راحته في تتبع المشكلات المتشابهات، ومراد الشارع منها التقدم إلىٰ فهم المحكمات، وتقديم الأمهات، حتىٰ إذا حصل اليقين، ورسخ العلم، لم تبال بما أشكل عليك، ومراد هذا الذي في قلبه زيغ التقدم إلىٰ المشكلات، وفهم المتشابه قبل فهم الأمهات، وهو عكس المعقول والمعتاد والمشروع»(٢).

وقال الشاطبي: «ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]، فأثبت لهم الزيغ أولاً، وهو الميل عن الصواب، ثم اتباع المتشابه وهو خلاف المحكم الواضح المعنىٰ، الذي هو أم الكتاب ومعظمه، ومتشابه علىٰ هذا قليل، فتركوا اتباع المعظم إلىٰ اتباع الأقل المتشابه الذي لا يعطي مفهوماً واضحاً ابتغاء تأويله، وطلباً

مسلم في صحيحه، كتاب: العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه، ح٢٦٦٥.

(١) الإتقان في علوم القرآن٣/ ١٠.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤/ ١٣٤٩.

لمعناه الذي لا يعلمه إلا الله، أو يعلمه الله والراسخون في العلم، وليس إلا برده إلىٰ المحكم ولم يفعل المبتدعة ذلك»(١).

❁ سادساً: الاعتماد على الأحاديث الواهية والضعيفة عند التَّدبُّر والتفسير، ورد الأحاديث الثابتة والصحيحة:

فالشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يؤكد أن الحديث الضعيف فضلاً عن الأحاديث الموضوعة المكذوبة علىٰ النبي ﷺ لا يغلب علىٰ الظن أن النبي ﷺ قالها، لذلك لا يصح أن يؤخذ منه حكم؛ لأن أمثال هذه الأحاديث لا يبنىٰ عليها حكم، ولا تجعل أصلاً في التشريع أبداً، ومن جعلها كذلك؛ فهو جاهل أومخطئ في نقل العلم، ويرىٰ أن الحديث إذا كان مخالفاً لأصل من أصول الشريعة إنما هو حديث ضعيف وإن كان ظاهره الصحة، ويرىٰ أن سبب الضعف يعود إلىٰ وهم وغلط ونسيان بعض الرواة(٢).

وبجانب الاعتماد علىٰ الأحاديث الواهية لجأ بعض المبتدعة لمخالفة النصوص الشرعية الثابتة عن رسول الله ﷺ؛ لأنها غير موافقة لأهوائهم فردوها بدعوىٰ أنها مخالفة للمعقول، وغير جارية علىٰ مقتضىٰ الدليل، كالمنكرين لعذاب القبر، والصراط، والميزان، ورؤية الله عَزَّوَجَلَّ في الآخرة، وما أشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المنقولة نقل العدول(٣).

ويرىٰ الشاطبي أن من الأسباب التي يدعي المبتدعة ردهم للأحاديث الصحيحة أنها تفيد الظن مع أن الله عَزَّوَجَلَّ قد ذم الظن في القرآن الكريم، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا

---

(١) الاعتصام للشاطبي ١/ ١٩٠.

(٢) الاعتصام للشاطبي ١/ ٢٨٧-٢٨٨ بتصرف.

(٣) الاعتصام للشاطبي ١/ ٢٩٤ بتصرف.

ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾[النجم: ٢٣]، وقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، وما جاء في معناه، حتىٰ أحلوا أشياء مما حرمها الله تعالىٰ علىٰ لسان نبيه ﷺ(١).

۞ سابعاً: الجهل بالناسخ والمنسوخ يؤدي إلى الفهم الخاطئ:

إن الذي يبحث عن فهم كتاب الله وتدبره لا بد ألا ينأىٰ بجانبه عن معرفة الناسخ والمنسوخ من كتاب الله؛ لأن معرفة الناسخ والمنسوخ تقرب المسافة وتسهل المهمة لفهم كتاب الله؛ لذلك كان الصحابة الكرام والأئمة من بعدهم يحرصون علىٰ هذا العلم، قال الزركشي: «قال الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسّر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ، وقد قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقاص: «أتعرف الناسخ والمنسوخ؟» قال: الله أعلم، قال: «هلكت وأهلكت»(٢)»(٣) يريد أنه عرّض نفسه وعرض الناس للهلاك، مادام أنه لا يعرف الناسخ من المنسوخ، وجاء في الأثر أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسّر الحكمة في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، فسّرها بالمعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدّمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله(٤).

ويقول القرطبي في بيان أهمية معرفة النسخ: «معرفة هذا الباب أكيدة، وفائدته عظيمة، لا يستغني عن معرفته العلماء، ولا ينكره إلاَّ الجهلة الأغبياء، لما يترتب عليه من النوازل في الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام»(٥).

---

(١) الاعتصام للشاطبي ١/ ٢٩٨ بتصرف.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٨/ ٧٤٦، وأبو عبيد في النّاسخ والمنسوخ رقم(١)، والنّحّاس في النّاسخ والمنسوخ ص٤٨-٤٩.
(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ٢٩.
(٤) جامع البيان للطبري ٥/ ٥٧٦.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٢/ ٦٢.

❁ ثامناً: الجهل بأسباب النزول:

فالجهل بأسباب النزول، وعدم معرفة الأسباب والملابسات المحيطة بالنص القرآني، تؤدي إلىٰ الشرود عن فقهه، وعدم فهم المراد منه؛ لذلك يقول الواحدي: «لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف علىٰ قصتها وبيان نزولها»[(١)].

وقال الإمام ابن دقيق العيد: «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن، وقال الإمام ابن تيمية: «معرفة سبب النزول تعين علىٰ فهم الآية، فإن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبب»[(٢)].

❁ تاسعاً: الاعتماد على الاسرائيليات من غير تثبتٍ أو تحقق:

إن التحدث عن بني إسرائيل جائز إذا لم يُخش منه محذور؛ لقول النبي ﷺ: «**بلِّغوا عني ولوآية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علىٰ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**»[(٣)]، وغالب ما يُروىٰ عنهم في ذلك ليس له فائدة في الدين كتعيين لون كلب أصحاب الكهف، ونوع الطيور التي أمر الله نبيه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بذبحها عندما قال له: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وغير ذلك.

وأما أخذ شيء من أمور الدين عن أهل الكتاب، والتحديث عنهم في ذلك، فإنه لا يجوز؛ لما جاء عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء؛ فإنهم لن يهدوكم، وقد ضلوا، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق، وإنه لو كان موسىٰ حيًّا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني**»[(٤)].

---

(١) أسباب النزول للواحدي ص(٨).

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ١٩٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، ح(٣٤٦١).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٢٢/ ٤٦٨، رقم (١٤٦٣١)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٣/ ٥٤٧) ح(٢١٣٥)، وفي إسناده ضعف؛ لضعف مجالد بن سعيد، وحسَّن الحديث بشواهده الألبانيُّ في إرواء الغليل (٦/ ٣٤).

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله محضًا، لم يُشب، وقد حدّثكم أن أهل الكتاب قد بدّلوا من كتاب الله، وغيّروا، فكتبوا بأيدهم، قالوا: هو من عند الله؛ ليشتروا بذلك ثمنًا قليلاً، أولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ فلا والله رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل إليكم»(١).

لذا فإن موقف الإسلام من الإسرائيليات ينحصر في ثلاثة أمور، من جهلها قد يقع في الفهم الخاطئ لبعض النصوص القرآنية، وهي كما يلي:

١- ما أقره الإسلام: ومثاله ما جاء عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن حبراً من الأحبار جاء إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات علىٰ إصبع، وسائر الخلائق علىٰ إصبع، فيقول: أنا الملك، «**فضحك النبي ﷺ حتىٰ بدت نواجذه؛ تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ**: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]»(٢).

٢- ما أنكره الإسلام وأبطله: ومثاله عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كانت اليهود تقول إذا جامعها من ورائها، جاء الولد أحول؛ فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[البقرة: ٢٢٣]»(٣).

٣. ما لم يقره الإسلام، ولم ينكره، فيجب التوقف فيه: لما جاء عن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالىٰ: «كل يوم هو في شأن»، و«ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث»، وقوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾، ح(٧٥٢٣).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، بابك قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾، ح(٤٨١١).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾، ح(٤٥٢٨).

أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذِّبوهم، وقولوا:** ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ [العنكبوت: ٤٦]»[١].

۞ عاشراً: عدم معرفة مدلولات ألفاظ اللغة العربية، ومخالفة الراسخين في العلم:

فمثلاً زعم الخوارج في مذهبهم أنه لا تحكيم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]؛ لأن اللفظ ورد بصيغة العموم، فلا يلحقه تخصيص؛ فلذلك أعرضوا عن قول الله تعالىٰ: ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥]، وقوله: ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ [المائدة: ٩٥]، وإلا فلو علموا تحقيقاً قاعدة العرب في أن العموم يراد به الخصوص؛ لم يسرعوا إلىٰ الإنكار، وكثيراً ما يوقع الجهل بكلام العرب في مجاز لا يرضىٰ به عاقل، فمثل هذه الاستدلالات لا يعبأ بها، وتسقط مكالمة أهلها، ولا يعد خلاف أمثالهم، وما استدلوا عليه من الأحكام الفرعية أو الأصولية؛ فهو عين البدعة؛ إذ هو خروج عن طريقة كلام العرب إلىٰ اتباع الهوىٰ[٢].

فالله عَزَّوَجَلَّ أنزل القرآن عربياً لا عجمة فيه، بمعنىٰ أنه جاء في ألفاظه ومعانيه وأساليبه علىٰ لسان العرب، وكان المنزل عليه القرآن عربياً أفصح من نطق بالضاد وهو النبي ﷺ، وكان الذين بُعث فيهم عرباً أيضاً، فجرىٰ الخطاب به علىٰ معتادهم في لسانهم، فليس فيه شيء من الألفاظ والمعاني إلا وهو جار علىٰ ما اعتادوه، ولم يداخله شيء بل نفىٰ عنه أن يكون فيه شيء أعجمي، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾، ح(٤٤٨٥).

(٢) الاعتصام للشاطبي ١/ ٣٠٣ بتصرف.

﴿إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[النحل: ١٠٣] هذا وإن كان النبي ﷺ بُعث للناس كافة فإن الله جعل جميع الأمم وعامة الألسنة في هذا الأمر تبعاً للسان العرب، وإذا كان كذلك فلا يُفهم كتاب الله تعالىٰ إلا من الطريق الذي نزل عليه وهو اعتبار ألفاظها ومعانيها وأساليبها، فإذا ثبت هذا فعلىٰ الناظر في الشريعة والمتكلم فيها أصولاً وفروعاً أمران، **أحدهما**: ألا يتكلم في شيء من ذلك حتىٰ يكون عربياً أو كالعربي في كونه عارفاً بلسان العرب، بالغاً فيه مبالغ العرب، **والأمر الثاني** أنه إذا أشكل عليه في الكتاب أو في السنة لفظ أو معنىٰ فلا يقدم علىٰ القول فيه دون أن يستظهر بغيره ممن له علم بالعربية، فقد يكون إماماً فيها، ولكنه يخفىٰ عليه الأمر في بعض الأوقات، فالأولىٰ في حقه الاحتياط؛ إذ قد يذهب علىٰ العربي المحض بعض المعاني الخاصة حتىٰ يسأل عنها، وقد نقل شيء من هذا عن الصحابة وهم العرب فكيف بغيرهم»[(١)].

❁ الحادي عشر: لَيُّ أعناق النصوص، وتحريف الأدلة عن مواضعها:

فمن الأسباب التي تؤدي إلىٰ الفهم الخاطئ في تدبر القرآن: لَيّ أعناق النصوص، وتحريف الأدلة عن مواضعها، وبناء الظواهر الشرعية علىٰ تأويلات لا تعقل، فالباطنية مثلاً عدّوا كل ما ورد في الشرع من الظواهر في التكاليف والحشر والنشر والأمور الإلهية؛ فهي أمثلة ورموز إلىٰ بواطن، فمثلاً: زعموا أن الجنابة مبادرة الداعي للمستجيب بإفشاء سر إليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق، ومعنىٰ الغسل تجديد العهد علىٰ من فعل ذلك، ومعنىٰ مجامعة البهيمة مقابحة من لا عهد له ولم يؤد شيئاً من صدقة النجوىٰ، وهو مئة وتسعة عشر درهماً عندهم؛ قالوا: فلذلك أوجب الشرع القتل علىٰ

---

(١) الاعتصام للشاطبي ٢/ ٨٠٤-٨١٠ بتصرف، وينظر الأمثلة التي ذكرها من القرآن الكريم التي توضح هذا المفهوم ص(٨١٠-٨١٦).

الفاعل والمفعول بها، وإلا فالبهيمة متىٰ يجب القتل عليها؟!، والصيام هو الإمساك عن كشف السر، ولهم من هذا الإفك كثير في الأمور الإلهية وأمور التكليف وأمور الآخرة، وكله حوم علىٰ إبطال الشريعة جملةً وتفصيلاً[(١)].

ب/ نتاج الفهم الخاطئ:

❁ أولاً: تكوين تصورات خاطئة عن أقوام من البشر:

فمثلاً يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾[المائدة: ٨٢]، ففي فهم هذه الآية تجد بعضهم يقول إنها دليل علىٰ أن النصارىٰ يحبوننا، فتجده قد وقع في شراك المبشِّرين من النصارىٰ الذين يستعملون هذه الآية في دعواهم الزائفة مع بعض عامة المسلمين لإزالة الحواجز التي ترسّخت بفعل العقيدة الإسلامية الصحيحة، وكذلك تجد بعض المسلمين يلين للنصارىٰ كثيراً ويشاركهم في معتقداتهم، ولا ينكر عليهم، بل لا يكلّف نفسه حتىٰ بالنصح لهم؛ لأنه قد فهم هذه الآية فهمًا خاطئًا، فهو لم يتأمل قول الله كاملاً.

فانظر إلىٰ تكملة الآيات التي بعدها قد بينت سبب هذه المودة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ﴾[المائدة: ٨٢ - ٨٥]، فالآيات بيّنت أن سبب هذه المودة هو أنهم لا يستكبرون عند تقبل الحق، ثم إنهم يؤمنون بما أنزل إلىٰ النبي ﷺ، ويسلمون عند ذلك، وذُكر أن هذه الآيات قد نزلت

(١) ينظر: الاعتصام للشاطبي ١/ ٣٢٢ بتصرف، وينظر الصفحات التي بعدها.

في النجاشي وأصحابه الذين قد أسلموا واتبعوا الرسول ﷺ[(١)].

وقال الطبري: «الصواب أنّ الله تعالىٰ لم يسمِّ لنا أسماءهم، ويجوز أن يكون أصحابُ النجاشي، ويجوز أن يكونوا قومٌ كانوا علىٰ شريعة عيسىٰ، فأدركهم الإسلام فأسلموا لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق، ولم يستكبروا عنه»[(٢)].

۞ ثانياً: الفهم الخاطئ يوقع في حبائل أهل الهوى:

فعدم الفهم الصحيح للقرآن يوقع المسلم في حبائل أهل السوء، ويجعله يقع أيضـًا في الحرام وتتلبس عليه الأمور، فخذ علىٰ سبيل المثال بعض أهل الأهواء ذهبوا إلىٰ أن شرب الخمر ليس بحرام تبعـًا لأهوائهم وتلبية لرغباتهم المنحرفة، مستدلين بأن القرآن لم يمنعها بصيغة التحريم، متغافلين عن أن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، واجتناب الشيء يعني الابتعاد عنه بحيث يكون بينك وبينه جانب، وهو أبلغ من النهي عن مجرد الفعل؛ إذ هو نهي عن الفعل ومقدماته معـًا، وغير ذلك من الأدلة التي ترد هذا الزعم الفاسد.

۞ ثالثاً: الفهم الخاطئ يؤدي إلى الشعور بتناقض القرآن:

ومثاله ما روىٰ عن سعيد بن جبير، قال: جاء رجل إلىٰ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، فقال: «إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ، قال: وما هو؟ قال: قال الله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الطور: ٢٥]، فقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «فلا أنساب بينهم في النفخة الأولىٰ، ثم في النفخة الثانية: أقبل بعضهم علىٰ بعض يتساءلون»[(٣)].

---

(١) جامع البيان للطبري ١٠/ ٤٩٩.

(٢) جامع البيان ١٠/ ٥٠١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا، كتاب: التفسير، سورة (حم) السجدة ٦/ ١٢٧.

قال الإمام الشاطبيُّ: «إن الذي عليه كل موقن بالشريعة أنه لا تناقض فيها ولا اختلاف، فمن توهم ذلك فيها فهو لم يمعن النظر ولا أعطىٰ وحي الله حقه؛ ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢] فحضهم علىٰ التَّدَبُّر أولاً، ثم أعقبه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] فبيّن أنه لا اختلاف فيه، وأن التَّدَبُّر يعين علىٰ تصديق ما أخبر به»[١].

❁ رابعاً: عدم الفهم يؤدي إلى الاعتقاد بمخالفة القرآن للوقائع والحوادث التاريخية:

فمثلاً لمَّا قدم المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ نصارىٰ نجران، قالوا له: إنكم تقرؤون: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ [مريم: ٢٨]، وموسىٰ قبل عيسىٰ بكذا وكذا، قال: فلما قدمت علىٰ رسول الله ﷺ سألته، فقال: «**ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم**»[٢].

❁ خامساً: الفهم الخاطئ يؤدي إلى الافتراء على الأنبياء واتهامهم بما لا يتصوره مسلم:

فعلىٰ سبيل المثال الذي يقرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[البقرة: ٢٦٠]، قد يسيء الظن بخليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بأنه كان يشك بقدرة الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ إحياء الموتىٰ! حاشاه ذلك، فإن النبي ﷺ، يقول: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**»[٣].

قال الإمام النووي: «اختلف العلماء في معنىٰ نحن أحق بالشك من

---

(١) الاعتصام للشاطبي ٢/ ٨٣١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: الآداب، باب: النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، ح(٢١٣٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: الفضائل، باب: فضائل إبراهيم الخليل ﷺ ح(١٥١).

إبراهيم، علىٰ أقوال كثيرة أحسنها وأصحها: معناه: إن الشك مستحيل في حق إبراهيم، فإن الشك في إحياء الموتىٰ لو كان متطرقًا إلىٰ الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم، وقد علمتم أني لم أشك، فاعلموا أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يشك، وإنما خص إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لكون الآية قد يسبق إلىٰ بعض الأذهان الفاسدة منها احتمال الشك»[١].

❁ سادساً: الفهم الخاطئ يؤدي لإخضاع الآيات القرآنية لمخترعات ونظريات غير مناسبة:

فمثلاً ذهب بعضهم إلىٰ أن جهاز التبريد موجود في القرآن، واستدل بقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]، يعني: من الداخل رحمة وبرودة، ومن الخارج عذاب وحر! وأحدهم يقول: الطائرات موجودة في القرآن؛ لأن الله يقول: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]، وغير ذلك من التفسيرات الشاذة، وفي ذلك يقول العلامة الشنقيطي: «التلاعب بكتاب الله وتفسيره بغير معناه، لمحاولة توفيقه مع آراء كفرة الإفرنج، ليس فيه شيء البتة من مصلحة الدنيا ولا الآخرة، وإنما فيه فساد الدارين، وإذ نمنع التلاعب بكتاب الله وتفسيره بغير معناه، نحض جميع المسلمين علىٰ بذل الوسع في تعليم ما ينفعهم من هذه العلوم الدنيوية مع تمسكهم بدينهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠][٢].

(١) شرح النووي علىٰ مسلم ٢/ ١٨٣.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ٢٦٥.

المعيار الثالث: أمثلةٌ للتدبر الخاطئ في القرآن الكريم:

إن الأمثلة للتَّدَبُّر الخاطئ لكتاب الله كثيرة ولايمكن حصرها؛ لذا سنذكر أمثلةً مع سببها لعلها تفي بالغرض:

١- الغفلة عن أصول الدين والاعتقاد:

من ذلك مثلًا: قوله تعالىٰ مخاطبًا الملائكة ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]، فقد يظن ظانٌّ أن الملائكة قد تكتم عن الله تعالىٰ شيئًا أمرهم ببيانه أو سألهم عنه، وهو غلطٌ شديدٌ مخالفٌ لأصل واضح من أصول الاعتقاد، وهو عصمة الملائكة الثابتة بنحو قوله تعالىٰ ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وقوله: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧، ٢٨]، وغير ذلك من الأدلة، قال أبو حيان: «ليس المعنىٰ أنهم كتموا عن الله؛ لأن الملائكة أعرف بالله وأعلم؛ فلا يكتمون الله شيئًا، وإنما المعنىٰ أنه هجس في أنفسهم شيءٌ لم يُظهره بعضهم لبعض، ولا أطلعه عليه. وقيل: الكاتم إبليس، كتم عداوته لآدم منذ رآه مخلوقًا، فيكون من خطاب الجمع، ويراد به الواحد نحو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ [الحجرات: ٤]»[1].

ومن ذلك: قوله تعالىٰ في قصة ولَدَيْ آدم ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [المائدة: ٢٩]، فقد يُفهم منه خطأً أن القاتل يحمل إثم قتيله مع إثم نفسه، وهو معنىٰ فاسد مخالف لما هو ثابت في الدين من أنّ أحدًا لا يحمل وِزر أحد، كما دلّ عليه صريح قوله تعالىٰ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾

---

(١) البحر المحيط في التفسير ١/ ٢٤٤ باختصار وتصرف.

[الأنعام: ١٦٤، الإسراء ١٥، فاطر ١٨، الزمر ٧، النجم ٣٨]؛ ولذا قال الطبري: «غير جائز أن يكون آثامُ المقتول مأخوذًا بها القاتل، وإنما يؤخذ القاتل بإثمه بالقتل المحرَّم وسائر آثام معاصِيه التي ارتكبها بنفسه، دون ما ركبَه قتيلُه»[١]. وقال الزجاج: «معنىٰ: (بِإِثْمِي) بإثم قتلي، (وَإِثْمِكَ) الذي من أجله لم يُتقبَّل قربانُك»[٢].

٢- ضعف المعرفة بلُغة العرب وأساليبها في التعبير:

ومثال ذلك: دعاءٌ مذكورٌ في القرآن اعتاد بعض الناس أن يلهجوا به في صلواتهم وغيرها، ظانِّين أنه من دعاء الخير والبِر، وهو خلاف ذلك، أعني قوله تعالىٰ علىٰ لسان شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، فهذا دعاء نبيٍ كذّبه قومه وسخروا منه، وتوعدوه بالطرد والإخراج فاستغاث ربَّه عليهم، وسأله أن ينتقم له منهم، فليس دعاء خير وبِر؟! ولا يدعو مسلمٌ بمثل هذا علىٰ قومه وهم مسلمون؟! قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كان شعيب كثير الصلاة، فلما تمادَىٰ قومه في كفرهم وغيّهم، ويئس من صلاحهم، دعا عليهم فقال ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾، فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم بالرجفة»[٣].

قال الطبري: «وأصل (الفتح) في كلام العرب: النصر، والقضاء، والحكم. يقال منه: (اللهم افتح بيني وبين فلان)، أي: احكُم بيني وبينه»[٤]. قال يحيىٰ بن سلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان النبي إذا سأل اللهَ أن يحكم بينه وبين قومه بالحق؛ هلكوا»[٥].

---

(١) جامع البيان ١٠/ ٢١٧.
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ١٦٧.
(٣) الجامع لأحكام القرآن- القرطبي ٧/ ٢٥١.
(٤) جامع البيان ٢/ ٢٥٤.
(٥) تفسير يحيىٰ بن سلام ١/ ٣٥٢.

ويترتب على الضعف بمعرفة اللغة وأساليبها **فهم القرآن على المعاني الدارجة** بين الناس، ومن ذلك: قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، فيتوهَّم القارئُ لأول وهلة أن قوله: (تحسونهم) بمعنى الإحساس، بل هو من الحَسِّ بغير ألف، وهو بمعنى الإفناء والقتل، كما قال المفسرون[(١)].

٣- حمل كلام الله تعالى على اصطلاحات العلماء الحادثة:

من أسباب الخطأ حمل كلام الله تعالى على اصطلاحات العلماء الحادثة بعد نزول القرآن بقرون متطاولة، وقد ضرب ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لذلك مثلًا بلفظتي: (مكروه) و(لا ينبغي)، وكيف أنهما قد اختصَّا في الاصطلاح الحادث: بما ليس بمحرَّم وتركُه أرجح من فعله، مع أنه «قد اطَّرد في كلام الله ورسوله استعمالُ (لا ينبغي) في المحظور شرعًا وقدَرًا، وفي المستحيل الممتنع؛ كقوله تعالى ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٩٢]، وقوله ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ ﴾ [يس: ٦٩]، وقوله ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ ﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١١]، وأمثال ذلك، وقال تعالى عقيب ذِكر ما حرَّمه من المحرمات من عند قوله ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣]، إلى قوله ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦]، إلى آخر الآيات؛ ثم قال ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء: ٣٨]»[(٢)].

٤- ترك النظر في أسباب النزول:

من أسباب الخطأ ترك النظر في أسباب النزول، فإن لها دورًا مهمًّا في بيان معنى الآية والمراد بها، وإهمالها مُوقِعٌ في الغلط، ومُفضٍ في أحوال كثيرة

---

(١) جامع البيان ٦/ ٤٤٣.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ٣٤ بتصرف يسير.

إلىٰ معانٍ فاسدة، وشاهد ذلك ما رُوي «أن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ استعمل قدامة بن مظعون علىٰ البحرين، فقدم الجارود علىٰ عمر فقال: إن قدامة شرب فسَكِر؛ فقال عمر: مَن يشهد علىٰ ما تقول؟ فقال الجارود: أبو هريرة يشهد علىٰ ما أقول، وذكر الحديث.. فقال عمر: يا قدامة إني جالدُك، قال: والله لو شربتُ كما يقولون ما كان لك أن تجلدني، قال عمر: ولِمَ؟ قال: لأن الله يقول ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...﴾ [المائدة: ٩٣]. فقال عمر: إنك أخطأتَ التأويل يا قدامة؛ إذا اتقيتَ اللهَ اجتنبتَ ما حرَّم اللهُ.

وفي رواية: فقال عمر: أَلَا تردُّون عليه قوله؟ فقال ابن عباس: إن هؤلاء الآيات أُنزِلْنَ عذرًا للماضين وحُجةً علىٰ الباقين، فعذر الماضين بأنهم لقوا الله قبل أن تحرَّم عليهم الخمر، وحجة علىٰ الباقين؛ لأن الله يقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ [المائدة: ٩٠]، ثم قرأ إلىٰ آخر الآية الأخرىٰ، فإنْ كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا، فإن الله قد نهَىٰ أن يشرب الخمر. قال عمر: صدَقْتَ»[(١)].

٥- الغفلة عن أحوال العرب وعاداتها وقت نزول القرآن:

من أسباب الخطأ في تدبر كلام الله تعالىٰ الغفلة عن أحوال العرب وعاداتها وقت نزول القرآن، فإنّ لها حُكمَ أسباب النزول، ولكنها أسباب عامة غير مختصة بشخص معيَّن أو واقعة بعينها، ولمعرفتها أهمية كبرىٰ في فهم النص القرآني، وعدم إدراكها مُوقِع في إشكالات كثيرة.

ذلك أن العادات تتغير عبر الأزمان، والنص إنما يُفهم حقَّ الفهم في

---

(١) الأثر أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٩/ ٢٤١، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٨/ ٥١٣، وذكره القرطبي في الجامع ٦/ ٢٩٧

سياقها، وبالغفلة عنها يَنْبَهِمُ معنىٰ النص، ويلتبس المراد منه؛ ولذا كانت معرفة أحوال العرب وعاداتها زمن نزول القرآن مُعِينة علىٰ الفهم الصائب والتفسير الصحيح دون إشكال.

ومن ذلك: قوله تعالىٰ ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦]، قال الطبري: «إن قال لنا قائل: وكيف أخبر الله -جل ثناؤه- عمن قد وصفه بالخشوع له بالطاعة أنه (يظن) أنه ملاقيه، والظن: شك، والشاكُّ في لقاء الله عندك بالله كافر؟!

قيل له: إن العرب قد تسمِّي اليقين (ظنًّا)، والشك (ظنًّا)؛ نظير تسميتهم الظلمة (سدفة)، والضياء (سدفة)، والمغيث (صارخًا)، والمستغيث (صارخًا)، وما أشبه ذلك من الأسماء التي تسمي بها الشيء وضده..والشواهد من أشعار العرب وكلامها علىٰ أن (الظن) في معنىٰ اليقين أكثر من أن تحصىٰ»[(١)].

ولما قرأ النبي ﷺ علىٰ عدي بن حاتم الطائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٣١]، وقد كان نصرانيًا قبل إسلامه، فقال: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدُهم، فقال له النبي ﷺ مصححًا له هذا الفهم: «**أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه، ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه؟ قال عدي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **بلىٰ، قال: فتلك عبادتهم**»[(٢)].

٦- قصر النظر على بعض القرآن دون بعض، وانتزاع الآيات من سياقها:

من القواعد الثابتة عند المفسرين قاعدة أن القرآن يُفَسِّر بعضُه بعضًا، وأَولىٰ ما فُسِّر به القرآن هو القرآن.

---

(١) جامع البيان، ١/ ٦٢٣.

(٢) أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان ١٤/ ٢١٠، والترمذي في جامعه، أبواب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة، ح(٣٠٩٥) وقال: «هذا حديث غريب». وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٣٠.

وهي قاعدة لا غنىٰ عنها لكل دارس ومتدبر للقرآن الكريم؛ فإن النظرة الجزئية للقرآن تعطي القارئ معانيَ ناقصة حينًا، ومشوَّهة حينًا، وباطلة تمامًا أحيانًا أخرىٰ!

وقد نبّه العلماء كثيرًا إلىٰ خطورة انتزاع الآيات من سياقها، والاستشهاد بها منفردة عما يفسرها ويبيِّنها من آيات أُخَر في سورتها، أو في سورٍ من القرآن الكريم(١)، والشاطبي يردُّ منشأ البدع والخرافات إلىٰ مِثل ذلك(٢).

ومثال ذلك: قضية الشفاعة فقد كَثُر خلاف الفِرق حول قضية الشفاعة، وأنكر بعضُهم وقوعها يوم القيامة، واستشهد بآيات من القرآن الكريم، يقول ابن حزم: «احتج المانعون بقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨]، وبقوله عَزَّوَجَلَّ ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار: ١٩]، وبقوله تعالىٰ ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٤]...، قال أبو محمد: قول من يؤمن بالشفاعة أنه لا يجوز الاقتصار علىٰ بعض القرآن دون بعض، ولا علىٰ بعض السنن دون بعض، ولا علىٰ القرآن دون بيان رسول الله ﷺ الذي قال له ربه عَزَّوَجَلَّ ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]، وقد نص الله تعالىٰ علىٰ صحة الشفاعة في القرآن فقال تعالىٰ ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم: ٨٧]، فأوجب عَزَّوَجَلَّ الشفاعة لمن اتخذ عنده عهدًا بالشفاعة، وقال تعالىٰ ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩]، وقال تعالىٰ ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ: ٢٣]؛ فنَصَّ تعالىٰ علىٰ أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عَزَّوَجَلَّ ممن أذن له فيها ورضي قوله، ولا أحد مِن الناس أولىٰ بذلك من محمد ﷺ؛ لأنه أفضل ولد آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

---

(١) ينظر كلام ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام ٣/ ٤٠.

(٢) الاعتصام ص: ١٨٤.

فقد صحَّت الشفاعة بنص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وصحَّت بذلك الأخبار المتواترة المتناصرة بنقل الكواف لها؛ فصحَّ يقينًا أن الشفاعة التي أبطلها الله عَزَّوَجَلَّ هي غير الشفاعة التي أثبتها عَزَّوَجَلَّ، وإذ لا شك في ذلك فالشفاعة التي أبطل عَزَّوَجَلَّ هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلَّدون في النار، قال تعالىٰ ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، نعوذ بالله منها»[١].

ففي هذا المثال نرىٰ المنكرين للشفاعة أتوا إلىٰ الآيات التي تنفي الشفاعة فضربوا بها تلك التي تُثبتها، وقضوا بنفي الشفاعة مطلقًا، ولو أنصفوا لجمعوا الآيات بعضها إلىٰ بعض، وتدبَّروا في سياق هذه وسياق تلك، وعلموا أنّ النفي إنما ورد في شأن الكافرين، وأنّ إثباتها إنما هو للمؤمنين.

وأراد أبو بكر الصِّديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن يصحِّح فهمًا خاطئًا عند الناس في قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فعندما ظن البعض أن في الآية دلالة علىٰ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاكتفاء بصلاح النفس، قام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الناس خطيبًا، قال: "أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية، وإنكم تضعونها علىٰ غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ قال: **«إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك الله عَزَّوَجَلَّ أن يَعُمَّهُمْ بعِقَابه»**[٢] لذلك قال ابن كثير: "ليس في الآية مسْتَدلٌّ علىٰ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا كان فعل ذلك ممكنًا"[٣].

وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يناظر الخوارج الذين خرجوا

---

(١) الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحَل (٤/ ٥٣) بتصرف واختصار.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٠٨ ح(٢٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين».

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢١٢.

علىٰ علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فيدحض شبهاتهم، ويصوِّب الفهم الخاطئ الذي وقع في قلوبهم بسبب تأويلهم الخاطئ لكتاب الله، فكان مما زعموا أن عليًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حكم الرجال في أمر الله، وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[الأنعام: ٥٧]، قالوا: وما للرجال وما للحكم؟، فرد عليهم ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أما قولكم: حكَّم الرجال في أمر الله، فأنا أقرأ عليكم ما قد رد حكمه إلىٰ الرجال في ثمن ربع درهم في أرنب، ونحوها من الصيد، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٌ﴾[المائدة: ٩٥] إلىٰ قوله: ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٍ مِّنكُمۡ﴾[المائدة: ٩٥]، فنشدتكم الله، أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل، أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟، وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلىٰ الرجال، وفي المرأة وزوجها قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾[النساء: ٣٥]، فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة، أخرجت عن هذه؟ قالوا: نعم، فكانت النتيجة أن رجع منهم عشرون ألفا، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا[(١)].

فالنظرة الجزئية غالبًا ما تخدع صاحبها، فإذا به يرىٰ من الحقيقة جانبًا وتخفىٰ عليه جوانب، ويظهر له شيء وتغيب عنه أشياء، فالخطأ إنما يأتي من تضييق مجال النظر، وقصر الاطلاع علىٰ بعضٍ دون بعض، فأمّا إذا ضُمَّت أطرافه وجُمِعَت متفرقاته، ونُظِر فيه ككلٍّ واحد متكامل، فحينها يَرىٰ المرء أنه يُتمِّم بعضُه بعضًا ولا ينقض بعضُه بعضًا.

---

(١) جزء من مناظرة ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ للخوارج، أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (١٠/ ١٥٧)، ح ١٨٦٧٨، والحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ١٥٠، ح ٢٦٠٧، ويعقوب الفسوي في المعرفة والتاريخ ١/ ٥٢٣.

۞ المعيار الرابع: سُبُلُ الوقاية والعلاج من الفهم الخاطئ في التَّدَبُّر:

هناك ضوابط يجب أن يُراعيَها كل من أراد تدبر وفهْم القرآن الكريم كي تكون تلاوته وتدبره علىٰ بصيرة؛ تؤتي ثمارها كل حين بإذن ربها، ومن هذه الضوابط ما يلي:

۞ أولاً: جمع الآيات القرآنية أو بعضها ذات العلاقة بالآية المراد فهمها وتدبرها:

وذلك لأن القرآن الكريم يصدِّق بعضه بعضًا، ويفسِّر بعضه بعضًا، قال تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، قال ابن تيمية: «أصح الطرق في ذلك أن يُفسّر القرآن بالقرآن؛ فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصر من مكان فقد بسط في موضع آخر»[١].

۞ ثانياً: جمع الأحاديث النبويّة الثابتة أو بعضها ذات العلاقة بالآية المراد فهمها وتدبرها:

فمن الواجب لكي نفهم القرآن الكريم فهمًا صحيحًا بعيداً عن التحريف، والانتحال، وسوء التأويل، أن نفهمه في ضوء السنة النبويّة؛ لأن القرآن روح الوجود الإسلامي، وأساس بنيانه، والسنة شارحة له، وهيَ البيان النظري، والتطبيق العملي للقرآن، وما كان للبيان أن يناقض المبيَّن، ولا الفرع أن يعارض الأصل[٢]، ولهذا لا توجد سنة صحيحة ثابتة تعارض محكمات القرآن، وإذا ظن بعض الناس وجود ذلك، فلا بد أن تكون السنة غير صحيحة،

---

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ١٣/ ٣٦٣.

(٢) أزمة الفهم في الصحوة الإسلامية ليوسف فرحات ١/ ٢١.

أو يكون فهمنا لها غير صحيح، أو يكون التعارض وهميًا لا حقيقيًا، قال ابن تيمية: «فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له؛ بل قد قال الإمام الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ [النساء: ١٠٥]، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»[(١)]، يعني السنة، والسنة أيضًا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن؛ لا أنها تتلىٰ كما يتلىٰ، والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه فإن لم تجده فمن السنة، وكما قال ﷺ لمعاذ حين بعثه إلىٰ اليمن: «**بم تحكم؟**» قال: بكتاب الله، قال: «**فإن لم تجد؟**» قال بسنة رسول الله، قال: «**فإن لم تجد؟**» قال أجتهد رأيي، قال: «**فضرب رسول الله ﷺ في صدره، وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله**»[(٢)]»[(٣)].

❁ ثالثاً: الرجوع إلى أقوال العلماء عند تدبر الآيات وفي مقدمتهم الصحابة رضي الله عنهم والتابعون:

يقول ابن تيمية: «وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلىٰ أقوال الصحابة، فإنهم أدرىٰ بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها؛ ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل

---

(١) مسند أحمد ٢٨/ ٤١٠، رقم (١٧١٧٤)، قال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيحط.

(٢) مسند أحمد ٣٦/ ٣٣٣، ح(٢٢٠٠٧). قال شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف لإبهام أصحاب معاذ وجهالة الحارث بن عمرو، لكن مال إلىٰ القول بصحته غير واحد من المحققين من أهل العلم، منهم أبو بكر الرازي، وأبو بكر بن العربي، والخطيب البغدادي، وابن قيم الجوزية. قال الخطيب في «الفقيه والمتفقه» ١/ ١٨٩-١٩٠: إن أهل العلم قد تقبلوه واحتجوا به، فوقفنا بذلك علىٰ صحته عندهم...».

(٣) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ١٣/ ٣٦٣-٢٦٤ بتصرف.

الصالح؛ لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين»[١]، وقال أيضًا: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلىٰ أقوال التابعين»[٢].

وفي ذات المعنىٰ يقول عمر بن عبدالعزيز: «سنّ رسول اللّه ﷺ وولاة الأمور بعده سننًا الأخذ بها تصديق لكتاب اللّه، واستكمال لطاعة اللّه، وقوّة علىٰ دين اللّه، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النّظر فيما خالفها، من اقتدىٰ بها فهو مهتد، ومن استنصر فهو منصور، ومن خالفها واتّبع غير سبيل المؤمنين ولّاه اللّه ما تولّىٰ وأصلاه جهنّم وساءت مصيرًا»[٣].

ثم إنا نستعين علىٰ فهم كتاب الله، بالتفاسير المتداولة المعتبرة، ومن أجلها لدينا: تفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، وكذا البغوي، والبيضاوي، والخازن، والحداد، والجلالين، وغيرهم، وعلىٰ فهم الحديث، بشروح الأئمة المبرزين: كالعسقلاني، والقسطلاني، علىٰ البخاري، والنووي علىٰ مسلم، والمناوي علىٰ الجامع الصغير[٤].

رابعاً: معرفة مدلولات ألفاظ الكلمة القرآنية بالرجوع إلى دواوين الشعر واللغة العربية:

لذلك يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا سألتموني عن عربية القرآن، فالتمسوه بالشعر فإن الشعر ديوان العرب»[٥]، فكي تُفهم دلائل الكتاب والسنة علىٰ الوجه الصحيح لابد من معرفة لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم، والتي

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ١٣/ ٢٦٤.
(٢) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ١٣/ ٢٦٨.
(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ١/ ١٥٩.
(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية الرقمية لعلماء نجد الأعلام ١/ ٢٢٨.
(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ١٩٨.

خاطب بها رسول الله ﷺ أصحابه؛ ولهذا تواتر اعتناء علماء الأمة وأئمتها بلغة القرآن حتىٰ يوضع خطاب الشارع في موضعه اللائق به شرعًا.

قال الإمام الشافعي: «وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره؛ لأنه لا يعلم من إيضاح جمع علم الكتاب أحدٌ جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشُّبه التي دخلت علىٰ من جهل لسانها، فكان تنبيه العامة علىٰ أن القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين، والنصيحة لهم فرض لا ينبغي تركه»[(١)].

وقال ابن عبد البر: «ومما يستعان به علىٰ فهم الحديث ما ذكرناه من العون علىٰ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وهو العلم بلسان العرب، ومواقع كلامها، وسعة لغتها، وأشعارها، ومجازها، وعموم لفظ مخاطبتها، وخصوصه، وسائر مذاهبها لمن قدر، فهو شيء لا يُستغنىٰ عنه، وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكتب إلىٰ الآفاق أن يتعلموا السنّة والفرائض واللحن يعني النحو كما يُتعلم القرآن»[(٢)].

وقال ابن تيمية: «ولا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل علىٰ مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربية التي خوطبنا بها ممّا يُعين علىٰ أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ علىٰ المعاني، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله علىٰ ما يدّعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك[(٣)].

۞ خامساً: مراعاة السياق الذي ذُكرت فيه اللفظة القرآنية:

فيجب أن تربط الآية بالسياق التي وردت فيه ولا تُقطع عما قبلها وما

(١) الرسالة للشافعي ص٢٠.
(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ٢/ ٣٢٤.
(٣) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ٧/ ١١٦.

بعدها، ثم تُجرّ جرّاً، لتفيد معنىٰ، أو تؤيد حكماً يقصده قاصد، قال الزركشي: «دلالة السياق ترشد إلىٰ تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة علىٰ مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته، وانظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾[الدخان: ٤٩]، كيف تجد سياقه؟ يدل علىٰ أنه الذليل الحقير»[١].

❁ سادساً: معرفة أسباب النزول تعين على فهم النص القرآني:

وذلك لا يعارض أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لكن السبب أول ما يدخل في المعنىٰ، فالإمام الشاطبي يقول: «معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن»[٢].

وقال الإمام ابن دقيق العيد: «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن.

وقال الإمام ابن تيمية: «معرفة سبب النزول تعين علىٰ فهم الآية، فإن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبب»[٣].

❁ سابعاً: الإحاطة بعلم الناسخ والمنسوخ يعين على فهم القرآن فهماً دقيقاً:

والمراد بالنسخ رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي[٤]؛ لذلك يُشترط في النسخ أن يكون الدليل علىٰ ارتفاع الحكم خطاباً شرعيّاً متراخياً

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ٢٠١-٢٠٢.
(٢) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٤٧.
(٣) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ١٩٠.
(٤) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص٢٢٤.

عن الخطاب المنسوخ حكمه، وألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيدًا بوقت معين، وإلا فالحكم ينتهي بانتهاء وقته ولا يُعَد هذا نسخًا، ولقد جاء عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مما يبين أهمية هذا العلم في فهم القرآن، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»(١).

❁ ثامناً: التجرد من الأهواء والتصورات والنظريات السابقة، وجعل القرآن متبوعاً لا تابعاً، وحاكماً لا محكوماً، وأصلاً لا فرعاً:

وفي هذا المعنىٰ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس لأحدٍ أن يَحْمِلَ كلامَ اللهِ ورسولِهِ علىٰ وِفْقِ مذهبِهِ إنْ لم يتبينْ مِنْ كلامِ اللهِ ورسولِهِ ما يدلُّ علىٰ مرادِ اللهِ ورسولِهِ وإلا فأقوالُ العلماءِ تابعةٌ لقولِ اللهِ تعالىٰ ورسولِهِ، ليس قولُ اللهِ ورسولِهِ تابعًا لأقوالِهِم»(٢).

فمن أراد الفهم الصحيح لكتاب الله عليه أن يُقيِّدَ نفسه باتباع القرآن والسنة وعدم مخالفتهما، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]، قال ابن كثير: «لا تسرعوا في الأشياء بين يديه، أي: قبله، بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور، حتىٰ يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ، إذ قال له النبي ﷺ حين بعثه إلىٰ اليمن: «**بم تحكم؟**» قال: بكتاب الله. قال: «**فإن لم تجد؟**» قال بسنة رسول الله.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب النبي ﷺ، ح٥٠٠٢، ومسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل عبدالله بن مسعود وأمه، ح٢٤٦٣.

(٢) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ٧/ ٣٥.

قال: «**فإن لم تجد؟**» قال أجتهد رأيي. قال: «**فضرب رسول الله ﷺ في صدره، وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله**»[(١)].

فالغرض منه أنه أخَّر رأيه ونظره واجتهاده إلىٰ ما بعد الكتاب والسنة، ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله»[(٢)]، وقال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتّخذ كتاب اللّه إمامًا، وارض به قاضيًا وحكمًا، فإنّه الّذي استخلف فيكم رسول اللّه ﷺ، شفيع مطاع، وشاهد لا يتّهم، فيه ذكركم وذكر من قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم وخبر ما بعدكم»[(٣)].

تم بحمد الله

---

(١) سبق تخريجه والحكم عليه.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٣٦٤.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني ١/ ٢٥٢-٢٥٣.

ملحق: البرنامج التطبيقي

يُقَدِّم الدارس بعد إتقانه بعض الوحدات نموذجًا تطبيقيًا للتَّدَبُّر علىٰ آياتٍ من القرآن

وذلك في ثلاث مراحل:

أ- أن يُقدم بحثاً يجمع فيه عدداً من التَّدَبُّرات -وفق ما درسه- دراسة استقرائية وصفية.

وذلك بالمواصفات التالية:

١- يكون بعد دراسته للمجال الأول والثاني.

٢- أن يعرض النصوص التي يراها تدبرات ويوثقها من المصادر الأصلية.

٣- أن تكون تلك النصوص من مصادر موثوقة إن لم تكن مسندة.

٤- أن يبحث عند العلم المنقول عنه مفهوم التَّدَبُّر أو يحاول الباحث استخراجه من مجموع النصوص.

ب- أن يُقدم نموذجاً لآيات مختارة يجمعُ فيها بين الجمع والاجتهاد الذاتي بما لا يقل عن الثلث.

وذلك بالمواصفات التالية:

١- أن يكتب البحث بعد دراسة المجالات الثلاث من المنهج.

٢- أن يضبط الباحث حدود بحثه ومعاييره التي يسير عليها في الجمع أو الكتابة.

٣- ألا يغلب جانب الإنشاء علىٰ الكتابة، بل يحاول محاكاة ما كتبه أهل العلم قبله.

٤- ألا يتداخل عنده التَّدَبُّر مع الاستنباط والتفسير، بل يحاول التمييز بينها بشكل واضح.

٥- يحاول تنويع المنقولات بين المدارس أو الطبقات، فلا تكون من مؤلف واحد، أو عصر واحد، أو رمدرسة متشابهة.

ج- أن يُقدم بحثاً عن دراسة نقدية لنماذج من التَّدَبُّر التي خالفت المنهج الصحيح للتَّدَبُّر.

وذلك بالمواصفات التالية:

١- أن يكون ذلك بعد استكمال دراسة المقرر أو انتهىٰ من المجالات الثلاث.

٢- أن تكون لغة النقد والتقويم علمية فلا إفراط ولا تفريط، بل النظر إلىٰ المادة العلمية فقط.

٣- أن يبين وجه الصواب وأسباب الخطأ ويعلل ويجيب عمَّا يمكن الجواب عليه أو يقع فيه الاحتمال.

٤- يحاول تنويع تلك الدراسة بحيث لا تكون من باب واحد فقط، ولا يمنع أن تكون عند مدرسة محدده أوشخص اشتهر بشيء ما.

٥- أن تكون لديه القدرة علىٰ إبراز موضوع تدبر القران وتصحيح ما يتعلق به من أخطاء وتحرير المسائل.

٦- أن تظهر شخصية الباحث العلمية والأدبية في الموضوع، ولا يمنع من توقفه في بعض المسائل.

۞ مواصفات مشتركة لبحوث البرنامج التطبيقي:

١- عرض الدراسات السابقة في المجال الذي يبحث فيه، وخطة البحث العلمية، ومنهجه في كتابته.

٢- أن يحدد النشاط الذي يستهدفه بالبحث بوضوح، وأن يتلائم مع هدف البحث.

٣- أن يقدم نموذجًا للبحث قبل البدء في استكماله.

٤- الرجوع لكتب أهل السنة أصالة، فإن لم يكن فيعرض الكلام المنقول علىٰ أحد المشايخ ليعرف سلامته من جهة الإعتقاد والمسلك.

٥- أن يتوافر في البحث العمق العلمي، مع إستيفاء الماده العلمية.

٦- أن يبرز النتائج التي توصل إليها بوضوح، ويشير للمشكلات التي يرىٰ دراستها، والمقترحات التي يرىٰ أهميتها في تدبر القران.

٧- أن تكون لغة البحث سليمة وواضحة لغويًا وإملائيًا.

٨- أن يتفق حجم البحث مع محتواه.

۞ معايير عامّة لمن يرغب أن يكتب بحثاً محكماً، أو رسالة علمية في موضوع تدبر القرآن:

١) معرفة الدراسات السابقة في تدبر القران (المحكّمة، الرسائل، الكتب العلمية المتخصصة) وعلاقتها بما يرغب دراسته.

٢) أن يكـون للبحـث المقـترح إسـهام في حـل بعـض إشـكلات التخصـص، أو يعالـج مـا يشـوب الكتابـة فيـه، ويحددهـا.

٣) أن يحدد الأهداف للبحث وأن يتوفر لديه ماده علمية لتلك الأهداف.

٤) معرفـة قـدرة الباحـث علـىٰ إبـراز موضـوع البحـث في ضـوء الأهـداف التـي حددهـا، ومشـكلات البحـث التـي نـص عليهـا.

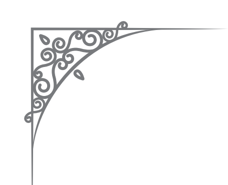
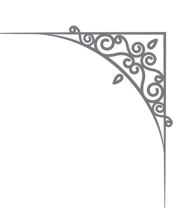
٥) أن يتوفـر في الموضـوع عمـق في التحليـل والمناقشـة وإسـتنباط النتائـج بشـكل علمـي واضـح.

٦) أن يستفيد مـن المراجـع العلميـة المتنوعـة مـن كتب ودوريـات ومؤتمرات ودراسـات ذات علاقة بالموضوع.

٧) أن يحـرص علـىٰ توافـر التسلسـل المنطقـي والموضوعـي في عـرض المسـائل التـي يناقشـها، مـع دقـة الصياغـة وسـلامة اللغـة ووضوحهـا.

٨) أن يـبرز جانـب الإضافـة العلميـة في الموضـوع للتخصـص، أو المجتمـع، أو التعليـم.

والله ولي التوفيق

ثبت المراجع

١- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (ت٨٤٠هـ)، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف: أبوتميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن - الرياض، ط١ (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).

٢- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي - تحقيق أ/ محمد أبوالفضل إبراهيم، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

٣- أثر القرآن في سلوك المجتمع المسلم - د/ عبدالقدوس السامرائي، ط/ دائرة الشئون الإسلامية والعمل الخيري بدبي - الإمارات.

٤- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لابن حبان، ط/ مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/ الأولىٰ ١٤٠٨هـ.

٥- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي- ط دار االمعرفة - بيروت.

٦- الأخطاء اللغوية الشائعة في الأوساط الثقافية أ/ محمود عبدالرازق جمعة ص٣٠٩، ط الهيئة المصرية العامة ٢٠٠٩م.

٧- أخلاق أهل القرآن الآجري: محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: محمدعمرو، دار الكتب العلمية-بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٨- الآداب الشرعية والمنح المرعية، الحنبلي، أبوعبدالله محمد بن مفلح، (ت٧٦٣هـ)، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط١، (د. ت).

٩- إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم المعروف بـ (تفسير أبي السعود)، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٠- إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود بن محمد العمادي الحنفي (ت٩٨٢هـ)، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، مطبعة السعادة، مصر.

١١- أزمة الفهم في الصحوة الإسلامية (التشخيص والعلاج)، يوسف فرحات، مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة، كلية أصول الدين- الجامعة الإسلامية- غزة، ٢-٣/ ٤/ ٢٠٠٧م.

١٢- الاستدلال الخاطئ بالقرآن والسنة علىٰ قضايا الحرية دراسةٌ نقديةٌ. تأليف: د. إبراهيم بن محمد الحقيل، مجلة البيان، ط. الأولىٰ ١٤٣٤هـ.

١٣- الإصابة في تمييز الصّحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، دار الجيل -بيروت، ط١ (١٤١٢هـ).

١٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٥- الاعتصام، الشاطبي، العلامة المحقق أبوإسحاق إبراهيم بن موسىٰ بن محمد اللخمي، (ت٧٩٠هـ)، ط (٢)، (تحقيق: أبوعبيدة مشهور بن حسن آل سلمان)، الدار الأثرية، عمان، الأردن، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر- تحقيق أ/ طه سعد، ط دار الجيل - بيروت١٩٧٣م،

١٧- الأعلام-الزركلي-دار العلم للملايين-الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

١٨- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة-بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

١٩- الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر -بيروت، ط٢.

٢٠- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: ناصر عبدالكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، (١٤١٩هـ- ١٩٩٩م).

٢١- أمالي ابن بشران، أبوالقاسم عبدالملك ابن بشْران، ت: أبوعبدالرحمن عادل بن يوسف العزازي، ط: دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٢- الأمثال في القرآن-المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ)-الناشر: مكتبة الصحابة -المحقق: أبوحذيفة إبراهيم بن محمد-الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٢٣- البداية والنهاية، للإمام ابن كثير، ط. دار هجر بمصر، بتحقيق د/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط/ الأولىٰ ١٤١٨هـ.

٢٤- بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، محمد بن أبىٰ بكر ابن قيم الجوزية، المحقق: يسري السيد - صالح الشامي، دار ابن الجوزي - الرياض، ٢٠٠٨.





٢٥- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي - تحقيق أ/ محمد أبوالفضل، ط الحلبي بالقاهرة ١٩٥٧م.

٢٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي - تحقيق أ/ محمد النجار، ط المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٩٩٦م.

٢٧- التأثر بالقرآن والعمل به أ. د/ بدر بن ناصر البدر - ط مدار الوطن بالرياض ١٤٢٨هـ.

٢٨- تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي محمّد بن محمّد الحسيني - تحقيق- مجموعة من المحققين، ط دار الهداية.

٢٩- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٣٠- تاريخ دمشق، ابن عساكر، علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ)، تحقيق محب الدين العمروني وآخرون، دار الفكر، ط١، ١٩٩٧م.

٣١- تاريخية الفكر العربي الاسلامي، محمد أركون؛ ترجمة هاشم صالح؛ المركز الثقافي العربي؛ الطبعة الثانية؛ ١٩٩٦م.

٣٢- تأمُّلات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين، محمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٩م.

٣٣- التبيان في آداب حملة القرآن، تأليف أبي زكريا يحيىٰ بن شرف الدين النووي الشافعي، حققه وخرّج أحاديثه بشير محمد عيون، الطبعة الأولىٰ ١٤١٣هـ ١٩٩١م، مكتبة المؤيد، الطائف، مكتبة دار البيان، دمشق.

٣٤- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣٥- التجديد في العلوم الإسلامية ودوره في حل مشكلات الواقع المعاصر، بن صغير محفوظ.

٣٦- تحرير معنىٰ التَّدَبُّر عند المفسرين د/ فهد الوهبي، ضمن أوراق العمل المطبوعة بكتاب «مفهوم التَّدَبُّر-تحرير وتأصيل» والمقدمة في الملتقىٰ الأول لتَّدَبُّر القرآن الكريم التابع لمركز «تدبر» بالرياض ١٤٣٠هـ.

٣٧- التحرير والتنوير للشيخ- محمد الطاهر بن عاشور - ط مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ١٤٢٠هـ.

٣٨- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري أبوالعلا، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٩- تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د/ مجدي الهلالي، ط/ مؤسسة اقرأ-القاهرة، ط/ الأولىٰ ١٤٢٩هـ.

٤٠- تحليل مناهج معاصرة للتَّدَبُّر وتقويمها د/ نايف الزهراني - بحث منشور ضمن بحوث الملتقىٰ الثاني للتَّدَبُّر بالرياض١٤٣١هـ.

٤١- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، للزيلعي: جمال الدين عبدالله بن يوسف بن محمد، تحقيق: عبدالله بن عبدالرحمن السعد، دار ابن خزيمة - الرياض - ١٤١٤هـ، الطبعة الأولىٰ.

٤٢- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار لابن رجب الحنبلي، ط / مكتبة المؤيد - السعودية، ط / الثانية ١٤٠٨هـ.

٤٣- تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: رقية طه جابر العلواني، (بدون)، ط٥، ٢٠٠٨م، عبر الموقع: www. drrugaia. com.

٤٤- تدبر القرآن فريضة الأمة، مقال علىٰ موقع طريق الإسلام. انظر:

http: //ar. islamway. net/article/

٤٥- تدبر القرآن مفهومه وأساليبه د/ فهد الوهبي ص١٩، بحث منشور بمجلة الدراسات القرآنية الصادرة عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه «تبيان» - جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، العدد الثامن١٤٣٢هـ.

٤٦- تدبّر القرآن، د/ سليمان السنيدي، ط الثانية-ضمن سلسلة المنتدىٰ الإسلامي٢٠٠٢م.

٤٧- التَّدَبُّر حقيقته وعلاقته بمصطلحات «التأويل والاستنباط والفهم والتفسير» أ. د/ عبدالله سرحان من إصدارات مركز «تدبر» بالرياض١٤٣١هـ.

٤٨- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: الجلال السيوطي، دار الكتب الحديثة، ط٢، ١٩٦٦م.

٤٩- تعديل السلوك، جمال الخطيب، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط١، ١٩٨٧م.

٥٠- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني- تحقيق أ/ إبراهيم الأبياري، ط دار الكتاب العربي-بيروت ١٤٠٥هـ.

٥١- تعليم تدبر القرآن الكريم، أساليب عملية ومراحل منهجية، د. هاشم بن علي الأهدل، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ١٤٢٨ هـ.

٥٢- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي الغرناطي، وبهامشه تفسير النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط. ٢، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م.

٥٣- تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي(الخازن)، دار الفكر - بيروت / لبنان، ١٣٩٩ هـ.

٥٤- تفسير السراج المنير في الإعانة علىٰ معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، تفسير الخطيب الشربيني المصري المتوفّىٰ ت ٩٧٧ هـ، دار الكتب العلمية، بيبروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٥٥- تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي ت(١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، القاهرة - مصر، ط١، ١٩٩٧م.

٥٦- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) للشيخ/ محمد رشيد رضا - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٠ م.

٥٧- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير - تحقيق- أ/ سامي سلامة، ط دار طيبة١٤٢٠هـ. .

٥٨- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفىٰ الرياض، ط٣، (١٤١٩هـ).

٥٩- تفسير القرآن الكريم ـ للإمام محمد بن أبىٰ بكر ابن قيم الجوزية- ط دار الهلال بيروت ١٤١٠هـ.

٦٠- تفسير الماوردي (النكت والعيون): أبوالحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت.

٦١- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفىٰ الزحيلي، دار الفكر المعاصر- دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.

٦٢- التفسير والمفسرون؛ د. محمد السيد حسين الذهبي؛ مكتبة وهبة؛ الطبعة السابعة؛ ٢٠٠٠م.

٦٣- التفكير فريضة إسلامية، العقاد، عباس محمود، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، د (ط، ت).

٦٤- تقريب التهذيب: أبوالفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلانىٰ، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد ـ سوريا، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م.

٦٥- تلبيس إبليس، أبوالفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق: د. السيد الجميلي، الطبعة الأولىٰ ١٤١٤هـ، الرياض: دار الهدىٰ.

٦٦- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري- تحقيق أ/ محمد عوض، ط إحياء التراث- بيروت ٢٠٠١م.

٦٧- تهذيب مدارج السالكين / عبدالمنعم صالح العلي العربي/ دار التوزيع والنشر الإسلامية / ط: ١٤١٧- ١٩٩٧م.

٦٨- التوابين، عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية - بيروت، (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).

٦٩- التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للشيخ- محمد عبدالرؤوف المناوي، تحقيق د. محمد رضوان، ط دار الفكر-بيروت١٤١٠هـ.

٧٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، المحقق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٧١- جامع البيان في تأويل القرآن- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبوجعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٧٢- جامع الترمذي - تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي وإبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي - مصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م

٧٣- الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبوعبدالله البخاري، تحقيق: مصطفىٰ ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٧٤- جامع العلوم والحكم لابي الفرج عبدالرحمن البغدادي، تحقيق: طارق عوض الله، نشر وطباعة دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٥هـ.

٧٥- جامع بيان العلم وفضله - أبوعمر يوسف بن عبد البرّ النمري (٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

٧٦- الجامع لأحكام القرآن، أبوعبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٧٧- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبوبكر، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف-الرياض، ١٤٠٣هـ.

٧٨- الجواهر الحسان في تفسير القرآن المعروف بـ تفسير الثعالبي، لعبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

٧٩- الحفظ التربوي للقرآن وصناعة الإنسان، خالد عبدالكريم اللاحم، مكتبة سفير، الرياض، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٧هـ.

٨٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، دار السعادة - مصر، ١٩٧٤م.

٨١- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني- تحقيق أ/ محمد علي النجار، ط عالم الكتب- بيروت.

٨٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، ١٤٢٤هـ.

٨٣- الدرر السنية في الأجوبة النجدية الرقمية، تأليف علماء نجد الأعلام، تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، موقع مكتبة المدينة الرقمية، ط٦، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٨٤- دعوة إلىٰ تدبر القرآن الكريم، مختار شاكر كمال، ط / دار البشير - عمان، ط/ الأولىٰ ١٤١٥هـ.

٨٥- دلالات التراكيب، د، محمد محمد أبوموسىٰ، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

٨٦- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة - أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: د/ عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ.

٨٧- دور القرآن الكريم في تنمية التفكير المنظومي لدىٰ الإنسان، حوامدة، مصطفىٰ محمود، من أوراق المؤتمر العربي الثالث حول الاتجاه المنظومي في التدريس والتعليم، جامعة عين شمس، ٢٠٠٢م.

٨٨- الدولة والمجتمع، د. محمد شحرور؛ دار الأهالي للطباعة والنشر في دمشق؛ دون تحديد الطبعة والتاريخ.

٨٩- ذيل طبقات الحنابلة لأبي الفرج عبدالرحمن بن رجب الحنبلي - تحقيق د/ عبدالرحمن العثيمين، ط مكتبة العبيكان - الرياض١٤٢٥ هـ.

٩٠- الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩١- رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري الحمد؛ الجمهورية العراقية: اللجنة الوطنية لإحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري؛ الطبعة الأولىٰ؛ ١٤٠٢هـ.

٩٢- الرقة والبكاء - أبوبكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا (٢٨١هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم بيروت، سنة ١٤١٦هـ.

٩٣- رهبان الليل، د / سيد حسين العفاني، ط / مكتبة العفاني - القاهرة.

٩٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي، ط / دار الكتب العلمية - بيروت، ط / الأولىٰ ١٤١٥هـ.

٩٥- رياض الصالحين، الامام يحيىٰ بن شرف النووي (٢٠٠٥)، شرح وتحقيق الحسيني عبدالمجيد هاشم، دار الجيل، بيروت -لبنان.

٩٦- زاد المسير في علم التفسير- عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، أبوالفرج جمال الدين، المحقق: محمد زهير الشاويش.

٩٧- زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت-مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٩٨- الزهد لابن المبارك، تحقيق: أحمد فريد، دار المعارج، ١٩٩٥م.
٩٩- الزهد لأبي داود ط: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م تحقيق: أبي تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، وأبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمروبن عبداللطيف.
١٠٠- سبل السلام، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني، مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي، ط٤، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م.
١٠١- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر-الرياض -ط: ١-١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
١٠٢- سلسلة محاضرات د. محمد راتب النابلسي علىٰ الأنترنت- قناة اليوتيوب.
١٠٣- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر - بيروت.
١٠٤- سنن البيهقي الكبرىٰ، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، حقيق: محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
١٠٥- سنن الدارمي- دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٠هـ.
١٠٦- سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة، د/ حسين شرفة، ط/ مؤسسة الرسالة - بيروت ط / الأولىٰ ١٤٢٩هـ.
١٠٧- سنن النسائي- تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة-مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب-الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.
١٠٨- سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي-تحقيق: مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ.
١٠٩- السيرة النبويّة، عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.
١١٠- الشخصيّة الإسلاميّة، النبهاني، تقي الدين، ط٣، ١٩٩١م.
١١١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، دون طبعة وتاريخ.
١١٢- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية- تحقيق د/ محمد خليل هراس، ط الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية ١٤١٣هـ.

١١٣- شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن -الرياض (١٤٢٦هـ).

١١٤- شرح شافية ابن الحاجب للشيخ محمد بن الحسن الاستراباذي- ط دار العلمية ـ بيروت.

١١٥- شرح صحيح البخاري، أبوالحسن علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبوتميم ياسر بن إبراهيم مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١١٦- شعب الإيمان، أبوبكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤، ١٤١٠هـ.

١١٧- الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ لأبي الفضل القاضي عياض اليحصبي

١١٨- الشمائل المحمدية، لأبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: عصام موسىٰ هادي، دار الصديق-الجبل (السعودية)، مؤسسة الريان-بيروت، ط١ (١٤٣١هـ-٢٠١٠م).

١١٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية إسماعيل بن حماد الجوهري- تحقيق: أحمد عبدالغفور، ط دار العلم للملايين - بيروت١٤٠٧هـ.

١٢٠- صحيح ابن حبان - تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، ١٩٥٢م.

١٢١- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبوالحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٢٢- صفة الصفوة، أبوالفرج عبدالرحمن بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٩.

١٢٣- صلاح الأمة في علوالهمة، د/ سيد حسين العفاني، ط/ مكتبة العفاني - القاهرة.

١٢٤- صيد الخاطر، لجمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولىٰ، سنة النشر: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٢٥- الضوء المنير علىٰ التفسير- للإمام محمد بن أبىٰ بكر ابن قيم الجوزية -جمعه: علي الصالحي- نبذة عن الكتاب: جمعه: علي الحمد المحمد الصالحي - مؤسسة النور - عنيزة.

١٢٦- الطبقات الكبرىٰ - أبوعبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري (٢٣٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - الطبعة: الأولىٰ، ١٩٦٨ م.

١٢٧- الطريق إلىٰ القرآن للشيخ- إبراهيم السكران - ط مركز الفكر المعاصر بالرياض١٤٣٣هـ.

١٢٨- عدم تدبر القرآن د. ناصر العمر، موقع بصائر علىٰ الانترنت www. basaer-online. com.

١٢٩- علل النحولأبي الحسن محمد بن عبدالله الشهير بابن الورّاق تحقيق أ/ محمود الدرويش، ط الرشد بالرياض ١٩٩٩م.

١٣٠- علم التفكير معمار، صلاح صالح، دار ديبونوللطباعة والنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.

١٣١- علوم القرآن في مقدمات التفاسير؛ محمد صفاء شيخ ابراهيم حقي؛ مؤسسة الرسالة؛ الطبعة الأولىٰ؛ ١٤٢٥هـ.

١٣٢- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (بدرالدين محمد بن أحمد العيني) (٨٥٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د٠ ط)، (د٠ ت).

١٣٣- العودة إلىٰ القرآن لماذا وكيف، د/ مجدي الهلالي، ط/ مؤسسة اقرأ-القاهرة، ط/ الأولىٰ ١٤٢٩هـ.

١٣٤- عون المعبود شرح سنن أبي داود - لشمس الحق العظيم آبادي - ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - الثانية - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

١٣٥- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي- تحقيق د. مهدي المخزومي وآخر، ط دار الهلال بالقاهرة.

١٣٦- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري ت بعد ٨٥٠هـ، تحقيق: زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

١٣٧- غريب القرآن، لأبي محمد عبدالله بن قتيبه، تحقيق السيد أحمد صقر، دار احياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٥٨م.

١٣٨- الفتاوىٰ الكبرىٰ لتقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية - تحقيق أ/ محمد عطا وآخر، ط العلمية- بيروت ١٤٠٨هـ.

١٣٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، دار ابن الجوزي- السعودية، الدمام- ١٤٢٢هـ.

١٤٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفىٰ عام ١٢٥٠هـ، طبعة دار الفكر ودار الكلم الطيب، بيروت-لبنان، الطبعة الأولىٰ عام ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٤١- الفرق بين التأمل والتَّدَبُّر والتفكر أ/ خالد الديهان بتصرف، بحث منشور علىٰ شبكة المعلومات الدولية.

١٤٢- الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتىٰ ظهور الإسلام، تأليف: د. نهاد خياط؛ دار الأوائل؛ بدون تاريخ.

١٤٣- فضائل القرآن، لأبي بكر جعفر الفريابي، تحقيق د. يوسف عثمان، مكتبة الرشد-الرياض-ط٣، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٤٤- فضائل القرآن، لأبي عبدالله محمد بن الضريس البجلي، ت: غزوة بدير، دار الفكر-سوريا-ط: ١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١٤٥- فضائل القرآن لأبي العباس المستغفري، ط / دار ابن حزم - بيروت، ط / الأولىٰ ٢٠٠٨م

١٤٦- فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلاّم - تحقيق مروان العطية وآخرين، ط دار ابن كثير- بيروت١٤٢٠هـ.

١٤٧- الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، دار ابن الجوزي ١٤٢١هـ السعودية.

١٤٨- فن التَّدَبُّر في القرآن الكريم د/ عصام العويد، من إصدارات مركز تدبر بالرياض١٤٣١هـ.

١٤٩- فهم القرآن ومعانيه لأبي عبدالله الحارث المحاسبي- تحقيق حسين القوتلي، ط دار الكندي - بيروت ١٣٩٨هـ.

١٥٠- الفوائد- للإمام محمد بن أبىٰ بكر ابن قيم الجوزية - ط دار العلمية - بيروت١٣٩٣هـ.

١٥١- فيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان- حقيق أ/ إحسان عباس، ط دار صادر - بيروت١٩٠٠م.

١٥٢- فيض القدير شرح الجامع الصّغير، زين الدّين محمّد عبدالرّؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ) المكتبة التّجاريّة الكبرىٰ، مصر (ط١/ ١٤٥٦هـ).

١٥٣- قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل، مكتبة صيد الفوائد، قسم ردود وتعقيبات.

١٥٤- القاموس المحيط للفيروزآبادي - تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ.

١٥٥- قانون التأويل - القاضي أبوبكر بن العربي، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.

١٥٦- القرآن محاولة لفهم عصري - د. مصطفىٰ محمود، ط/ ٨ دار المعارف - القاهرة.

١٥٧- القرآن من التفسير الموروث إلىٰ تحليل الخطاب، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح؛ دار الطليعة؛ الطبعة الثانية؛ ٢٠٠٥م.

١٥٨- القرآن والمرأة إعادة قراءة النص القرآني من منظور نسائي، آمنه ودود؛ ترجمة: ساميه عدنان؛ الطبعة الأولىٰ؛ ٢٠٠٠م.

١٥٩- قواعد التَّدَبُّر الأمثل لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ د/ عبدالرحمن حسن الميداني- ط دار القلم بدمشق ١٤٠٩هـ.

١٦٠- قواعد وضوابط التَّدَبُّر، أ. د. عمر المقبل، ورقة في ندوة نظمتها وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض٥-٢- ١٤٣٢هـ منشورة في:

http: //www. almoslim. net/node/139579.

١٦١- الكتاب والقرآن، د. محمد شحرور؛ دار الأهالي للطباعة والنشر في دمشق؛ دون تحديد الطبعة والتاريخ.

١٦٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ط. الكتاب العربي - بيروت١٤٠٧هـ.

١٦٣- كيف نتعامل مع القرآن، للشيخ- محمد الغزالي - تقديم أ/ عمر عبيد حسنة، ط دار نهضة مصر.

١٦٤- كيف ننتفع بالقرآن د. مجدي الهلالي- بحث منشور، دار اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط١، ٢٠٠٤م.

١٦٥- لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، المحقق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولىٰ - ١٤١٥ هـ

١٦٦- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور - تحقيق- أ/ عبدالله الكبير، ط دار المعارف بالقاهرة.

١٦٧- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف - عبدالرحمن ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر، لبنان- الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

١٦٨- ليدبروا آياته لمجموعة من العلماء الجزء الثاني- من مطبوعات مركز تدبر بالرياض ١٤٣٣، ١٤٣٠هـ.

١٦٩- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للشيخ / أبي الحسن الندوي، ط / مكتبة الإيمان - القاهرة.

١٧٠- مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ط٥ مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٧١- مبادئ تدبر القرآن لأبي الحسن الندوي- ط دار الصحوة بالقاهرة ١٤٠٦هـ

١٧٢- متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية، للعلامة الشيخ محمد بن الجزري الشافعي، بشرح الشيخ زكريا الأنصاري، الناشر/ المكتبة السعيدية، مصر.

١٧٣- مجاز القرآن، أبوعبيدة (٢١٠هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، ط١، نشر الخانجي بمصر١٩٦٢.

١٧٤- المجالسة وجواهر العلم - أبوبكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري (٣٣٣هـ)، تحقيق:

أبوعبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية (البحرين – أم الحصم)، دار ابن حزم، بيروت – لبنان– الطبعة الأولىٰ ١٤١٩هـ.

١٧٥- مجموع الفتاوىٰ، تقي الدين أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، المحقق: أنور الباز–عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

١٧٦- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب لزين الدين عبدالرحمن بن رجب الحنبلي– أ/ طلعت الحلواني، ط الفاروق الحديثة ١٤٢٤هـ.

١٧٧- المجموع شرح المهذب/ محيي الدين بن شرف الدين النووي الدمشقي ٦٧٦هـ/ الناشر دار عالم الكتاب– ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

١٧٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م.

١٧٩- المحكم والمحيط الأعظم – لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده – تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، ط دار العلمية٢٠٠٠م.

١٨٠- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي– تحقيق أ/ محمود خاطر، ط مكتبة لبنان– بيروت١٤١٥هـ.

١٨١- مختصر قيام الليل للمروزي ط: حديث أكادمي، فيصل اباد – باكستان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

١٨٢- مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر لأبي عبدالله محمد بن نصر المَرْوَزِيّ – اختصار العلامة/ أحمد بن علي المقريزي، ط فيصل أباد– باكستان ١٤٠٨ هـ..

١٨٣- مختصر منهاج القاصدين، لأبي العباس أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي (ت٦٨٩هـ)، تحقيق: عبدالحميد محمد الدرويش، ط١ (١٤١٩هـ–١٩٩٩م).

١٨٤- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام / محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية – تحقيق الشيخ/ محمد حامد الفقي، ط دار الكتاب العربي – بيروت١٣٩٣هـ.

١٨٥- المدخل إلىٰ الدراسات القرآنية–مبادئ تدبر القرآن لأبي الحسن الندوي(١٤٢٠هـ)، ط دار الصحوة بالقاهرة ١٤٠٦هـ.

١٨٦- المراحل الثمان لطالب فهم القرآن، عصام بن صالح العويد، مركز تدبر للاستشارات التربية والتعليمية، الرياض، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

١٨٧- المستدرك على الصحيحين- محمد بن عبدالله أبوعبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م

١٨٨- مسند أحمد - أحمد بن حنبل- تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط الرسالة-بيروت١٤٢١ هـ.

١٨٩- مشكاة الأنوار -المؤلف: أبوحامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي - حققها وقدم لها: د. أبوالعلا عفيفي-الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

١٩٠- مشكاة المصابيح- محمد بن عبدالله الخطيب العمري، أبوعبدالله التبريزي (٧٤١هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت- الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

١٩١- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه- أبوالعباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري الشافعي (٨٤٠هـ)، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

١٩٢- المصنف- أبوبكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني- تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٩٣- مصنف ابن أبي شيبة - أبوبكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة - تحقيق محمد عوامة، ط الدار السلفية.

١٩٤- معالم أصول الدين، الرازي، محمد بن عمر ت ٦٠٦هـ، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

١٩٥- معالم التنزيل، أبومحمد الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبدالله النمر-عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م.

١٩٦- معالم السنن - لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي - ط المطبعة العلمية - حلب١٣٥١هـ.

١٩٧- معاني القرآن، الفراء ابوزكريا (٢٠٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والنشر، مطابع سجل العرب (د. ت).

١٩٨- معاني القرآن وإعرابه للزجاج إبراهيم بن السري - تحقيق د/ عبدالجليل شلبي، ط عالم الكتب - بيروت ١٩٨٨م.

١٩٩- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم أ. د/ محمد حسن جبل - ط مكتبة الآداب بالقاهرة ٢٠١٠م.

٢٠٠- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم أ. د/ محمد حسن جبل، ط مكتبة الآداب بالقاهرة ٢٠١٠م.

٢٠١- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبوالقاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم- الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٣.

٢٠٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - للشيخ/ محمد فؤاد عبدالباقي - ط دار الكتب المصرية بالقاهرة١٩٤٥م.

٢٠٣- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة - تحقيق أ/ إبراهيم مصطفىٰ وآخرين، ط دار الدعوة بالقاهرة..

٢٠٤- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس - تحقيق أ/ عبدالسلام هارون، ط دار الفكر-بيروت ١٩٧٩م.

٢٠٥- معرفة القراء الكبار - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.

٢٠٦- المعرفة والتاريخ، أبويوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت٢٧٧هـ)، تحقيق: د. أكرم العُمَري، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط١، ١٩٨١م.

٢٠٧- مفاتح تدبر القرآن د/ خالد عبدالكريم اللاحم - ط الثانية- سفير بالرياض١٤٢٨هـ.

٢٠٨- مفاتيح التعامل مع القرآن د/ صلاح الخالدي - ط دار القلم بدمشق ١٤١٥هـ.

٢٠٩- مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر الرازىٰ- ط إحياء التراث العربي - بيروت.

٢١٠- مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، د. خالد بن عبدالكريم اللاحم، مقع المسلم، الرياض، ط١، ٢٠٠٤.

٢١١- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية- ط العلمية-بيروت.

٢١٢- المفردات في غريب القرآن للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني- تحقيق- أ/ صفوان عدنان، ط دار العلم- دمشق ١٤١٢هـ.

٢١٣- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محي الدين ديب مستووغيره، دار ابن كثير - دمشق.

٢١٤- مفهوم التَّدَبُّر: تحرير وتأصيل (مجموعة أوراق عمل الملتقىٰ العلمي الأول لتَّدَبُّر القرآن الكريم)، مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، الرياض، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٢١٥- مفهوم التَّدَبُّر عند اللغويين د/ عويض العطوي ص٣٠، ورقة عمل مطبوعة ضمن كتاب: مفهوم التَّدَبُّر - تحرير وتأصيل.

٢١٦- مفهوم التَّدَبُّر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم- محمد عبدالله الربيعة- لملتقىٰ العلمي الأول لتَّدَبُّر القرآن الكريم، ١٤٢٩هـ.

٢١٧- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتَّدَبُّر والمفسر: مساعد بن سليمان بن ناصر الطَّيَّار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ.

٢١٨- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبوالحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢١٩- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ- محمد عبدالعظيم الزرقاني - ط عيسىٰ الحلبي بالقاهرة.

٢٢٠- منهاج السنة النبويّة للإمام ابن تيمية، تحقيق د/ محمد رشاد سالم. ط/ مؤسسة قرطبة، ط الأولىٰ.

٢٢١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا يحيىٰ بن شرف النووي- ط إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٢هـ.

٢٢٢- منهج السلف في تلقي القرآن وتدبره، د / محمد الربيعة، مقال منشور علىٰ شبكة الإنترنت، موقع ملتقىٰ أهل التفسير.

٢٢٣- المنهج النبويّ في التعليم القرآني، د / عبدالسلام المجيدي، ط / جمعية المحافظة علىٰ القرآن - الأردن ط / الأولىٰ ٢٠٠٥ هـ.

٢٢٤- مهارات التدبر التطبيقية، محمد بن عبدالعزيز العواجي، بحث منشور بمجلة تدبر ع٤ رجب ١٤٣٩هـ.

٢٢٥- الموافقات: إبراهيم بن موسىٰ بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت٧٩٠هـ)، تح. أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١ دار ابن عفان ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٢٦- المواقف، الإيجي، عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٢٢٧- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملُّوح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ١٩٩٨.

٢٢٨- موطأ مالك بن أنس: صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة الثقافية بيروت ١٤٠٨.

٢٢٩- ميزان الاعتدال في نقد الرجال - شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م.

٢٣٠- نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي - محمد بن حسن بن عقيل موسىٰ الشريف، المحقق: محمد بن حسن بن عقيل موسىٰ الشريف، دار الأندلس الخضراء، ٢٠٠٨.

٢٣١- النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، تحقيق- علي محمد الضباع شيخ المقارئ بالديار المصرية، مكتبة الباز -مكة (١٤٢٣هـ).

٢٣٢- نظرات في التربية الإيمانية، د. مجدي الهلالي، ط مؤسسة اقرأ - القاهرة، الأولىٰ ١٤٣١هـ.

٢٣٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي- تحقيق عبدالرزاق المهدي- ط العلمية ببيروت ١٤١٥هـ.

٢٣٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبوالسعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوىٰ - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢٣٥- هداية القاري إلىٰ تجويد كلام الباري لعبدالفتاح المرصفي ط: مكتبة طيبة، المدينة المنورة -الثانية.

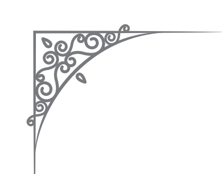
٢٣٦- هل أنكر ابن جرير قراءة متواترة أوردها، مقال للدكتور مساعد الطيار، موقع ملتقىٰ أهل التفسير.

٢٣٧- واقعية المنهج القرآني. تأليف: توفيق محمد سبع، دار المختار للنشر والتوزيع، ط. الثانية ١٩٨٣م.

٢٣٨- الوحي المحمدي. تأليف: محمد رشيد رضا، المكتب الإسلامي، ط. الثامنة ١٣٩٨هـ.

٢٣٩- الوحي والقرآن والنبوة، هشام جعيط؛ دار الطليعة في بيروت؛ الطبعة الثانية؛ ٢٠٠٠م.

٢٤٠- الوسطية في القرآن الكريم. تأليف: د. علي بن محمد الصلابي، دار ابن كثير، ط. الأولىٰ ١٤٣١هـ.



فهرس المحتويات